دكتور عبد الله محمد سليمان هنداوي
كلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر

لطائف المعاني

في ضوء النظم القرآني

الطبعة الأولى
١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م

مطبعة الأمانة
٣ شارع جزيرة بدران شبرا - مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، الذى أيده الله بالقرآن لتسنمه ذروة الفصاحة والبيان ، وعلى آله وصحبه مصابيح الهداية والايمان .

وبعد :

فهذه دراسات فى علم المعانى تشتمل على أربعة فصول هامة وهى : القصر — والانشاء — الفصل والوصل — الايجاز والاطناب والمساواة .

وقد راعيت فى هذه الدراسة الاهتمام بكثرة التطبيقات بجانب ابراز القواعد وتوضيحها ، مستمدا النصوص من كتاب الله تعالى وفصيح الشعر والنثر وقد أردت من ذلك تنمية الذوق البلاغى بابراز لطائف المعانى وأسرار التراكيب مبينا مدى ملائمتها للسياق وما يقتضيه المقام . ونحيت جانبا كل ما علق بالبلاغة من جفاف المنطق وتعقيد الأسلوب ، وذلك حتى يقف القارىء على ادراك مواطن الجمال فى لغتنا العربية الأصيلة ، ويدرك شيئا من الخصائص التى تميز بها نظم القرآن الكريم الذى أعجز فصحاء العرب أجمعين .

والله أسأل أن يجعل عملى هذا خالصا لوجهه ، وأن يعم به النفع وعلى الله قصد السبيل وهو حسبى ونعم الوكيل .

المؤلف

د. عبد الله محمد سليمان هنداوى

الفصل الأول

القصر

القصر فى اللغة : الحبس يقال : قصرته اذا حبسته ، وهو مقصور أى محبوس ، ومنه قوله تعالى « حور مقصورات فى الخيام(١) » أى محبوسات فيها ، والمعنى : أنهن قصرن أى حبسن على أزواجهن فلا يردن — غيرهم ولا يطمحن الى من سواهم ، ومن ثم فان المادة اللغوية وثيقة الصلة بالمضمون الاصطلاحى للقصر . ومنه قوله تعالى « وعندهم قاصرات الطرف أتراب(٢) » . أى : وعندهم حور قد قصرن الطرف على أزواجهن فلا يمددنه الى غيرهم .

وفى الاصطلاح : تخصيص شىء بشىء بطريق مخصوص.فالمراد — بالشىء الأول : المقصور ، وبالثانى : المقصور عليه والمراد بالطريق المخصوص : هو ما حدده البلاغيون من أدوات القصر وطرقه التى تفيد معناه ، لأن القصر قد يستفاد بغير طرقه المعلومة لدى البلاغيين ، ولكنه لا يعد قصرا اصطلاحيا ، لأنه لم يجىء عن طريق أدواته الموضوعة له مثل قولك : المتنبى مقصور على الشعر ، وقوله تعالى « والله يختص برحمته من يشاء(٣) » وما شاكل ذلك من العبارات التى تفيد القصر مثل قول الشاعر :

أرونى أمة بلغت مناها
بغير العلم أو حد اليمانى

---

(١) الرحمن : ٧٢ .
(٢) ص : ٥٢ .
(٣) البقرة : ١٠٥ .

وقـــول المتنبى :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى
حتى يــراق على جوانبـــه الـــدم

فكل هذا لا يدخل ضمن بحث البلاغيين فى القصر ، لأنهم أرادوا أن يحددوا مسار البحث فيه لــكى تنضبط أساليبه فقصروه على طرق مخصوصة ، ولأن هذه الطرق تتفاوت من حيث تنوع دلالاتها وفيهـــا تظهر الأغراض البلاغية والمزايا والأسرار والفوائد واللطائف والفروق التى يتميز بها كل طريق عن الآخر مما جعل مجال البحث فى هذه الطرق مجالا خصبا يرتاده الدارسون ويتبارى فيه أرباب الفصاحة والبيان .

والمراد بتخصيص الشىء بالشىء اثبات أحدهما للآخر ونفيه عن غيره فاذا قلت : « محمد كاتب » أفدت اثبات الكتابة لمحمد فقط،أما اذا قلت : « ما محمد الا كاتب » فقد أفدت شيئا زائدا عن مجرد الاثبات وهو نفى أن يكون شاعرا ، وقد جاء النفى من طبيعة دلالة القصر لأن محمدا مادام مقصورا على الــكتابة فانه منفى عنه الشاعرية ، ولذلك فان جمـــلة القصر فى قوة جملتين : احــداهما مثبتة والأخرى منفية ، والاثبـــات منصوص عليه فى معظم الطــرق والنفى متضمن فقولك : ما شوقى الا شـــاعر تفيد اختصاص شوقى بالشـــاعرية نصا ، ونفى الــكتابة عنــه ضمنا ، ولذلك فان من أهم أغـــراض القصر الايجـــاز وتمكين الــكلام وتثبيته فى الذهن لدفـــع ما قـــد يعلق به من شـــك أو انــــكار .

ثم ان المنفى قد يكون عاما أى شاملا لــكل ماعدا المقصور عليه ، وقد يكون خاصا بالاضافة الى شىء محدد فى ذهن مخاطبك ، ومن هنا تدخل على تقسيمات القصر : فينقسم القصر باعتبـــار المقصور عليـــه من حيث عموم المنفى وخصوصه الى ثلاثة أقسام :

١ ــ قصر حقيقى تحقيقى : وهو أن يختص المقصــور بالمقصور عليه فى الحقيقة والواقع بأن لا يتجــاوزه الى غيره أصلا أى أن النفى فيه شامل لــكل ماعــدا المقصور عليــه فى الحقيقة والواقع ، فقولنا : « لا اله الا الله » المراد منه قصر صفة الألوهية على الله تعالى وحده ونفيها عن جميع ما عداه فى الحقيقة والواقع،فلا اله يعبد بحق الا الله وقولك : « ما خاتم الرسل الا محمد » ، قصرت صــفة ختم الرســالة على محمد صلى الله عليه وسلم لا تتعداه الى غيره أصــلا فى الحقيقة والواقع فليس هناك رسول يتصف بهذه الصفة سوى محمد صلى الله عليــه وســلم .

وفى قوله تعــالى « وعنده مفــاتيح الغيب لا يعلمها الا هو(١) » قصران حقيقيان ، الأول فى قوله تعــالى « وعنده مفــاتيح الغيب » بطريق تقديم ما حقه التأخير أى تقديم المسند وهو الظرف « عنده » على المسند اليه « مفاتح الغيب » فأفاد أن مفــاتح الغيب عنــد الله أى مستقرة عنده ، وليست عند غيره ، فالمقصور هو : « مفاتح الغيب » والمقصور عليه ، كونها مستقرة عنده تعالى ، ويلزم منه العلم بها على جهة الخصيص ومن ثم يأتى القصر الثانى رادفا للأول ومؤكدا له فى المعنى بقوله تعالى : «لا يعلمها الا هو» بطريق النفى والاستثناء من قصر الصفة على الموصوف أى قصر صفة علم الغيب على الله تعالى لا تتعداه الى غيره أصلا فى الحقيقة والواقع ، ولا شك أن المقــام يقتضى هذا التخصيص والتأكيد ، لأنه ربما يتسرب الى الوهم أن أحــدا من أنبياء الله أو رسله أو ملائكته يعلمون شيئا من غيب الله تعالى لكونهم مقربين اليــه ومصطفين من خــلق الله ، أو الجن كما يتوهم بعض السـحرة والمفتونين بهم فنزل المخاطبون منزلة من يشك فى اختصاص علم الغيب

---

(١) الانعام : ٥٩ .

بالله تعالى ، فبهذا الاعتبـار اقتضى المقام التخصيص والتأكيد ، وأما ما ورد من اختصاص بعض أصفيائه من الرسل بالإطلاع على شيء من غيبه تعالى لقوله : «عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً الا من ارتضى من رسـول »(١) • فهو راجع الى علمه تعـالى لأنه حصـل باخبار منـه لمن ارتضـاه •

وفى قوله تعـالى « ومن يغفـر الذنوب الا الله » قصر حقيقى تحقيقى من قصر الصـفة « مغفرة الذنوب » على الموصـوف « الله » بطريق النفى والاستثناء ، لأن الاستفهام فى الآية بمعنى النفى بدليل الاستثناء أى لا يغفر الذنوب الا الله ، لأن مغفـرة الذنوب لا تقع من أحـد سوى الله فى الحقيقة والواقع ، فلا تتأتى من أصـنامهم التى يعبدونها من دون الله لتقربهم اليه زلفى ، أو لتشفع لهم عند الله ، ومنه قوله تعالى « هل جزاء الاحسان الا الاحسان(٣) » •

٢ ــ قصر ادعائى :

وهو ينقسم الى قسمين :

(أ) قصر حقيقى ادعائى (ب) قصر اضافى ادعائى •

فالقصر الحقيقى الادعـائى : هو تخصـيص شيء بشيء بمعنى اثباته له ونفيه عن كل ما عداه نفيا يقوم على المبالغة والتجوز ، بتنزيل كل ما عدا المقصور عليه منزلة المعدوم لعدم الاعتداد به ، لأن غرضك ــ المبالغة فى المقصور عليه ، فتقول فى قصر الموصوف على الصـفة : « ما حاتم الا جـواد » ، قصرت « حاتم » على صـفة الجـود بحيث

---

(١) الجن : ٢٦ ٣ ٢٧ •
(٢) آل عمران : ١٣٥ •
(٣) الرحمن : ٦٠ •

لا يتعداها الى غيرها من سائر الصفات ، بتنزيلها منزلة المعدوم لعدم الاعتداد بها استعظاما لصفة الجود فى « حاتم » ومبالغة فيها — لاشتهاره بها ، وملازمته اياها ، ولذلك ضرب به المثل فى الجود ، واستعير اسمه للجواد .

وتقول فى قصر الصفة على الموصوف : « ما شاعر الا شوقى » اذا أردت قصر صفة الشعر على شوقى بحيث لا يتعداه الى غيره من الشعراء بأن ينزلوا منزلة المعدوم بعدم الاعتداد بهم فى قول الشعر .

ومما يعد من القصر الحقيقى الادعائى : فى التنزيل الحكيم قوله تعالى « يأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون »(١) فالقصر فى الآية بطريق « انما » من قصر الموصوف على الصفة ، فالمقصور هو هذه الأربعة المذكورات وهى : الخمر والميسر والأنصاب والأزلام والمقصور عليه الاتصاف بصفة الرجس ، وهو قصر مبالغ فيه (٢) ، أو مبنى على المبالغة تنزها عن وصف آى القرآن الكريم بالادعاء ، لأن المراد — المبالغة فى اتصاف هذه الأربعة بصفة الرجس بحيث لا يعتد بما عداها من صفات هذه الأربعة .

وفى قوله تعالى « انما يخشى الله من عباده — العلماء »(٣) قصر حقيقى مبالغ فيه أو مبنى على المبالغة من قصر الصفة على الموصوف، لأن خشية الله مقصورة على العلماء ، واذا نظرنا فى الحقيقة والواقع نجد أن غير العلماء يخشون الله تعالى ، بل ان من العوام من هم أشد خشية لله من كثير العلماء لأنها خشية مبنية على الفطرة الخالصة

---

(١) المائدة : ٩١ .
(٢) انظر : تفسير التحرير والتنوير ٢٣/٧ بتصرف .
(٣) سورة فاطر : ٢٩ .

والانقيـــاد المطلق لله تعـــالى(١) ، ولكنـــه يعتد بهـــا بجانب خشـــية العلماء فهم أحق وأجدر بخشية الله من غيرهم لأنهم هم الذين يعرفون الله حق المعرفة ، يعرفونه فى آثار قدرته فى ملكوته مما يشتمل عليه من نظام محكم دقيق ، وفيه تعريض بذم العلماء الذين لم يخشـــوا الله حق الخشية فلم يعملوا بمقتضى علمهم .

مما سبق يتضح لنا الفرق بين القصر الحقيقى التحقيقى والحقيقى الادعائى وهو أن ما عدا المقصور — عليه فى القصر الحقيقى التحقيقى لا وجود له أصلا فى الحقيقة والواقع لأن نفيه عام فى الواقع، وفى القصر الحقيقى الادعائى : ما عدا المقصور عليه موجود فى الحقيقة والواقع الا أنه ينزل منزلة المعدوم فلم يعتد بوجوده مبالغة فى المقصور عليه .

فالمنفى فى كلا النـــوعين عام ولكن عمـــومه فى القصر الحقيقى التحقيقى على سبيل الحقيقة والواقع بمعنى أن النسبة الكلامية أى المفادة من الكلام تطابق النسبة الخارجية الواقعية فى القصر الحقيقى التحقيقى ، ولكنهـــا فى القصر الحقيقى الادعائى لا تطابق النســـبة الخارجية مطابقة تامة لأنها مبنية على الادعاء والمبالغة والتجوز .

(ب) القصر الاضافى الادعائى : وهو ما ينزل فيه ما عدا المقصور عليه — وهو ما يكون القصر بالاضافة اليه — منزلة المعدوم ، فتقول فى قصر الصـــفة على الموصـــوف : « ما فى الدار الا محمد » يعنى أن الحصول فى الدار مقصور على محمد لا يتجاوزه الى موصوف معين وهو « عـــلى » مثلا وان كان حاصلا لبكر وخالد وعمرو وغيرهم فلم يتعرض له القصر هذا هو معنى الاضافى ، وقد يدعى أن حصول على فى الدار منزل منزلة العـــدم ، وذلك اذا كان حصـــوله فى الدار وعدمه سواء لا أثر يرجى من ورائه ، وحينئذ تكون المبالغة فى كون الحصول

---

(١) لذا قال أبو حامد الغزالى « اللهم ارزقنى ايمانا كايمان العوام»

فى الدار مقصورا على محمد ولا يعتد بحصول على وان كان حاصلا .

وتقول فى قصر الموصوف على الصفة قصر اضــافيا ادعائيــا : « ما الحجاج الا خطيب » اذا أردت قصر الحجاج على صفة الخطابة بحيث لا يتعداها الى صفة معينة ، وهى الكتابة على حين أنه متصف بها أيضا مع الخطابة الا أنك لم تعتد باتصافه بصــفة الكتابة فتنزلها منزلة المعدوم ، لأنك أردت أن تبالغ فى وصفه بالخطابة لتفوقه فيهــا بالاضافة الى الكتابة .

من هنا يتضــح الفــرق بين القصر الحقيقى الادعائى والقصر الاضافى الادعائى فهما يشتركان فى أن المنفى فيهما ليس على ســبيل الحقيقة والواقع ، وانما على سبيل المبالغة والتجــوز بأن ينزل منزلة المعدوم لعدم الاعتداد به ويفترقان فى أن المنفى المبالغ فيه فى الأول يكون عاما وفى الثانى يكون خاصا وهو ما يكون القصر بالاضافة اليه —

٣ — القصر الاضــافى :

وهو ما يكون المنفى فيه لبعض ما عدا المقصــور عليه، كقولك : « ما محمد الا كاتب » أى لا شاعر فى قصر الموصوف على الصفة ، لأن المراد اثبات صفة الكتابة لمحمد فقط بالاضافة الى صفة أخرى محددة أردت — نفيها عنه ، وهى صفة الشاعرية .

وتقول فى قصر الصفة على الموصوف : « ما شجاع الا خالد » ، أى لا هشام مثلا ، لأن المراد اثبات الشجاعة لخالد فقط بالاضافة الى موصوف آخر أردت نفيها عنه وهو هشام .

فأنت فى قصر الموصوف على الصــفة فى قولك : « ما محمد الا كاتب » لا تنفى عنــه كل الصــفات ما عدا الكتابة حتى يكون قصرا حقيقيا ، وانما تنفى فقط أن يكون شاعرا ، أو شاعرا وخطيبا ، لأن المقام يقتضى اثبات صفة الكتابة لمحمد ، ونفى صفة الشــاعرية عنه ،

وسمى هذا القصر اضافيا ، لأن تخصيص المقصور بالمقصور عليه انما يكون بالاضافة الى شىء آخر معين ، وان أمكن أن يتجاوزه الى شىء آخر ، فلا يدخل ضمن مفاد القصر •

ثانيا : تقســيم القصر باعتبار طرفيه :

ينقسم القصر باعتبار طرفيه (المقصور والمقصــور عليه) الى قصر موصوف على صفة ، وقصر صفة على موصوف •

فأما الأول : وهو قصر الموصــوف على الصــفة ــ فمعنـــاه : ألا يتجاوز الموصوف تلك الصفة الى صفة أخرى أصلا اذا كان القصر حقيقيا ، أو الى صفة أخرى معينة اذا كان القصر اضافيا •

والمراد بالصفة هنا ليست الصــفة النحوية التى هى تابع يدل على معنى فى متبوعه غير الشـــمول مثـــل قولك : جاءنى رجل عالم ، فلا يصح لك أن تقول « ما رجل الا عالم » ، وانما المراد بها الصــفة المعنوية وهى كلما دل على معنى يقوم بالغير مثل الكرم ، والشجاعة والمحبة والاخلاص وغيرها مما يدل على معنى يقوم بالغير ، فاذا قلت: « ما محمــد الا كريم » تكون قد قصرت محمدا على صــفة الكرم ، « وما خالد الا شجاع » أيضا من قصر الموصوف على الصفة وأما قولك « ما كريم الا محمد » ، « وما شجاع الا خالد » فمن قصر الصفة على الموصوف ، وانما لم يقع القصر بين الموصوف والصفة أى بين المنعوت والنعت على ما قرره النحويون،لأن القصر يقوم على حكم بين المقصور والمقصور عليه ، ولا يتأتى حكم بين المنعوت والنعت حتى يقصر أحدهما على الآخر لعدم استقلال النعت بالمفهومية عن المنعوت ، فهما متلازمان لا ينفصل أحدهما عن الآخر ، كما لا ينفصل المضاف عن المضاف اليه، اذ هما كالكلمة الواحدة ، ولا يقع حكم بين جزئى كلمة •

واذا دل كلا الطرفين — أى المقصور والمقصور عليه — على ذات فانه يؤول أحدهما بالصفة ، ففى قولك : « ما الخاتم الا ذهب » : قصر الخاتم على الاتصاف بكونه ذهبا ، وفى قولك : « ما الباب الا ساج » : قصر الباب على الاتصاف بكونه ساجا ... وهكذا .

والمراد بالموصوف : هو كل ما قام به غيره — وان كان صفة فى نفسه ، ففى قولك : « انما الخشوع فى الصلاة » من قصر الموصوف على الصفة ، أى ما الخشوع الا كائن فى الصلاة ، ومنه قول رسول الله ﷺ « انما الصبر عند الصدمة الأولى » (١) أى ما الصبر الا الكائن عند هذه الصدمة .

وكذلك قوله تعالى « ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » (٢) قصرت فيه العبادة على التقريب ، قصر موصوف على صفة ، ومماتجدر الاشارة اليه أن قصر الموصوف على الصفة قصرا حقيقيا تحقيقيا لايكاد يوجد فى الكلام بل يتعذر ، لأنه من غير الممكن الاحاطة بصفات الشىء حتى يمكن اثبات شىء منها ونفى ما عداه ، فاذا كان الانسان لا يستطيع الاحاطة بصفات نفسه ، وبخاصة الباطنة منها فكيف يستطيع الاحاطة بصفات غيره ؟ فأنت عندما تقصر الموصوف على الصفة قصرا حقيقيا تحقيقيا تكون قد خصصته بهذه الصفة دون جميع ما عداها ، ومن ثم يلزمك الاحاطة — بجميع الصفات التى يتصف بها الموصوف حتى تكون قد استقصيت كل الصفات التى يمكن أن يتصف بها فتثبت له الصفة المختص بها والكائنة منه ، وتنفى عنه ما عداها أى جميع الصفات التى لم تكن فيه ، والاحاطة بجميع الصفات أمر متعذر كما بينا .

---

(١) صحيح البخارى : ١/٢٢٢ .
(٢) سورة الزمر : ٤ .

فاذا أردت قصر الموصوف على الصفة قصرا حقيقيا فليكن على سبيل المبالغة والادعاء مثل قولك : « ما شوقى الا شاعر » بأن تنزل جميع الصفات التى يتصف بها شوقى منزلة المعدوم ، فانه وان كان يتصف بصفات كثيرة غير الشاعرية الا أنك لم تعتد بهذه الصفات مبالغة فى اتصافه بصفة الشعر وبلوغه فيها مبلغا عظيما من الجودة والشهرة لا ترقى اليها أى صفة أخرى .

ثالثا : تقسيم القصر باعتبار حال المخاطب :

ينقسم القصر الاضافى باعتبار حال المخاطب الى ثلاثة أقسام :

افراد قلب تعيين

فاما قصر الافراد فهو : تخصيص أمر بصفة دون أخرى فى قصر الموصوف على الصفة ، أو تخصيص صفة بأمر دون آخر فى قصر الصفة على الموصوف ، فالمراد بالأمر الأول : الموصوف « المقصور » والمراد ــ بالأمر الثانى : الموصوف أيضا « المقصور عليه » تقول : « ما المتنبى الا شاعر » ردا على ما أعتقده شاعرا وكاتبا ، بافراده بصفة الشعر دون ــ اشتراكه فى صفتى الشعر والكتابة ، وهذا من قصر الموصوف على الصفة ، ومن قصر الصفة على الموصوف انولك : « ما جاءنى الا محمد » يخاطب به من يعتقد اشتراك محمد وعلى فى المجىء ، فأنت بهذا قد خصصت صفة وهى المجىء المنسوب اليك بأمر وهو « محمد » « الموصوف » دون أمر آخر وهو اشتراك محمد وعلى فى المجىء .

ويسمى قصر افراد لقطعه الشركة بين صفتين أو أكثر فى الثبوت ــ للموصوف فى قصر الموصوف على الصفة ، أو لقطعه الشركة أيضا بين الموصوف وغيره أى بين موصوفين أو أكثر فى الاتصاف بالصفة فى قصر الصفة على الموصوف ، فتكون بذلك قد أفردت الموصوف

بصفة دون اشتراكه فى صفتين أو أكثر مما اعتقد المخاطب اشتراكه فيه ـ أو أفردت الصفة بموصوف دون اشتراكه مع موصوف آخر أو أكثر فى الاتصاف بها •

وشرط قصر الموصوف على الصفة قصر افراد : عدم تنافى الوصفين حتى يصح اعتقاد المخاطب اجتماعهما فى الموصوف ، فقولنا: « ما شوقى الا شاعر » ينبغى أن تكون الصفة المنفية عنه كونه كاتبا أو خطيبا وذلك لصحة اجتماع الشعر والكتابة ، أو الشعر والخطابة فى الموصوف ، لأنه لا تنافى بين الوصفين ، ولا يصح أن تكون الصفة المنفية عنه كونه مفحما للتنافى بين الشاعرية والافحام •

ومما ورد فى أفصح الكلام من قصر الافراد قوله تعالى « ان أنا الا نذير مبين » قصر نبى الله نوح عليه السلام نفسه على صفة الانذار البين ردا على اعتقاد الكفار أنه موصوف بصفتين أحداهما اتباع أهوائهم بطرد المؤمنين ، لأنهم فى نظرهم أراذل حيث لم يعطوا حظا من الدنيا ـ لأجل أن يؤمنوا •• وثانيهما : أنه نذير مبين ، فأفرد نفسه بصفة الانذار دون اشتراكه فى صفتى اتباع أهوائهم والانذار، وقطع الشركة التى اعتقدها المخاطبون •

يرشدنا الى هذا السياق حيث قال الكفار فيما يحكيه الله عنهم « أنؤمن لك واتبعك الأرذلون • قال وما علمى بما كانوا يعلمون أن حسابهم الا على ربى لو تشعرون • وما أنا بطارد المؤمنين ان أنا الا نذير مبين » •

وفى قوله تعالى حكاية عن الكفار المنكرين للآخرة « ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمعوثين » فيه قصر الحياة على

الحياة الدنيا لا تتعداها الى الحياة الآخرة ، فان رسول الله ﷺ جاء يدعوهم الى الايمان بالحياة الآخرة وما فيها من بعث وحساب وجنة ونار .. الخ بجانب الحياة الدنيا التى هم فيها فقالوا له : ان الحياة ليست حياتين كما تدعى ، وانما هى حياة واحدة فقط وهى حياتنا الدنيا التى فيها موت وحياة يموت جيل ويحيا بعده جيل ، فأما الذين ماتوا ، وصاروا ترابا وعظاما فهيهات هيهات الحياة لهم فهم لا يقرون بالحياة الآخرة ، ومن ثم قصروا الحياة على الحياة الدنيا فقط دون اشتراكها فى الدنيا والآخرة قصر افراد(١) .

ومنه أيضا قول الرسول ﷺ « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين وانما أنا قاسم والله عز وجل يعطى « فان الصحابة رضوان الله عليهم — كانوا يسمعون الحديث من رسول الله — ولكن درجة الفهم والاستنباط كانت متفاوتة فيما بينهم ، فمنهم من لا يفهم منه الا — الظاهر الجلى ، ومنهم من يتعمق فى فهمه فيستنبط منه المسائل الكثيرة، فكلامه ﷺ حين يحدثهم مقسوم بينهم بالتساوى لأن — جميعهم مشتركون فى التلقى والسماع من رسول الله ، واما درجة الفهم والاستنباط من هذا الكلام انما هو عطاء الرحمن ، فالصحابة رضوان الله عليهم كأنهم يعتقدون أن الرسول — عليه السلام — قادر على القسم والعطاء أى منحهم القدرة على الفهم والاستنباط مما يحويه كلامه الشريف من دقيق المعانى ، وذلك لفرط اعتقادهم فى هدايته ، فأراد عليه السلام أن يقصر نفسه على القسمة فقط دون اشتراكه فى القسمة والعطاء ، فليس عليه السلام قاسما ومعطيا وانما هو قاسم فحسب ، وهذا قصر افراد .

---

(١) صحيح البارى ٢٤/١ .

قصر القلب :

هو تخصيص أمر بصفة مكان صفة أخرى فى قصر الموصوف على الصــفة أو تخصــيص صــفة بأمر مكان آخر فى قصر الصــفة على الموصوف ، تقول : « ما محمد الا قائم » اذا كان مخاطبك يعتقد عكس الحكم الذى أثبته بأن يعتقــد أن محمدا قــاعد لا قائم فتقلب عليه اعتقاده باثبات القيام له على جهة الاختصاص الذى يعنى نفى الصفة المقابلة للقيام وهى القعود عنه ، من قصر الموصــوف على الصــفة . وتقول أيضا على مذهب غير الخطيب كما ســنبين : ما خالد الا كاتب ردا على من اعتقده شاعرا لا كاتبا .

ومن قصر الصفة على الموصوف قولك : « ما كريم الا خالد » ردا على من اعتقــد أن الكريم هو هشــام مثلا ، فأنت قد خصصت صفة هى الكرم بأمر هو خالد مكان أمر آخر هو هشام .

ومما تجــدر الاشارة اليــه أن موقف المخاطب من المتكلم ليس مقصورا على اعتقاده عكس الحكم المثبت وان كان هــذا هو الغالب ، فقد لا يعتقد المخاطب العكس ولكنه يعتقد أن المتكلم هو الذى يعتقد العكس ، فالمتكلم عليه أن يصحح اعتقاد المخاطب بقلب الحكم الذى اعتقــده فيه ، فقولك : « ما خالد الا شــجاع » قد يكون ردا على من اعتقد اتصاف خالد بصفة الجبن دون الشجاعة ، وهذا هو الغالب ، وقد يكون ردا على من اعتقد أنك تعتقد اتصاف خالد بصفة الجبن دون الشجاعة ، وان كان هو ــ أى المخاطب ــ لا يعتقد ذلك ، فأنت تصحح له اعتقاده نحوك بقلب الحكم الذى اعتقده فيك ، لتبين له أنك تعلم الصواب لا الخطأ .

وكذلك لو قلت فى قصر الصفة على الموصوف : « ما شجاع الا خالد » قد يكون ردا على من اعتقد أن الشجاع هو هشام لا خالد ،

وقد يكون ردا على من اعتقد أنك تعتقد أن الشجاع هو هشام لا خالد وان كان هو نفسه لا يعتقد ذلك فأنت تصحح له أعتقاده نحوك بقلب الحكم الذى اعتقده فيك لتبين له أيضا أنك تعلم الصواب لا الخطأ . وسمى قصر قلب ، لأنك قلبت الحكم على المخاطب كما بينا .

واشترط الخطيب فى قصر الموصوف على الصفة قصر قلب تحقق تنافى الوصفين حتى تكون الصفة المنفية فى قولنا : « ما زيد الا قائم» كونه قاعدا أو جالسا ، وذلك ليكون اثبات المتكلم احدى الصفتين مشعرا بانتفاء الصفة الأخرى فتدل العبارة على أن المخاطب يعتقد العكس فيكون قصر قلب بيقين .

أما اذا لم تكن احدى الصفتين منافية للأخرى كما فى قولك : « ما الحجاج الا خطيب » أى لا كاتب فانه وان أشعر بانتفاء الكتابة عنه لا يدل قطعا على أن المخاطب يعتقد العكس بل يحتمل أن يكون المخاطب معتقدا الشركة نظرا لجواز اجتماع وصفى الخطابة والكتابة فى الموصوف فيكون قصر افراد .

ورد رأى الخطيب لعدة وجوه :

الأول : أن اثبات احدى الصفتين وانتفاء الأخرى لا يتوقف على تنافى الوصفين ، لأن اثباتها بطريق القصر مشعر بانتفاء غيرها كما هو مفاد القصر من اشتماله على الاثبات والنفى بل قد يصرح بهما كما فى طريق العطف نحو زيد قائم لا قاعد .

الثانى : أنه اذا أراد أن اثبات المخاطب تلك الصفة التى نفاها المتكلم كالقعود مشعر بانتفاء غيرها وهى التى أثبتها المتكلم كالقيام حتى يكون هذا عكسا لحكم المخاطب فيكون قصر قلب فهو أيضا مردود لجواز أن يكون انتفاء الغير معلوما من وجه آخر مثل أن يصرح المخاطب به فيقول : « ما زيد الا قاعد » . فيرد عليه المتكلم مثبتا العكس .

الثالث : أنه يترتب على ذلك أن يخرج قولك : « ما شوقى الا شاعر» لمن اعتقد أنه كاتب لا شاعر عن أحد أقسام القصر الاضافى لعدم التنافى بين الشعر والكتابة ، مع أنه لا شبهة فى كونه قصر قلب على ما صرح به السكاكى فانه لم يشترط هذا الشرط فى قصر القلب . كما لم يشترط فى قصر الافراد : عدم تنافى الوصفين لعدم الجدوى منه اذ من المعلوم أن المخاطب لا يتأتى له اعتقاد الشركة فى وصفين متنافيين عقلا .

وأما ما قيل من أن اشتراط تنافى الوصفين فى قصر القلب لحسنه فمما لا يعتد به ، لأنه لا خلاف فى حسن قولنا : «ما زيد الا كاتب» لمن اعتقده شاعرا لا كاتبا . ومن ثم فان الرأى السديد هو ما ذهب اليه السكاكى من عدم اشتراط هذا الشرط فى قصر القلب ومن عدم اشتراط « عدم تنافى الوصفين » فى قصر الافراد كما وضحنا .

ولا يغيب عن ذهنك أن اشتراط هذين الشرطين فى قصر الافراد وفى قصر القلب خاص بقصر الموصوف على الصفة ، أما قصر الصفة على الموصوف فلا اشتراط فيه لأن الموصوفات لا تكون الا متنافية .

ومن قصر القلب فى التنزيل الحكيم قوله تعالى « وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم »(١) فالله سبحانه وتعالى قد أخبر فى الآية السابقة أنه سيمد المسلمين بألف من الملائكة متتابعين لتثبيت المؤمنين وهذا الامداد ليس الا بشارة بالنصر وربطا على قلوب المؤمنين، أى ما هى الا أسباب أجراها الله تعالى وفقا لقانونه فى ربط الأسباب بالمسببات ، أما تحقيق النصر فهو من عند الله الذى أوجد الأسباب فالمسلمون قد يظنون أن الملائكة لكونهم مقربين من الله تعالى

---

(١) الأنفال : ١٠ .

لا يعصونه ويفعلون ما يؤمرون لهم مدخــل فى النصر ، ولذلك نزلهم منزلة من ظن أن مطلق النصر من الملائكة أو من المــلائكة وغيرهم من الأسباب فقلب حكمهم بأسلوب القصر المفــيد للتأكيد مبينا أن النصر مقصور على الله تعالى وحده لا يتعداه الى الملائكة وغيرهم من الأسباب

وفى قوله تعالى « ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحدا »(١) نجد القصر بطريق انما قصر لله على الوحدانية من قصر الموصوف على الصفة قصر قلب ، لأن المخاطبين — وهم النصــارى اعتقدوا عكس هذا الحكم المثبت ، وهو اثبات التعدد حيث قالوا : ان الله ثالث ثلاثة « تعالى عما يقولون علوا كبيرا »(٢) .

قصر التعيين :

هو تخصيص أمر بصفة مكان صفة أخرى فى قصر الموصوف على الصفة أو تخصيص صــفة بأمر مكان أمر آخر فى قصر الصــفة على الموصوف : فالمراد بالأمر فى الأول هو الموصوف « المقصور » والمراد بالأمر فى الثانى هو الموصوف أيضا « المقصور عليه » ، لأن المخاطب قد يكون مترددا بين صفتين ، أو أمرين أى بين الاثبات والنفى لاحدى هاتين الصــفتين أو أحد هذين الأمرين بأن تســاويا عنده ولا مرجح لأحدهما على — الآخر ، فجملة القصر تعين بعض ما تردد فيه المخاطب فاذا تردد فى اتصاف محمد بالشــجاعة أو الجبن وأردت أن تعين له احداهما قلت — «مامحمد الا شجاع» ، واذا تردد فى اثبات الشجاعة لمحمــد أو خالد ، وأردت أن تعين له أحدهما قلت : « ما شــجاع الا محمد» وسمى قصر تعيين لأن المتكلم عين بعض ما تردد فيه المخاطب.

---

(١) النساء : ١٧١ .
(٢) الاسراء : ٤٣ .

اتضح لك مما سبق أن قصرى القلب والتعيين قد اشـتركا فى تعريف واحد ، فكلاهما تخصيص أمر بصفة مكان أخرى أو تخصيص صـفة بأمر مكان آخر ، وليس هناك من فرق بينهما سـوى اعتقاد المخاطب ، فاذا كان معتقدا عكس ما يقوله المتكلم كان قصر قلب ، واذا كان مترددا كان قصر تعيين •

ولقد جعل السكاكى قصر التعيين داخلا فى قصر الافراد أى أن القصر عنده قسـمان : قصر افراد ، وقصر قلب ، لأن الافراد عنـده قطع الشركة سواء أكانت بطريق التعيين كما فى قصر الافراد ام كانت بطريق الاحتمال كما فى قصر التعيين ، ولذا فان الخلاف بين السكاكى والخطيب فى التقسـيم لا جدوى منه ، لأن أحوال المخاطب الثلاثة حاصلة عند كل منهما من اعتقاده الشركة ، أو اعتقاده العكس،أو تردده فى الحكم المثبت ، غاية ما هنالك أن السكاكى جعل قصر التعيين داخلا فى قصر الافراد وليس قسيما له •

ومما تجدر الاشارة اليه أن التقسيم السـابق الى افراد وقلب وتعيين انما هو خاص بالقصر الاضافى ، أما القصر الحقيقى فانه لا يتأتى فيه هذا التقسيم ، لأنه لا يتصـور اعتقاد المخاطب الشركة فى ثبوت لجميع الصـفات لأمر حتى يـرد عليه باثبـات احداها ونفى ما عداها فى قصر الموصوف على الصفة كما لا يتصور أيضا أن يعتقد المخاطب الشركة فىثبوت جميع الموصوفين لصفة ما حتى يرد عليه باثبات أحدها ونفى ما عداها فى قصر الصـفة على الموصـوف قصر افراد ، ولا يتصور أيضا أن يعتقد المخاطب اثبات جميع الصفات لأمر الا واحدة حتى يرد عليه بعكس اعتقاده كما لا يتصور من العاقل فى قصر التعيين أن يتردد بين ثبوت الجميع ونفيه من الصفات أو الموصوفين حتى يرد عليه بتعيين احداها أو أحدهم •

طرق القصـــر :

للقصر طرق كثيرة يؤدى بها ولكن البلاغيين أرادوا أن يضـــبطوا مسار البحث فى هذا الباب لكثرة الأساليب التى تفيد معناه فحددوا له طرقا خاصة يدور بحثهم حولها لأنها فى نظرهم هى التى تشتمل على النكات والفوائد اللطيفة والخصائص والميزات وهذه الطرق هى :

١ ـ العطف « بلا » أو « بل » أو لكن •
٢ ـ النفى والاستثناء •
٣ ـ انمـا •
٤ ـ تقديم ما حقه التأخير •
٥ ـ ضمير الفصل بين المسند اليه والمسند « المبتدأ والخبر » •
٦ ـ تعريف ركنى الاسناد •

أولا : طريق العطف :

هو من أوضح طرق القصر لمـا فيه من دلالة صريحة على المثبت والمنفى معـا ، والمـراد بالعطف فى باب القصر هو ما يكون « بلا » « وبل » « ولكن » •

والمقصور عليه فى القصر « بلا » هو المقابل لما بعدها تقـول فى قصر الموصوف على الصفة محمد كاتب لا شاعر فالمقصور عليه صفة الكتابة لأنها هى المقابلة لصفة الشعر المنفيـة عن الموصوف • ويمكنك أن تجرى فى هـذا المثـال أنواع القصر الثلاثة ـ افراد ـ وقلب وتعيين فاذا كان المخاطب يعتقد اشتراك محمد فى الكتابة والشـعر يكون قصر افراد ، لأن المتكلم قد أفرد له اثبات احدى الصفتين وهى الكتابة ونفى الأخرى عنه وهى الشـعر • واذا كان المخاطب يعتقـد اتصاف محمد بالشعر دون الكتابة يكون قصر قلب ، لأن العبارة قلبته

معتقد المخاطب بأن أثبتت ما نفاه ونفت ما أثبته ، وهذا المثال يصح فيه القلب على رأى غير الخطيب القزوينى ، لأنه يشترط فى هذا النوع من القصر « تنافى الوصفين » ولا تنافى هنا بين الشعر والكتابة ، كما بينا . واذا كان المخاطب مترددا بين اثبات احدى الصفتين له ونفى الأخرى يكون قصر تعيين ، لأن المتكلم عين له ما تردد فيه — وفى قصر الصفة على الموصوف تقول : جاءنى محمد لا خالد ، فقد قصرت صفة المجيء على محمد ونفيتها عن خالد . ويمكنك أيضا أن تجرى فيه أنواع القصر الثلاثة على حسب معتقد المخاطب كما مر .

ويشترط فى العطف « بلا » ألا يكون ذلك المنفى بها منفيا قبلها بغيرها من أدوات النفى ، لأنها موضوعة لأن تنفى بها ما أوجبته للمبتوع « المعطوف عليه » لا لأن تعيد بها النفى فى شيء قد نفيته . والمقصور عليه فى العطف ببل ولكن هو ما يأتى بعدهما ، والمنفى هو المقابل للمقصور عليه .

فاذا قلت : ما الحجاج شاعرا بل خطيب كان المقصور عليه هو صفة الخطابة التى وقعت بعد بل من قصر الموصوف « الحجاج » على الصفة ويمكنك أن تجرى فى هذا المثال أيضا أنواع القصر الثلاثة « افراد — وقلب — وتعيين » على حسب معتقد المخاطب ، واذا قلت: ما جاءنى محمد بل على كان المقصور عليه هو «على» الواقع بعد«بل» من قصر الصفة « المجيء » على الموصوف « على » ويمكنك أيضا أن تجرى فى هذا المثالقصر الافراد والقلبوالتعيين وفقا لمعتقد المخاطب. ومثال القصر بالعطف «بلكن» قولك : ما عبد الحميد شاعرا لكن كاتب ؟ فالمقصور عليه هو صفة الكتابة الواقعة بعد لكن ، والمنفى عنه هو الصفة المقابلة للمقصور عليه وهى صفة الشعر وتقول فى قصر الصفة على الموصوف ما جاءنى محمد لكن على ، فالمقصور عليه هو « على » من قصر الصفة وهى « المجيء » على الموصوف « على » .

وشرط القصر بالعطف (ببل ولكن) أن يقعا بعد نفى لأنهما بعد النفى تفيد ان اثبات الحكم للتـابع « المعطوف » ونفيـه عن المتبوع « المعطوف عليه » فيتأتى معنى القصر ، فاذا قلت : ما محمد خطيبـا بل كاتب فان معناه نفى الخطابة عن محمد واثبات الكتابة له ، وهـذا هو القصر ، فالمقصـور هو محمد ، والمقصـور عليه هو الكتابة قصر موصوف على صفة .

يقول المتنبى :

وتشرف عدنان به لا ربيعـة وتفتخر الدنيا به لا العواصـم

قصرت صفة الشرف على « عدنان » ونفيت عن ربيعة ، أى أن الشرف مقصور على العرب جميعا وليس مختصا بقبيلة دون أخرى . وقصرت أيضا صفة الافتخار على الدنيا ونفيت عن العواصم .

ويقول الشـاعر :

ليس اليتيم الذى قد مات والده بل اليتيم يتيم العـلم والأدب

هنا قصر صفة اليتم على من فقد العلم والأدب ونفاها عمن فقد أباه قصرا اضافيا ادعائيا من قصر القلب لأن الناس عادة يعرفون أن اليتيم هو الذى فقد أباه ، فأراد الشاعر أن يبالغ فى من فقـد العلم والأدب بقصر صفة اليتم عليه ولا يعتد بيتم من فقد أباه بأن ينزل منزلة المعدوم .

ومن العطف بلكن ما جاء فى قوله تعالى « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين »(١) كان التبنى موجودا فى الجاهلية بأن يتبنى الرجل أحد الأبنـاء وخاصـة الذين يقعون فى السبى حين يؤخذ الأطفال والفتيان فى الحروب والغارات فمن شـاء

---

(١) الأحزاب : ٤٠ .

أن يلحق بنسبه واحدا من هؤلاء دعاه ابنه وأطلق عليه اسمه وعرف به ، وصارت له حقــوق البنوة وواجباتها ، ومن هؤلاء زيد بن حارثة الكلبى وهو من قبيلة عربية ، سبى صغيرا فى أيام الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة — رضى الله عنها — فلما تزوجها رسول الله — ﷺ — وهبته له ثم طلبه أبوه وعمه فخيره رسول ﷺ فاختار رسول الله — ﷺ — فأعتقه وتبنــاه ، وكانوا يقولون عنه زيد ابن محمد ، فالمشركون يعتقدون اثبات أبوة محمد ﷺ لزيد وينفون عنه الرسالة وختم النبوة فأراد الله تعالى أن يبطل عادة التبنى هذه ويرجع الأبوة الى أسبابها الحقيقية — من علاقات الدم والبنوة الواقعية،فقال تعالى « ادعوهم لآبائهم هو أقسط عنــد الله »(١) وأن يقلب على المشركين اعتقادهم باثبات ما نفوه ونفى ما أثبتوه أى باثبات الرســالة وختم النبوة لمحمد ﷺ التى نفوها عنه ونفى أبوته لزيد وغيره من الرجال التى اعتقدوا اثباتها لرسول الله ﷺ من قصر القلب .

ثانيا : طريق النفى والاستثناء :

المراد بالنفى كل ما يفيد معناه من أدواته مثل (ما ، ولا ، وأن ، وليس ، ولم ، ولن) — والاستفهام الذى فى معنى النفى كما فى قوله تعالى «هل جزاء الاحسان الا الاحسان» (٢) بمعنى ما جزاء الاحسان الا الاحسان من قصر الموصوف على الصفة،والمراد بالاستثناء أيضا كل ما يفيد معناه من أدواته مثل (الا،وغير،وسوى)تقول : لم يغب عن الامتحان سوى طالب واحد ، فقد قصرت صفة الغياب عن الامتحان على طالب واحد من قصر الصفة على الموصوف ، وتقول : لم يفز أحد

---

(١) الأحزاب : ٥ .

(٢) الرحمن : ٦٠ .

من الطلاب بالجائزة غير خالد فقد قصرت الفوز بالجائزة على خالد من قصر الصفة على الموصوف أيضا .

وهــذا الطريق من أوضــح طرق القصر وأقواها ودلالته على القصر دلالة وضعية ، ولذلك نجد البلاغيين يوضحون معانى القصر فى بعض طرقه بطريق النفى والاستثناء كما فى طريق « انما » اذ قالوا : انها تتضمن معنى (ما والا) فاذا قلت : «انما محمد شجاع»كان فى معنى « ما محمد الا شجاع » ، ولابد أن يتقدم الاستثناء نفى حتى يتأتى معنى القصر ، أما الاستثناء من الموجب فلا يحمل معنى القصر ، فاذا قلت مثلا : حضر الطلاب الا خالدا كان فى معنى اثبات حضــور الطلاب المغايرين لخالد ، فلا يتحقق فيه معنى النفى والاثبات اللذين يفيدان القصر .

والمقصور عيه فى النفي والاستثناء هو ما يلي أداة الاستثناء ، تقول فى قصر الموصوف على الصفة : نحو « ما خالد الا كريم » فان كان الخطاب مع من اعتقده كريما وشجاعا كان قصر افراد ، وأن كان مع من اعتقده بخيــلا لا كريما كان قصر قلب ، واذا تردد بين اثبات صفة البخل له أو صفة الكرم بأن تساويا عنده ولا مرجح لأحدهما على الآخر كان قصر تعيين لأن المتكلم عين ما تردد فيــه ، وتقول فى قصر الصفة على الموصوف ما جاءني الا خالد ، قصرت صــفة المجيء على خالد ويمكنك أن تجري فيه قصر الافراد والقلب والتعيين كما مر وفقا لمعتقد المخاطب .

ويستعمل هذا الطريق فى مقام المخــاطب المنكر أو المنزل منزلة المنكر يقول الشيخ عبد القاهر « أما الخبر بالنفى والاثبات نحو ماهذا الا كذا وان هو الا كذا فيكون للأمر ينكره المخاطب ويشك فيه ، فاذا

قلت : ما هو الا مصيب ، أو ما هو الا مخطىء قلته لمن يدفع أن يكون الأمر على ما قلته ، واذا رأيت شـخصا من بعيد فقلت ما هو الا زيد لم تقله الا وصاحبك يتوهم أنه ليس بزيد وأنه انسان آخر ، ويجد فى الانكار أن يكون كذلك (١) .

وفى قوله تعـالى : « حتى اذا جاؤوك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا أساطير الأولين ، وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون أنفسهم وما يشعرون »(٢) .

روى الواحدى فى أسباب نزول هـذه الآية عن ابن عباس أن أبا سفيان بن حرب وعتبة وشيبة ابنى ربيعة وأبا جهل والوليـد بن المغيرة والنضر بن الحارث اجتمعوا الى النبى ﷺ يستمعون القرآن فلما سمعوه قالوا للنضر : ما يقول محمد ؟ فقال : والذى جعلها بيته (يعنى الكعبة) ما أدرى ما يقول الا أنى أرى تحرك شفتيه فما يقول الا أسـاطير الأولين مثل ما كنت أحـدثكم عن القرون المـاضية من أقاصيص العجم مثل قصة (رستم) و (اسفنديار)(٣) . فالمخاطب بهذا هو النبى ﷺ ، وهو ينكر أشـد الانكار أن يكون ما جاء به من عند الله أساطير ، ويعتقد يقينا أنه حق لا ريب فيه ، ولهذا جىء الكفار بأسلوب النفى والاستثناء لمواجهة هذا الانكار من المخـاطب وهو من قصر القلب لأن الحـكم الذى أثبتوه وهو قصر ما جاء به من عند الله على أساطير الأولين عكس ما اعتقده المخاطب اذ هو عليه السلام ينفى أن يكون ما جاء به أساطير الأولين ويثبت أنه حق وصدق لا ريب فيه.

---

(١) الدلائل : ٢٢٦ .

(٢) الأنعام : ٣٦ .

(٣) أسباب النزول : ١٦٠ .

ومعنى « ينهون عنه » أى ينهون الناس عن الاستماع الى القرآن ويتباعدون عن استماعه ، وفى قوله تعالى : « وأن يهلكون الا أنفسهم » قصر اضـافى من قصر القلب لأنهم يعتقدون أنهم بنهيهم النـاس عن استماع القرآن والابتعاد عنه أنهم يهلكون الرسالة وصاحبها ،فقلب الله اعتقادهم مبينا أنهم بفعلهم هذا لا يهلكون الا أنفسهم ، وجاء بالنفى والاستثناء لأن المخـاطبين وهم الكفـار ينكرون أنهـم لا يهلكون الا أنفسهم،ويعتقدون أنهم يهلكون الرسالة وكتابها•وفى قوله تعالى : « وما يشعرون » زيادة فى تحقيق الخطـأ فى اعتقـادهم ، واظهـار لضعف عقولهم •

ومن تنـزيل غير المنكـر منزلة المنكر ما نراه فى قوله تعـالى « ان أنت الا نذيـر »(١) قصر الله تعـالى المخـاطب وهو محمـد ﷺعلى صفة الانذار دون اشتراكه فى صفتى الهداية والانذار ، من قصر الموصوف على الصفة قصر افراد • ولم يكن ﷺ ينكر انه مقصور على الانذار فقط ولكنه نزل منزلة من ينكر ذلك بسبب ما صدر منه ﷺ من حرصه على هداية القوم وضيقه من عدم هدايتهم حتى كاد يبخع نفسه أى يقتلها بسبب عدم ايمانهم بدليل مخاطبة الله تعالى له بقوله « لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين »(٢) فنزل الرسول من أجل ذلك منزلة من يعتقد أنه يملك مع الانذار القدرة على هداية القـوم وكأنه عليه السلام ينكر أن يكون مقصـورا على الانذار فقط دون ايجـاد الهداية فى القلوب ، فان الهدى هدى الله ، وقال الله تعالى بأسـلوب التأكيد « انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء »(٣) •

---

(١) فاطر : ٢٣ •
(٢) الشعراء : ٣
(٣) القصص : ٥٦ •

ويقول الشيخ عبد القاهر : « وجملة الأمر أنك متى رأيت شيئا هو من المعلوم الذى لا يشك فيه قد جاء بالنفى فذلك لتقدير معنى صار به فى حكم المشكوك فيه — فمن ذلك قوله تعالى : « وما أنت بمسمع من فى القبور ان أنت الا نذير »(١) انما جاء والله أعلم — بالنفى والاثبات لأنه لما قال تعالى « وما أنت بمسمع من فى القبور » وكان المعنى فى ذلك أن يقال للنبى ﷺ : انك لن تستطيع أن تحول قلوبهم عما هى عليه من الاباء ، ولا تملك أن توقع الايمان فى نفوسهم مع اصرارهم على كفرهم ، واستمرارهم على جهلهم وصدهم بأسماعهم عما تقوله ، وتتلوه عليهم كان اللائق بهذا أن يجعل حال النبى ﷺ حال من قد ظن أنه يملك ذلك ، ومن لا يعلم يقينا أنه ليس فى وسعه شىء أكثر من أن ينذر ويحذر فأخرج اللفظ مخرجه اذا كان الخطاب مع من يشك فقيل : ان أنت الا نذير » .

كيف أفاد النفى والاستثناء القصر ؟

والجواب : أنك اذا قلت : فى قصر الموصوف على الصفة ما خالد الا كاتب فان النفى يتوجه الى صفة خالد لا الى ذاته لأن الذوات لا تنفى ، وانما تنفى الصفات باعتبار تعلقها بالذات ، ولما كان الخلاف فى كونه شاعرا وكاتبا معا وفى كونه شاعرا لا كاتبا ، أو فى كونه مترددا فى اتصافه بصفة الشعر أو الكتابة على حسب معتقد المخاطب فى الأحوال الثلاثة فان النفى أولا قبل ذكر أداة الاستثناء يتناول هذه الصفات باعتبار تعلقها بالموصوف أى يتناول معتقد المخاطب كله فى كل حالة باعتبار المقام ، ومن المعلوم أن معتقد المخاطب يشتمل على الخطأ والصواب وأنت تصحح اعتقاده باثبات الصواب ونفى الخطأ ، فأنت قبل ذكر أداة الاستثناء نفيت معتقد المخاطب

---

(١) سورة فاطر ٢٢ ، ٢٣ .

صــوابه وخطأه فاذا قيل : الا كاتب فقد أثبت له الـكتابة ونفيت عنه الشعر وهذا هو معنى القصر ، لأن « الا » للاخراج وهو يســتدعى مخرجا منه ، ويجب أن يكون عاما ليتناول المستثنى ، واذا قلت : فى قصر الصفة على الموصوف : « ما جاءنى الا محمد » فان النفى يتوجه الى الوصف أيضا ، واذا كان الوصف وهى المجىء لا نزاع فى ثبوته ، وانما النزاع فى الموصوف به هل هو محمد أو خالد فقد شملهما النفى باعتبار اتصافهما بالمجىء فاذا قيل : الا محمد فقد أثبت أحد الموصوفين وبقى الآخر منفيا باعتبار اتصافه بصفة المجىء وهذا هو معنى القصر.

ثالثا : انمــا :

دلالة « انما » على القصر دلالة وضــعية ، ولذا فقد قالوا انهــا تفيد القصر لتضمنها معنى « ما » و « الا » أى النفى والاســتثناء ، وقد استدل البلاغيون على تضمنها معنى ما والا بثلاثة أوجه .

الأول : ما قاله المفسرون فى معنى قوله تعالى « انما حرم عليكم الميتة »(١) بالنصب معناه ما حرم عليكم الا الميتة ، وهذا المعنى هو المطابق لقراءة الرفع ، أى رفع الميتة ، اذ هى تفيد القصر أيضا ولكن بطريق آخر وهو تعريف الطرفين .

وتوجيه القراءة الأولى أن يقــال : ان قراءة نصب الميتــة هى المشهورة(٢) ، وعليها يكون الفعل « حرم » مبنيا للفاعل و « ما » فى « انما » كافة ، وفاعل « حرم » ضمير مستتر تقديره « هو » يعود الى لفظ الجلالة ، والميتة مفعول به منصوب بالفتحة ، ولا يمكن أن تكون « ما » على هذه القراءة « موصولة » اذ لو كانت موصولة لبقى « ان »

---

(١) البقرة : ١٧٣ .
(٢) القراءات الشاذة ابن خالويه ص ١١ ـ قراءة ابن أبى الزناد.

بلا خبر والموصول بلا عائد ، لأن الجملة الواقعة بعدها على هذا ستكون صلة الموصول ، والموصول مع صلته كالشيء الواحد أى كالمضاف مع المضاف اليه،والموصوف مع صفته وعلى هذا لا يبقى للكلام معنى لأنه ناقص الفائدة اذ أن الخبر هو محط الفائدة كما قال ابن مالك : والخبر هو الجزء المتم للفائدة:كالله بر والأيادى شاهده وقد فسروا قراءة النصب بما حرم عليكم الا الميتة مما يدل على أن انما متضمن بمعنى ما والا ، وقد التقت هذه القراءة مع قراءة رفع الميتة فى افادة القصر لأن « ما » فيها موصولة بمعنى « الذى » والعائد ضمير محذوف مبنى فى محل نصب مفعول به لحرم ، والميتة خبر « ان » والتقدير ان الذى حرم الله عليكم الميتة ، وهى تفيد معنى القصر بتعريف ركنى الاسناد أى المسند اليه والمسند •

الثانى : قول النحاة : انما لاثبات ما يذكر بعدها ونفى ما سواه فاذا قلت : « انما زيد قائم » فهو لاثبات قيام زيد ونفى ما سواه من القعود ، وهو من قصر الموصوف على الصفة ، وتقول فى قصر الصفة على الموصوف انما يقوم زيد ، فقد أثبت القيام لزيد ونفيته عن عمرو مثلا وهو ما سوى زيد فى معتقد المخاطب وعلى هذا يتحقق معنى القصر لأنه لابد فيه من الاثبات والنفى •

الثالث : صحة انفصال الضمير معها • وبيان ذلك أنك تقول : « أقوم » على أن الفاعل ضمير مستتر فى الفعل تقديره « أنا » وتقول « قمت » التاء ضمير المتكلم فاعل مبنى فى محل رفع ، فاذا أردت أن تقصر القيام على الفاعل فلا بد من انفصال الضمير ، فتقول : « مايقوم الا أنا ، وانما يقوم أنا » فتبين من هذا أن انفصال الضمير هنا لغرض القصر ، لأن المقصور عليه فى النفى والاستثناء هو الواقع بعد أداة الاستثناء ، والمقصور عليه فى « انما » هو الجزء المؤخر المستقل فى الجملة فاعلا أو مفعولا أو ظرفا •• الخ ، ولا يصح لك فى غير اسلوب

القصر أن تقول « أقوم أنا » الا على أن الضمير مؤكد للفاعل المستتر، والتأكيد لا يستقل بالمفهومية الا مع مؤكده ومن ثم لا يمكن اعتبـاره مقصورا عليه ، وقد استشهدوا لصـحة هذا الانفصال بقول الشاعر :
(الفرزدق) :

أنا الذائد الحامى الذمار وانما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى

فانه لما كان غرضـه أن يخص نفسه بأنه المدافع لا المدافع عنه فصل الضـمير وأخره ، لأنه أراد أن يقول : ما يدافع عن أحسـابهم الا أنا ، بقصر المدافعة عن الأحساب على نفسه من قصر الصـفة على الموصوف ، اذ لو قال : « انما أدافع عن أحسابهم » لاختل المراد الذى يهدف اليه الشاعر ويكون المعنى أنه لا يدافع الا عن أحسابهم بقصر المدافعة الصادرة منه على أحسابهم لا على أحساب غيرهم، وهـذا ليس مراده،ولا يتفق مع سياقه الذى يقتضيه مقام الفخر،وانما مراده أنه لا يدافع عن أحساب قومه أحد الا هو ، ولو قال « وانما أدافع عن أحسابهم أنا » كان الفاعل الضمير المستكن فى الفعل وكان « أنا » الظاهر تأكيدا لهذا الضمير المستتر ، والحكم انما يتعلق بالمؤكد دون التأكيد ، لأن التأكيد كالتكرير يجىء بعـد نفوذ الحكم ، وعلى هـذا لا يكون تقديم الجار والمجرور الذى هو قوله « عن أحسابهم » على الضمير الذى هو تأكيد تقديما له على الفاعل ، لأن الفاعل هو الذى وقع فيه الاختصاص أى هو المقصـور عليه ، ولا يتـأتى أن يجىء المقصور عليه فى انما مقدما على المقصور فضلا عن استتاره فى الفعل، ومن ثم كان لا بد من أن يكون ضمير المتـكلم المؤخر عن الأحسـاب فاعلا للفعل « يدافع » حتى يمكن اعتباره مقصورا عليه .

موقع المقصور عليه فى انما :

المقصور عليه مع انما هو المؤخر وهو الجزء المستقل فى الجملة فاعلا أو مفعولا أو ظرفا أو جارا ومجـرورا تقول « انما تغيبت عن

الكلية يوم الخميس » فالمقصور عليه هو « يوم الخميس » وتقول : كتب محمد الدرس وقت ما سمعه فالمقصور عليه أيضا هو « الظرف » وهو وقت سماعه المدرس ، فاذا قلت : « انما كتب محمد الدرس » كان المقصور عليه هو « المفعول به » (الدرس) فاذا قلت : « انما خالد صديقك القديم » ، فالمقصور عليه هو « الصديق القديم » أعنى « الموصوف مع صفته » ولا يمكن أن تقع الصفة مقصورا عليها ، لأنها ليست جزءا مستقلا فلا يمكن أن يتوجه اليها حكم الا بانضمام الموصوف اليها ، وكذا الشأن فى سائر التوابع فانها وحدها لا تستقل بالمعنى الا بانضمام المتبوع لها .

مقام استعمال انما :

يقول البلاغيون انها تأتى للأمر الذى من شأنه الا يجهله المخاطب ولا ينكره ، أو ما ينزل هذه المنزلة . توضيح ذلك . أنك تقول للرجل « انما هو أخوك » فالمخاطب لا يجهل هذه الحقيقة ولا يمارى فى صحتها ، وانما هى معلومة عنده ولكنك تنفذ من وراء هذا الى معنى آخر وهو أنك تريد أن تنبهه للذى يجب عليه من حق الأخ اذا كان مقصرا فى القيام بما يجب عليه نحو أخيه ، فأنت ترققه وتستميل قلبه نحوه بهذا الأسلوب . وتقول لصاحبك عندما تراه غاضبا من صديقه : « لا تغضب من فلان فانما هو صديقك » ، فمخاطبك لا ينكر هذه الحقيقة ولا يجهلها ، ولكنك تريد أن تذكره بحرمة الصديق وما يجب عليه نحوه ، وكأنك تريد أن تمتص ثورة غضبه فى رفق ولين ، ومنه قول المتنبى فى مدح كافور :

انما أنت والد والأب القا طع أحنى من واصل الأولاد

يقول الشيخ عبد القاهر : « لم يرد أن يعلم كافورا أنه والد

ولا ذاك مما يحتاج كافورا فيه الى الاعلام،ولكنه أراد أن يذكره بالأمر المعلوم ليبنى عليه استدعاء ما يوجبه كونه بمنزلة الوالد »(١) .

وتقول : « انما يعجل من يخشى الفوت » ، فانه من المعلوم الظاهر أن الذى يعجل هو من يخشى فوات الفرصة التى قد لا تتاح له مرة أخرى ، أو تتاح ولكن الحصول عليها بمشقة وصعوبة ، ومعلوم أيضا أن من لم يخش الفوت لم يعجل ، فكأنك تريد أن تنبهه الى أن يتأنى فى الحصول على الشىء مادام لا يخشى فوته .

ومثاله من التنزيل الحكيم قول الله تعالى « انما يستجيب الذين يسمعون »(٢) قصر المولى سبحانه الاستجابة على من يسمع ، وهذا أمر ثابت معلوم ، لأن كل عاقل يعلم أنه لا تكون استجابة الا ممن يسمع ويعقل ما يقال ويدعى اليه : فالمقصود سمع خاص وهو سمع الاعتبار والفهم لأن الذى يسمع ولا يفقه ما سمعه ولا يعتبر كمن لا يسمع .

ومنه قول الله تعالى : « انما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب »(٣) قصر صفة الانذار على من يؤمن بالله ويخشاه من قصر الصفة على الموصوف . ومعلوم أيضا أن الانذار الذى يعتد به والذى يؤثر فى القلوب هو انذار من اتبع القرآن وانتفع بهدايته وخشى الرحمن دون أن يراه ، لأنه هو المنتفع بالانذار ، فكأنه وحده هو الذى وجه اليه الانذار ، فأما الكافر الجاهل فالانذار وترك الانذار معه سواء كما قال تعالى « ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون »(٤) .

---

(١) دلائل الاعجاز : ٢٣٥ .
(٢) الأنعام : ٣٦ .
(٣) يس : ١١ .
(٤) البقرة : ٦ .

وأما مثال ما ينزل منزلة الأمر المعلوم فكقول عبيد الله بن قيس الرقيات في مدح مصعب بن الزبير :

انما مصعب شهاب من اللـــ ـــه تجلت عن وجهه الظلماء

فمصعب مقصـــور على كونه نورا وهاجا تهتـــدى الناس به في دياجير الظلمات ، وهذا أمر ليس معلوما للمخاطبين ، لأنه في حاجة الى دليل ، ولكن الشاعر وهو في مقام المدح استعمل طريق « انما » ليدعى أن اتصاف مصعب بهذه الصـــفة أمر ظاهر معلوم للجميـــع على عادة الشعراء اذا مدحوا أن يدعوا في الأوصاف التى يذكرون بها المدوحين أنها ثابتة لهم ، وأنهم قد شهروا بها ، وأنهم لم يصـــفوا الا بالمعلوم الظاهر الذى لا يدفعه أحد •

وأنت اذا رأيت أن تبالغ في اختصاص انسان بصفة الشـــجاعة فانك تشبهه بالأسد وتقصره عليه بطريق انما ، لأنك أردت أن تجعـــل ذلك في حكم الظاهر الذى لا ينكر ولا يمارى فيه أحد ، فهو والأسد سواء ، فتقول : انما هو أسد •

ومن تنزيل المجهول منزلة المعلوم أيضـــا ما نراه في قوله تعالى حكاية عن اليهود : « وإذا قيل لهم لا تُفسدوا في الأرض قالوا انمـــا نحن مصلحون »(١) المسلمون لما وصفوهم بالافساد دون الاصـــلاح أجابوا عليهم بقلب حكمهم وخصوا أنفسهم بالاصلاح دون الفساد من قصر القلب،وآثروا طريق انما لتدل على أنهم حين ادعوا لأنفسهم أنهم مصلحون أظهروا أنهم يدعون من ذلك أمرا ظاهرا جليا لا ينبغى لأحد أن يحكم بخلافه،ولذلك جاء (ألا أنهم هم المفسدون) للرد عليهم مؤكدا بما ترى من جعل الجملة اسمية،وتعريف الخبر بلام الجنس،وتوسيط

---

(١) سورة البقرة الآية ١١

ضمير الفصل،وتصدير الجملة بحرف التنبيه،وبأن،وجاء الرد أيضا مفيدا للقصر لما يشتمل عليه من ضمير الفصل،وتعريف الخبر بلام الجنس،وهو من قصر القلب أيضا أى أنهم مقصورون على الافساد لا يتجاوزونه الى الاصلاح بوجه من الوجوه ، فكأن الفساد كله قد تمثل فيهم ، وأن ما يوجد فى الأرض من فساد لا يعتد به اذا قيس بفسـادهم ، وهذا أمر استدعاه المقام لما كانوا يفعلونه من اشعال نار الفتن والحروب بين المسلمين بعضهم البعض وبين المسلمين والكفار « كلما أوقدوا نـارا الحرب أطفأها الله »(١) وانظر الى مكرهم وخداعهم بهذا الاسـلوب الملتوى باهمالهم حال المخاطب فلم يلتفتوا الى ما فى نفوس المسلمين من الاعتقاد بأنهم مفسدون وأجابوا بما يفيد أنهم مقصورون على الاصلاح دون الافساد ، وهذه حقيقة شائعة مستفيضة بين الناس معلومة لديهم ، ولذلك لم يعتدوا بانكار من ينكر عليهم هذه الحقيقة ، ولو أنهم قصدوا مقصد الانصاف لسألوا الناس عن وجوه الفسـاد وناقشوهم فيها ، من أجل ذلك كله جاء الرد عليهم بقلب اعتقـادهم مؤكدا بهذه الجملة التى تتزاحم فيهـا عناصر التوكيد ، والتى تفيد قصرهم على صفة الافساد دون الاصلاح كما يزعمون » .

أحسن مواقع انما :

أحسن مواقعها التعريض وهو اللفظ المشار به الى جانب والغرض منه جانب آخر بأن يتضمن الكلام دلالة على شىء ليس له فيه ذكر لأن المعنى المعرض غير مذكور فى الكلام ، وانما يفهم من السياق وقرائن الأحوال .

ولذلك نجد الشيخ عبد القاهر يحدد المعنى المعرض به فيقول «انك اذا استقريت وجدتهـا أقوى ما تكون وأعلق ما ترى بالقلب اذا كان

(١) المائدة : ٦٤ .

لا يراد بالكـلام بعدهـا نفس معنـاه ، ولكن التعريض بـأمر هو مقتضاه » (١) ٠

ففى قوله تعالى « انما يتذكر أولوا الألباب » (٢) نجد المعنى الظاهر المعلوم لدى الأفهام غير مراد ، لأن الغرض من ذكر هذه العبارة هو ذم الكفار وأن يقال أنهم من فرط جهلهم واستحكـام الهوى فى نفوسهم صاروا كالبهائم ، فلا أمل يرجى من تدبرهم للآيات واستجابتهم للايمان بالله ، لأنهم ألغوا عقولهم عند سماع هذه الآيات ، فالمعنى الذى يهدف اليه التعبير أنه اذا كان التذكر ثابتا لأولى الألباب ومنفيا عن غيرهم اقتضى هذا أن يكون غير المتذكرين من غير أولى الألباب ، وأيضا قوله تعالى « انما أنت منذر من يخشاها »(٣) فانذار النبى ﷺ بالعـذاب الذى ينتظر العاصين فى الآخرة مقصور على من يخشاها ويخاف من التهديد بالعذاب فيها ، وهذا المعنى معلوم لدى كل عاقل اذ الانذار انما يجدى اذا كان له تأثير فى القلب ، وهذا المعنى غير مراد ، وانما المراد التعريض بمن لا يخشـون الله ولا يتقونه ، فكأنهم لا أذن لهم تسمع ، ولا قلوب لهم تعى ، وتتدبر فانذارهم وعدمه سـواء ٠ ومثاله من الشعر قول العباس بن الأحنف :

أنا لم أرزق محبتهـا انما للعبـد ما رزقا

فقوله : « انما للعبد ما رزقا » من المعانى المـألوفة والبدهية ، ولكنه أراد أن ينفذ الى معنى آخر هو مقتضى هذا المعنى ، وهو عدم الطمع فى وصلها ، واليأس من اسـتجابتها ، لأنه لم يرزق محبتها ، فهو يريد أن ينصح نفسه ويدربها على السلوى والنسيان ٠

---

(١) دلائل الاعجاز : ٢٣٩ ٠
(٢) الرعد : ١٩ ٠
(٣) النازعات : ٤٥ ٠

وفى قول الشاعر أيضا :

يلوم فى الحب من لم يدر طعم هوى　　وانما يعذر العشاق من عشقا

فقصر عذر العشاق على من عشق من الأمور المعلومة ، ولكنه أراد أن ينفذ من وراء هذا القول الى معنى آخر هو غرضه ومقصده وهو التعريض بمن خلا قلبه من العشق ، وأنه لا ينبغى أن يلوم العاشق ، لأنه لم يكتو بنار العشق ولا يدرى كنهه وتأثيره على من عشق .

لا يعرف الشوق الا من يكابده　　ولا الصبابة الا من يعانيها

رابعا : طريق التقديم :

للتقديم أسرار بلاغية كثيرة والذى يهمنا من هذه الأسرار فى هذا الباب هو افادة الاختصاص ، ومما ينبغى أن يكون على ذكر منك أن كل تقديم ليس مفيدا للاختصاص بل منه ما يدل على القصر دلالة لازمة ، ومنه ما يدل عليه دلالة غالبة ، ومنه ما يدل عليه أحيانا والضابط فى هذا كله هو السياق وما يقتضيه المقام .

والمقصور عليه فيه هو المقدم . تقول لزميلك : « لك الشكر » اذا أردت الاختصاص بمعنى أن الشكر لا يكون الا لك فالمسند وهو الجار والمجرور المقدم هو المقصور عليه،ومنه قول الله تعالى « ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم »(١) . فتقديم المسند « الجار والمجرور » على المسند اليه يفيد الاختصاص بمعنى أن ايابهم لا يكون الا لله ، وأن حسابهم لا يكون الا عليه .

وينقسم طريق التقديم الى ثلاثة أقسام :

١ ـ تقديم المسند على المسند اليه كما مر فى الأمثلة السابقة ،

---

(١) الغاشية : ٢٤ ، ٢٥ .

وكما فى قوله تعالى «ألا له الخلق والأمر»(١) فالمقصود عليه هو الجار — والمجرور « له » المقدم ، والمقصور هو « الخلق والأمر » بمعنى أن الأمر والخلق لا يكون الا له سبحانه وتعالى • من القصر الحقيقى التحقيقى •

٢ — تقديم المسند اليه على المسند :

قرر عبد القاهر وجمهور البلاغيين أن المسند اليه اذا تقدم على المسند وهو الخبر الفعلى فى الاثبات قد يكون مفيدا للاختصاص ، وقد يكون مفيدا لتقوية الحكم ، والسياق هو الذى يحدد المفـاد منهما ، فاذا قلت : « أنا كتبت هذه الرســالة » مريدا به الاختصــاص كان المقصور عليه هو ضمير المتكلم « أنا » المقدم ، والمقصور هو كتابة هذه الرسالة من قصر الصفة على الموصوف ، والمعنى ما كتب هذه الرسالة الا أنا ، وكأنك تقول لمن اعتقد أن غيرك كتبها ، على أنه قصر قلب ، أو أنك كتبتها مع غيرك على أنه قصر افراد أو تردد مخاطبك فيمن كتبها بينك وبين غيرك على أنه قصر تعيين • ولذلك يجوز لك فى قصر القلب والتعيين أن تقول : لا غيرى ، أى أنا كتبت هذه الرسالة « لا غيرى » وفى قصر الافراد « وحدى » أى أنا كتبت هذه الرسالة وحدى •

ومن القصر الحقيقى التحقيقى : قــوله تعــالى « والله يقبض ويبسط »(٢) فان المختص بقبض الرزق وبسطه هو الله تعالى لا غيره، وقوله تعالى « والله يقدر الليل والنهار »(٣) فالمختص بهذا التقــدير هو الله تعالى وحده لا يشاركه أحد فيه •

---

(١) الأعراف : ٥٤ •

(٢) البقرة : ٢٤٥ •

(٣) المزمل : ٢٠

وقوله تعالى « هو يحيى ويميت »(١) فالمختص بالاحياء والاماتة هو الله تعالى لا غيره •

هذا فى تقديم المسند اليه على الخبر الفعلى المثبت •

أما تقديم المسـند اليه المنفى على الخبر الفعلى فصريح كلام عبد القاهر أنه يفيد الاختصاص قطعا ، فاذا قلت : ما أنا كتبت هذا الشعر أفدت نفى الفعل عنك خصوصا ، وأنه ثابت لغيرك على الوجه الذى نفيته عنك فالفعل ثابت قطعا ، ولكنك أردت أن تنفى حدوثه منك خصوصا ، ويلزم منه أنه ثابت للغير ، المقصور هنا نفى الفعل المذكور، والمقصور ، عليه هو المسند اليه المقدم ، يفهم من هذا أن القصر هنا نص على المنفى دون المثبت ، وهو عكس ما ألفنـاه فى طـرق القصر التى فيها نص على المثبت دون المنفى ما عدا طريق العطف ، لأن فيه نص على المثبت والمنفى معا ، و لايجوز لك أن تعطف على هذه الجملة ما يناقضها فاذا قلت : « ما أنا قلت هذا الشعر » فلا يصح لك أن تقول عطفا عليها : ولا قاله أحد غيرى ، لأنك بتقديمك النفى على المسند اليه قد أثبت أنه مقول •

وقولك : ولا قاله أحد غيرى يثبت أنه غير مقول ، ومن ثم يحدث التناقض ولكنك لو لم تقدم المسند اليه المنفى على الفعل لصح لك هذا القـول : فاذا قلت ما قلت هـذا الشـعر ولا قاله أحـد من الناس استقام المعنى •

ويصح لك أن تقول : ما أنا قلت هذا ولا خالد فتعطف نفيه عن

---

(١) يونس : ٥٦ •

خالد على نفيه عنك ، ويكون المقصور عليه هو أنت وخالد ، واذا كنت قد نفيت عنك الفعل خصوصا فانه لا بد أن يثبت لغيرك على الوجه الذى نفى عنك ، وهذا الغير يجب أن يكون محددا أى متعينا ، ومن ثم وجب أن يكون الفعـل المثبت لغير المتـكلم محددا ، فاذا قلت ما أنا كتبت شعرا كان لغوا من القول ، لأن الكتابة هنـا ليست واقعة على شـعر بعينه انما هى واقعة على شعر على الاطلاق ، أى شائع غير معين .

ويمتنع عقـلا أن يكون هناك فاعل معين لفعـل غير معين لأنه لا يمكنك أن تحدد الفاعل الا اذا حددت الفعل ، والصواب فى هذا أن تقول ما قلناه أولا « ما أنا كتبت هـذا الشـعر » بتحديده بواسـطة الاشارة ، ومن البين فى هذا قول أبى الطيب المتنبى :

وما أنا أسـقمت جسـمى به ولا أنا أضرمت فى القلب نارا

قال الشيخ عبد القاهر : المعنى كما لا يخفى أن السـقم ثابت موجود وليس القصد بالنفى اليه ، ولكن الى أن يكون هو الجالب اليه ويكون قد جره الى نفسه وفى قوله « أنا أضرمت فى القلب نارا » أيضا أسلوب قصر هو نفى أن يكون هو فاعل الاضرام فى القلب على وجه الخصوص ويلزم منه ثبوته للغير عـلى هذا الوجه فتحقق بذلك النفى والاثبات وهما يحققان القصر :

ومثاله من القرآن الكريم قوله تعـالى « واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شـيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شـفاعة ولا هم ينصرون »(١) فى قوله تعالى « ولا هم ينصرون » تقدم المسـند اليه المنفى على الخبر الفعلى وهذا كما قلنا مرارا يفيد قصر المسند اليه المنفى على الخبر الفعلى فقد أفادت هذه الآية قصر نفى النصرة على ضمير

---

(١) البقرة ١٢٣ .

الغائبين « هم » ، وهو ثابت لغيرهم على الوجه الذى نفى عنهم ، لأن الفعل المنفى عن المسندَ اليه ثابت قطعا ، لأنه يمتنع وجود فعل بدون فاعل وعلى هذا يمكنك أن توضح القصر فى قوله تعالى « يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون »(١) •

٣ — تقديم المعمول أى متعلقات الفعل : من تقديم المفعول أو الظرف أو الجار والمجرور ، وهذا التقديم يدل على الاختصاص غالبا ، فاذا قلت « محمد قابلت » بتقديم المفعول على الفعل وأردت منه الاختصاص غالبا كان مرادك قصر المقابلة على محمد دون على مثلا ويمكنك أن تجرى فيه أقسام القصر الثلاثة قصر الافراد والقلب والتعيين على نحو ما وضحنا سابقا •

ومنه قوله تعالى « اياك نعبد واياك نستعين »(٢) أى نخصك بالعبادة فلا نعبد سواك ونخصك بالاستعانة فلا نستعين بأحد غيرك ، قصرت عبادتنا على الله تعالى واستعانتنا به وحده ، فلا نمد يدنا لأحد سواه ، ومنه قوله تعالى « خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه »(٣) ومن تقديم الجار والمجرور قوله تعالى « لإلى الله تحشرون »(٤) واليه يرد علم الساعة »(٥) ولا يغيب عن ذهنك أن القصر فى هذه الآيات قصر حقيقى تحقيقى •

ومنه قول الشاعر :

الى الله أشكو لا الى الناس اننى ‏ ‏ ‏ أرى الأرض تبقى والاخلاء تذهب

(١) الدخان : ٤١ •
(٢) الفاتحة : ٩
(٣) الحاقة ٣٠ ، ٣١ •
(٤) آل عمران ١٥٨ •
(٥) فصلت : ٤٧ •

ولا يخفى عليك فى كل هذه الأمثلة أن المقصور عليه هو «المقدم» كما بينا سابقا .

وانما قلت ان تقديم المعمول على عامله يفيد الاختصاص غالبا ، لأن التقديم قد يكون لغرض آخر غير الاختصاص ففى قوله تعالى « والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون »(١) نجد أن تقديم الجار والمجرور « منها » على متعلقه « تأكلون » لا يتأتى منه افادة القصر ، ولكن الزمخشرى(٢) يرى أن تقديم الجار والمجرور على الفعل فى هذه الآية يفيد الاختصاص ويفهم من كلامه أن القصر فيها حقيقى ادعائى ، لأن الأكل يكون من غير الأنعام الا أنه كغير المعتد به مثل الأكل من الدجاج ، والبط ، وصيد البحر ... الخ وأرى أن افادة القصر من هذه الآية فيه نظر ، لأن قصر الأكل على الأنعام فقط غير واقع اذ الأكل حاصل من غيرها ، وجعل ما عداها كغير المعتد به فيه تكلف والذى يبدو واضحا أن سبب التقديم هو مراعاة الفواصل ومما يؤيد ما ذهبنا اليه أن الله تعالى قال « وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون »(٣) بتقديم الجار والمجرور على الفعل ولا وجه للحصر فيها ، لأنه يلزم أنهم لا يأكلون الا من الحبوب ، وهذا غير واقع لأن الأكل حاصل من غيرها .

فروق فى طرق القصر :

من المعلوم أن طرق القصر الأربع وهى :

(العطف — والنفى والاستثناء — وانما — والتقديم)

---

(١) النحل : ٥ .

(٢) انظر الكشاف جـ ٢ ص ٤٠١ .

(٣) يس ٣٣ .

تشترك جميعها فى افادة القصر باشتمالها على النفى والاثبات صراحة أو ضمنا ، ولكنها تختلف من وجوده فلكل طريق خاصية يتميز بها من بين الطرق الأخرى •

فالطريق الأول : وهو العطف يتميز من بين الطرق الثلاثة الأخرى بأن الأصل فيه النص على المثبت والمنفى ، أما الطرق الثلاثة الباقية فان الأصل فيها هو النص على المثبت فقط بخلاف تقديم المسند اليه المنفى على الخبر الفعلى فانه ينص فيه على المنفى دون المثبت كما سبق أن وضحنا •

فاذا قلت فى قصر الصفة على الموصوف : « قام محمد لا على » فقد نصصت على الذى أثبت له القيام وهو « محمد » كما نصصت على الذى نفيت عنه القيام وهو على •

واذا قلت فى قصر الموصوف على الصفة : الحجاج خطيب لا شاعر فقد نصصت على المثبت للحجاج وهو الخطابة كما نصصت على المنفى عنه وهو الشعر •

ولا يترك النص على المثبت والمنفى الا كراهة الاطناب فى مقام الاختصار بأن تقول : « محمد ماهر فى الفقه لا غير » أى لا غير الفقه من التفسير والحديث والنحو وغيرها ، هذا فى قصر الموصوف على الصفة ، وتقول فى قصر الصفة على الموصوف « محمد ماهر فى النحو لا غير محمد » أى لا خالد ولا على ولا أحمد مثلا •

والطريق الثانى : وهو النفى والاستثناء الأصل فيه أن يستعمل فيما يجهله المخاطب وينكره ، كقولك لصاحبك وقد رأيت شبحا من بعيد : « ما هو الا خالد » اذا كان صاحبك ينكر أنه خالد ، أو ينزل منزلة المجهول لاعتبار مناسب •

كما فى قوله تعالى حكاية عن الكفار : «ان أنتم الا بشر مثلنا»(١) أى أنتم بشر لا رسل ، لأن البشرية فى معتقدهم لا تجامع الرسالة ، فكأنهم باعتقادهم هذا نزلوا المخاطبين منزلة من ينكر أنهم بشر لأنهم وجدوا أن الرسل مصرين على دعوى الرسالة ، فبهذا الاعتبار نزلوهم منزلة المنكرين مع أنهم فى حقيقة الأمر ليسوا منكرين ، ــ فالمعول عليه هنا ليس هو حال المخـاطب التنزيلى كما مر فى آية « وما محمـد الا رسـول » ، وانما هو حال المتكلم واعتقـاده فى المخاطب ، يعنى حال المخاطب كما يتصورها المتكلم ، وكما يراها ، لأن الرسـل لم ينكروا بشريتهم ، ولم يكن منهم ما ينافى الاقرار بالبشرية ، وانما كان منهم ذلك عند المتكلمين بحسب اعتقادهم ، وأما قوله تعالى حكاية عن الرسل « ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشـاء من عباده »(٢) فمن باب مجاراة الخصم أى التسليم له بمقدمته التى رتب عليها نفى الرسالة عنهم للتبكيت والالزام والافحام ، لأنه بعد التسليم له بمقدمته يبين أنها لا تستلزم ما رتب عليها من نفى الرسالة ، فكأنهم يقولون : نحن لا ننـكر أن نكون بشرا ، ولكن ذلك لا يمنع أن نكون بشرا وأن نكون رسلا ، لأن الله تعالى يمن على عباده . فالبشرية أهل لهذه المنزلة عند الله تعالى « والله أعلم حيث يجعل رسالته »(٣) « الله يصـطفى من الملائكة رسلا ومن الناس »(٤) .

يقول صاحب الايضاح : مبينا مجاراة الخصم : « فان من عادة

---

(١) ابراهيم : ١٠ .
(٢) ابراهيم : ١٢ .
(٣) الأنعام : ١٢٤ .
(٤) الحج : ١٧٥ .

من ادعى عليه خصمه الخلاف فى أمر هو لا يخالف فيه أن يعيد كلامه على وجهه ، كما اذا قال لك من يناظرك :

أنت من شأنك كيت وكيت .. فتقول نعم أنا من شأنى كيت وكيت ولكن لا يلزمنى من أجل ذلك ما ظننت أنه يلزم(١)...ولا يغيب عنك أنه قد مرت أمثلة فى النفى والاستثناء فى مقام المخـاطب المنكر أو المنزل منزلة المنكر عند الحديث عن هذا الطريق .

و **« انمـا »** على عكس النفى والاستثناء فانها تستعمل فى الأمر الذى من شأنه ألا يجهله المخاطب ولا ينكره أو ما ينزل هـذه المنزلة لاعتبار مناسب يقتضيه المقام وقد مرت بك الأمثلة الموضحة لهذا عند الحديث عن طريق « انما » فارجع اليها .

والطـريق الثالث : وهو « انما » يتميز عن طريق العطف فى أنه يعقل منها الحكمان أى الاثبات للمذكور والنفى عما سواه دفعة واحدة، فاذا قلت : « انما جاءنى محمد » ، فانه يفهم منه اثبات المجىء لمحمد ونفيـه عمن عداه فى القصر الحقيقى ، أو نفيـه عن « على » مثلا فى القصر الاضافى فى وقت واحد ويفهم المعنيان نصا من الجملة الواقعة فى حيز « انما » لأن الواضع وضـعها لافادة الاثبات والنفى معـا ، وتعقل الحكمين معا أفضل حتى لا يذهب غيره الوهم الى عدم القصر من أول الأمر : بخلاف العطف فانه يفهم منه أولا الاثبات ثم النفى فى العطف « بلا » مثل قولك : زيد قائم لا قاعد ، أو على العكس بأن يفهم النفى أولا ثم الاثبات كما فى العطف « ببل ولكن » مثل « ما محمـد قائما » بل قاعدا ، فقد نفيت عن محمد القيام أولا ثم أثبت له القعود ثانيا وكذا قولك : ما جاءنى على لكن خالد ، قد نفيت أولا المجىء عن على وأثبته ثانيا لخالد .

---

(١) بغية الايضاح جـ ٢ ص ١٩ ، ٢٠ .

وتتميز انما أيضا عن بقية طرق القصر بأن المقصـود بها معنى غير المعنى المباشر الذى دخلت عليه ، وهـذا المعنى يفهم من عرض الكلام وسياقه وهو « التعريض » وهو من أحسن مواقعها كما يقول عبد القاهر ، وقد سبق الحديث مفصلا عن هذا الأمر ، واليك مزيدا من الايضاح : لمـا كانت « انما » تدخل على الأمر المأنوس المألوف لدى النفوس بحيث لا تجهله ولا تدفع صحته فانه من غير شك يفهم من وراء التعبير بها معنى آخر لطيف هو الغرض الذى يقصد اليه المتكلم وهو افادة التعريض لأنه لا يفهم من معنى الجملة الواقعة فى حيز « انما » وانما يفهم من مقتضاها ولازمها كما قال عبد القاهر « اذا كان لا يراد بالكلام بعدها نفس معناه ، ولكن التعريض بأمر هو مقتضـاه » (١) فأنت مثلا لك صـديق وجدته قد أهمل فى دروسه ، وركن الى الدعة والكسل وهو يطلب النجاح فأردت أن تلوح له بأنه لن ينال غرضـه ولن يحقق أمله وهو على هذه الحال ، فتستعمل له أسـلوب « انما » لتنفذ منه الى غرضك بأن تقول له « لا تهمل فى دروسـك فانما تنال النجاح بالجد والكفاح المتواصل » .

فالكلام هنا لا يرمى الى هـذا المرمى القريب المعلوم لدى كل عاقل وانما يرمى الى ما أردته من أنه لن ينال غرضه ولن يتحقق أمله فى النجاح وهو على هذه الحال من عدم الالتفات الى دروسه والعناية بهـا .

الطريق الرابع : التقديم :

يتميز هـذا الطريق عن الطـرق الأخرى بأنه يدل على القصر بمفهوم الكلام وفحواه بأن يدركه ذو الذوق البصير المتمرس بأساليب

---

(١) الدلائل : ٢٣٩ .

العرب فالدلالة فيه دلالة ذوقيـة لا وضـعية ، فاذا قلت « لك كتاب البلاغة » فانه يفيد اختصاص الكتاب بك بحيث لا يتعدى الى غيرك ، تفهم هذا من مفهوم الكلام وفحواه •

أما الطرق الثلاثة الأخرى فان دلالتها على القصر دلالة وضعية بمعنى أن الواضع وضع « لا » و « بل » و « لكن » (العطف) والنفى والاستثناء — و « انما » ، لمعان تفيد القصر ، فلا العاطفة موضـوعة للنفى بعد الاثبات ، وبل ولكن للاثبات بعد النفى ، وهذا المعنى يفيد القصـر ، وفـى النفى والاسـتثناء حـرف النفى وضـع للنفى ، وحـرف الاستثناء وضـع للاخراج عن حكـم النفى ، ويلـزم من اجتماعهما افـادة معنى القصـر ، وانمـا وضـعت لافـادة معنى القصر ، لأنها تتضمن معنى ما والا المفيدين للقصر •

وهنـاك فريق آخر يتمـيز به العطف « بلا » فقط دون « بل » « ولكن » وهـو أنهـا تجـامع « انما » والتقـديم ، ولا تجـامع النفى والاسـتثناء ، لأن شـرط المنفى « بلا » العـاطفة أن لا يكون ذلك المنفى منفيا قبلها بغيرها من أدوات النفى ، لأنها موضـوعة لأن تنفى بها ما أوجبته للمتبوع لا لأن تعيد بها النفى فى شىء قد نفيته ، وهذا الشرط مفقود فى النفى والاسـتثناء ، لأنك اذا قلت : « ما زيد الا قائم » فقد نفيت عنه كل صفة وقع فيها التنازع حتى كأنك قلت : ليس هو بقاعد ولا نائم ولا مضطجع ، ونحو ذلك فاذا قلت : « لا قاعد » كنت قد نفيت بها شيئا هو منفى قبلها بما النافيـة ، وكذا اذا قلت : « ما يقوم الا زيد » « يلـزم منه أنك قد نفيت القيـام عن عمرو » وبكر •• وغيرهما حسب السـياق ، فلو قلت « لا عمرو » كان منفيـا بينما هو منفى قبلها بحرف النفى ، وهذا خروج عن وضعها (١) •
ولمـا كان المنفى فى انما والتقديم غير مصرح به صح اجتماعها

---

(١) المطول : ٢١٥ •

معهما تقول : « انما أنا مصرى لا ســورى » ، « وانما جاءنى محمد لا على » ، الأول فى قصر الموصوف على الصفة والثانى فى قصر الصفة على الموصوف ، وتقول : اياك أكرم لا على ، أما النفى والاســتثناء فانه وان كان المنفى فيــه غير مصرح به الا أن النفى مصرح به لوجود أداتــه .

يقول الشيخ عبد القاهر : تقول «انما هذا لك» فيكون الاختصاص فى « لك » بدلالة أنك تقول : « انما هذا لك لا لغيرك »،وتقول «انما لك هذا لا ذاك » والاختصاص يكون أبدا فى الذى اذا جئت بلا العــاطفة كان العطف عليه »(١) ، فالقصر بلا العاطفة مؤكد للقصر بانمــا ، لأن المقصور عليه فى قولك : « انما لك هذا لا ذاك » هو « اسم الاشارة » « هذا » بدلالة العطف عليه « بلا » وهو المقصور عليه لانما ، والعطف بلا ، وبناء على هذا فانه لا يصح لك أن تقول : انما لك هذا لا لغيرك ، لأن المقصور عليه فيهما أى فى « انما » والعطف هو المقابل لمــا بعد « لا » على هذا هو « لك » ولا يصح أن يكون مقصورا عليه لأنما لأننى قررت سابقا أن المقصور عليه فى انما هو الجــزء المؤخر المســتقل فى الجملة ، والجزء المؤخر فى هذه الجملة هو « هذا » وهو المقصور عليه وصحة العبارة أن تقول : «انما لك هذا لا ذاك » فيصح أن تكون «هذا» مقصورا عليه لانما والعطف معا لأنه هو المقابل لمــا بعد لا .

ويصح لك أن تقول : انما هذا لك لا لغيرك .

لأن « لك » تصبح مقصورا عليه لانما حيث هى الجزء المؤخر فى الجملة ، ومقصورا عليه للعطف بلا أيضا لأنها هى المقابلة لمــا بعد لا، وتقول : انما محمد كاتب لا شاعر ، ولا يصح لك أن تقول : « انمــا محمد كاتب لا على » لأن قولك « لا على » يقتضى أن يكون المقصور

---

(١) دلائل الاعجاز : ٢٣٤ .

عليه هو « محمد » لأنه هو المقابل لمـا بعد « لا » وهـذا خطـأ لأنه ليس الجزء المؤخر فى الجملة ، وانما الجزء المؤخر فيها هو « كاتب » وهو المقصور عليه من قصر الموصوف على الصـفة وينبغى أن تعطف بلا النافية صفة مقابلة للصفة المقصور عليها • فتقول انما محمد كاتب لا شاعر و فى التقـديم تقول : « مصرى أنا لا سـورى » ، فتقصر ضمير المتكلم على وصف المصرية لا يتعداها الى السـورية مثلا ، اذا كان المخاطب يعتقد أنك سورى لا مصرى ، وتقول : « أنا أكرمت عليا لا أنت » فيكون المقصور عليه هو « أنا » وهو المقابل لمـا بعد « لا » لأنه معطوف عليه « بلا » •

مواقع القصر :

يقع القصر بين الأمور التالية :

بين المبتدأ والخبر كقولك : « ما عبد الحميد الا كاتب » فى قصر الموصوف على الصفة ، وكما فى قولك : « ما كاتب الا عبد الحميد » فى قصر الصفة على الموصوف •

يقع القصر بين الفعل والفاعل نحو « ما قام الا محمد » من قصر الصفة على الموصوف ، ولا يتأتى العكس أى قصر الفاعل على الفعل لأن الفاعل لا يتقـدم على الفعل على مذهب جمهور النحاة لأن الفعل سيصبح مقصورا عليه ، فيجب تأخيره عن الفاعل ، وهـذا لا يجوز كما وضحنا •

يقع بين الفاعل والمفعول كقولك : ما أكرمت الا محمدا • وقد يقال : كيف يقصر الفاعل على المفعول هنا مع أنهما ذاتان ولا بد من كون أحدهما صفة والآخر موصوفا، ولا تتأتى الصفة فى الذوات والجواب عن ذلك : أن قصر الفاعل على المفعول باعتبار اسناد الفعل الى الفاعل

أى أن القصر يقع بين الفعل المسند الى الفاعل على المفعول .

ففى المثال السـابق يقع القصر بين الاكرام الواقع من المتـكلم وبين المفعول به وهو « عليا » أى قصر الاكرام باعتبـار حدوثه من المتكلم على « على » من قصر الصفة على الموصوف ، وقد يقع القصر بين المفعول به والفاعل أى قصر المفعول على الفـاعل كما فى قولك : « ما جاءنى الا على » ، ولا يخفى عليك هنا أيضا أن قصر المفعول على الفاعل باعتبـار تعلق المفعول بالفعل أى باعتبـار المجىء الواقع على المفعول به وهو ضمير النصب فى « جاءنى » ويكون من قصر الصفة على الموصوف .

وقد يقع القصر بين المفعولين كما فى قولك : « ما أعطيت محمدا الا درهما » فى قصر المفعول الأول باعتبار تعلقه بالفعل على المفعول الثانى وتقول فى قصر المفعول الثانى على الأول « ما كسـوت جبة الا زيدا » ، « وما ظننت منطلقـا الا زيدا » ، وتقول فى قصر الحال على ذى الحال : «ما جاء على الا مسرعا»،وفى قصر الحال على ذى الحال : «ما جاء مسرعا الا على » ، ويمكنك أن تقول : ما على الا جاء مسرعا وتقول فى قصر التمييز على مميزه : « ما طاب نفسا الا خالد » ، وفى قصر المميز على التمييز : ما طاب خالد الا نفسـا ، وهما من قصر الصفة على الموصوف اذ المعنى فى الأول : ما صـاحب النفس الطيبة الا خالد وفى الثانى : « ما طاب من خالد الا نفسه » ، والمقصور عليه فى الأول هو المميز ، وفى الثانى التمييز .

ويقع القصر بين الفعل ومتعلقه من الظروف والجار والمجرور فتقول فى الأول ما ينام على الا ليلا ، وما جاء محمد الا مساء وتقول فى الثانى : ما أكرمت محمدا الا فى الدار ، وما سلمت الا على خالد .

ويقع القصر بين الفعـــل والمفعول له كقولك ما ضربت خالدا الا تأديبا وما قمت لأستاذى الا اجلالا ، ويقع بين الصــفة والموصوف مثل قولك : ما جاءنى رجل الا فاضــل ، ويقع بين المبدل منه والبدل نحو « ما جاءنى أحد الا أخوك » ، « وما ضربت زيدا الا رأسه » •

فالقصر يقع بين الفعل ومتعلقاته كلها ما عدا اثنين :

أحدهما : المصدر المؤكد لفعله ، فلا يقع القصر بينه وبين الفعل ، فلا تقول : « ما سرت الا ســيرا » ، وما ضربت الا ضربا ، وأما قوله تعالى : « ان نظن الا ظنا » فمعناه : ما نظن الا ظنا ضعيفا فهو مصدر مبين للنوع وليس مؤكدا • والمصدر المبين للنوع يجوز أن يقع القصر بينه وبين فعله بأن تقول مثلا : ما ضربت خالدا الا ضربا شديدا •

وثانيهمـــا : المفعول معه فلا يجوز أن يقع بعـــد الا فلا تقول : «ما سرت الا والنيل » • وذلك لأن « الا » تؤذن بنوع من الانفصال ، اذ هى لاثبات ما بعدها بعد نفى ما قبلها ، والوا فى المفعول معه أيضا تؤذن بنــوع من الانفصـــال فكرهوا عمل الفعـــل مع حرفين مؤذنين بالفصـــل •

واستثقلوا أيضا مجىء حرف العطف بعد الا فلا تقول : لا تقم أنت الا وزيدا ، وان كان يصح لك أن تقول : «لا يقوم الا أنت وزيد» لأن واو العطف لم تل حرف الاستثناء •

ولا يخفى عليك أن موقع المقصور عليه فى النفى والاســتثناء هو ما يقع بعد أداة الاستثناء ســواء أكانت « الا » أم غير أم ســوى ،

فالمقصور عليه يقع مؤخرا عن المقصور ، فاذا أردت قصر الفاعل على المفعول قلت : « ما قال على الا الصدق » ، واذا أردت قصر المفعول على الفاعل قلت : « ما قال الصدق الا على » ، هذا هو الأصل والشائع والكثير وقد يخـالف هذا الأصـل ، وذلك فى القليل النادر بأن يتقدم المقصور عليه مع أداته على المقصور كقولك : «ماقال الا عليا الصدق» و « ما قال الا الصدق على » ، وقولك «ما قرأ الا كتاب البلاغة محمد» و « ما قال الا على هذا الشعر » .

والسر فى أن تقديم المقصور عليه على المقصور قليل : هو أنك لم ترد قصر القول على « على » فى قولك : «ما قال الا على الصدق» وانما تريد قصر قول الصـدق على « على » وفى قولك : « ما قال الا الصدق على » لم ترد قصر القول على الصـدق وانما تريد قصر قول « على » على الصدق .

وقس على هـذا باقى الأمثـلة ، ففى قصر المفعول على الفاعل القصر فى الحقيقة انما هو للفعل باعتبار تعلقه بالمفعول على الفـاعل كما بينا سابقا ، فاذا قدم الفاعل المسـتثنى بالا معها على المفعول ، كان معناه تأخير جزء من المقصور عن المقصـور عليه أى قصر الفعل قبل تمـامه ، لأنك تقول قصرت قول الصـدق على « على » مـع أن « الصدق » فى العبارة مؤخر عن « على » فيتوهم السامع تمام القصر قبـل ذكر المـؤخر فى العبـارة فيسـتلزم التقديم فى هذه الحـالة ايهـام قصر الصـفة على الموصوف قبل تمـام الصفة فى قصر الصفة على الموصوف ، كما أنه يوهم تأخير الموصوف عن جميع الصفة فى قصر الموصوف على الصفة .

واليك مزيدا من الايضاح : أنك لو قلت : «ماأكل الا التفاح محمد» كنت قصرت الفعل قبل تمامه ، لأنك لا تقصر مطلق الأكل على التفاح، وانما قصرت الأكل باعتبار حدوثه من محمـــد على التفاح ، فيلزم فى قولك : « ما أكل الاالتفاح محمد » قصر الصفة وهى الأكل قبل تمامها، لأنها تتم بذكر الفاعل وهو « محمد » ، وذلك لأن ــ الصفة المقصـــورة على الموصوف (المفعول) انما هى الفعل باعتبار اسناده الى الفـــاعل لا مطلق الفعل ، وفى هذه الحالة لا يتم المقصـــور الا بذكر الفـــاعل ، فمن أجل هذا عد مثل هذا التقديم من القليل النادر •

الفصل الثاني

الانشــــاء

من المعلوم أن الكلام ينقسم الى قسمين : هما :

الخـــــبر

والانشـــــاء

والخبر : هو كلام له نســبة فى الخارج فى أحــد الأزمنة الثلاثة الماضى أو الحال أو الاستقبال ، سواء أطابقته هذه النسبة أم لم تطابقه، فان طابقته فى الوقع ونفس الأمر فهو صادق،وان لم تطابقه فهو كاذب، وباختصار : « هو قول يحتمل الصــدق والكذب لذاته » نحو أكرمت محمدا ونجح خالد .

والانشاء : هو الكــلام الذى لا تحتمل نسبته الصــدق والكذب لعدم قصد تحققها فى الخــارج ، وانما القصّــد الى انشائها ، فقول الشــــاعر :

ليت الكواكب تدنولى فأنظمها عقود مدح فما أرضى لكم كلمى

فيه نسبة كلامية وهى تمنى دنو الكواكب ، اما النسبة الخارجية وهى قيام هذا التمنى فى النفس فان القصد لم يتجه اليها أى لم يتّجه الى مطابقة النسبة الكلامية للنسبة الخارجية ، لأن الغرض هو انشاء هذا المعنى ، ولأجل هذا فانه لا يمكن وصفه بالصدق أو الكــذب ،

لأن الذى يوصف بالصدق أو الكذب هو الجملة الخبرية ، لأن لها نسبة خارجية قد تطابق النسبة الكلامية وقد لا تطابقه ، فان طابقته وصفت الجملة بالصدق وان لم تطابقه وصفت بالكذب ، وقولنا « لذاته » أى بالنسبة لمدلوله بصرف النظر عن قائله ، فيشمل أخبار الله تعالى وأخبار رسله عليهم السلام ، لأن هذه الأخبار بقطع النظر عن قائلها تحتمل الصدق والكـــذب .

اقســـام الانشـــاء :

والانشـــاء ينقسم الى قسمين :

١ ـــ طلبى وهو ما يستدعى مطلـــوبا غير حاصل وقت الطلب لأن الحاصل يمتنع تحصيله فلا يجوز أن تقول لانسان « قم » وهو قائم بالفعل ، لأن قيامه حاصل ، وتحصيل الحاصل محال ، وهذا القســـم هو الذى نخصه بالدراسة لما يشتمل عليه من معان وأسرار ولطائف .

غير طلبى : وهو ما لا يستدعى مطلوبا كأساليب التعجب والقسم والعقود « بعت واشتريت » ، وأفعال المقاربة مثل : كاد كرب أوشك .. وجعل .. وطفق ، وأفعـــال المدح والذم مثـــل نعم بئس وحبذا ولا حبـــذا ولعل ، ورب وكـــم الخبرية ، وهذا القســـم غير مقصود بالدراسة لعدم اختصاصه بمزيد ابحاث لم تذكر فى الخبر ، ولأن كثيرا من الانشاءات الغير الطلبية فى الأصل أخبار نقلت الى معنى الانشاء .

أنواع الانشـــاء الطلبى :

١ ـــ التمنى
٢ ـــ الأمـــر
٣ ـــ النهى
٤ ـــ الاستفهام
٥ ـــ النـــداء .

وقد حصر البلاغيون هذه الأنواع الخمسة فى الانشاء الطلبى موضحين وجه الحصر فقالوا : « ان الانشاء الطلبى هو طلب حصول الشيء ، فان كان هذا المطلوب غير ممكن فهو التمنى ، وان كان ممكنا ، فان كان المطلوب حصوله فى الذهن فهو الاستفهام ، وان كان المطلوب حصوله خارج الذهن فأما أن يكون المطلوب حصول وجوده أو حصول عدمه والمطلوب حصول عدمه هو النهى ، والمطلوب حصول وجوده اما أن يكون ذلك بأداة خاصة مثل « يا » والهمزة أو بغير أداة خاصة الأول « النداء » والثانى : الأمر .

الأول : التمنى :

وهو طلب الأمر المحبوب الذى لا طمع فيه بأن يكون غير ممكن أو بعيد الحصول . وقد يقال كيف يطلب العاقل غير الممكن الذى لا طمع فى حصوله ؟ والجواب أن التمنى رغبة من رغبات النفس البشرية حين تتعلق بأمر بعيد الحصول أو غير ممكن ، لأن الباعث على هذه الرغبة هو ثورة العواطف والمشاعر والأحاسيس نحو تمنى حصول هذا الأمر البعيد المنال ، والعواطف والمشاعر والوجدانات ليس لها حد تقف عنده لأنها ليست خاضعة لسلطان العقل .

واللفظ الموضوع للتمنى هو « ليت » أنظر الى تعلق الشاعر بعودة يوم من أيام الشباب ليبثه شكواه مما فعل به المشيب الذى أوهى قوته وأحنى ظهره ، ولا ريب فى أن ما يطلبه الشاعر من الأمور غير الممكنة يقول :

ألا ليت الشباب يعود يوما   فأخبره بما فعل المشيب

ومثال تمنى الشيء البعيد الحصول قول الشاعر :

فياليت ما بينى وبين أحبتى
من البعد ما بينى وبين المصائب

يتضح اذن أن التمنى هو طلب الشيء غير الممكن أو بعيد المنال بحيث لا يكون لك توقع وطماعية فى وقوعه ، فان كان لك طماعيـــة فى وقوعه صار ترجيا بأن يكون مترقب الحصـــول قريب الوجود ويعبر عنه بصيغة الترجي كلعل وعسى كما فى قوله تعالى «لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا »(١) وقـــوله تعـــالى « فعسى الله أن يـــأتى بالفتـــح أو امر من عنـــده »(٢) ٠

ثم اقرأ معى قول الله تبارك وتعالى « ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا »(٣) تجـــد هنا النفس الوالهة المكروبة حين يحيط بهـــا العذاب من كل جانب ، فتتذكر ما حدث لها فى الدنيا فتندم أشد الندم، ولات ساعة الندم ، ويجسم الله تعالى حـــالة الندم هذه تجسيما بليغا يشير به الى حالة نفسية فى قمة انفعالها وثورتها فالظالم لا يعض على يد واحدة ، وانما يعض على يديه معا(١) لبيان مدى الحسرة والنـــدم وشدة التفجع بعد فـــوات الأوان وانظر الى قوله تعـــالى « يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا » تجد مدى تعلق النفس بما فات ، وهيهات أن يستدرك باستعمال ـــ اسلوب التمنى المصدر بالنداء ، وليس مرادا به النداء ، وانما المراد به التنبيه عـــلى مدى الخسران الذى لحق به عندما حاد عن طريق الرسول ، فيتمنى لو كان قد سلك طريقـــه واتبع رسالته ، وفى قوله تعالى « يا ويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا » تجد الندم أكثر حدة ، لأنه ينـــادى فيه ، ويلته يعنى هلاكه ، يقول لهـــا تعالى فهذا أوانك ، وفى قوله « فلانا » كناية عن صاحب السوء أيا كان

---

(١) دلالات التراكيب ٠

فيشمل كل صاحب سوء صده عن سبيل الرسول وأضله عن ذكر الله تعالى .

وقديستفاد التمنى بغير أداته الأساسية فيتمنى بـ (هل) و (لو) و (لعل) وفى ذلك أسرار ولطائف .

١ ـ اما (هل) فانها تستعمل حيث يعلم أن المستفهم عنه غير حاصل وانه لا طمع فى حصوله والسر فى العدول عن « ليت » التى هى الأصل فى التمنى الى « هل » : هو ابراز المتمنى فى صورة المستفهم عنه الذى لا جزم بانتفائه ، لاظهار كمال العناية به حتى لا يستطاع الاتيان به الا فى صورة الممكن الذى يطمع فى وقوعه كما فى قوله تعالى حكاية عن الكفار « فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا »(١) .

فالكفار يعتقدون يقينا انه لا سبيل الى شفاعة أحد فى هذا الوقت ، ولكن لما كانت حاجتهم الى الشفيع وتعلقهم به حينئذ أشد أرادوا أن يبرزوا هذا المتمنى فى صورة الممكن فسألوا عنه كما يسأل عن الشىء الذى لا استحالة فى وجوده ، اظهارا لشدة الرغبة فيه . ومنه قول الشاعر :

أسرب القطا هل من يعير جناحيه
لعلى الى من قد هويت أطير

فالشاعر هنا يعلم انه لا أمل له فى لقاء الأحبة ، لأنه لا سبيل الى اعارة الجناحين اذ هو من المستحيلات ، ولكن لما كانت لديه شدة الرغبة فى لقاء الأحبة وكمال العناية به أبرز متمناه فى صورة المستفهم عنه ليجعله فى صورة الممكن لأن الاستفهام لا يكون الا فى الأمور الممكنة التى يطمع فى وقوعها .

---

(١) الأعراف ٥٣ .

٢ ــ وأما « لو » فانها تستعمل فى التمنى امعانا فى ابراز المتمنى فى صورة الممتنع الذى لا سبيل فى حصوله ، لأن لو حرف امتناع لا متناع ففى قوله تعالى « فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين »(١) نجد أن « لو » هنا ليست على أصلها وانما استعملت للتمنى بدليل نصب المضارع المقترن بالفاء بعدها على اضمار أن ، لأنه ينصب فى جواب الأشياء الستة ، وهى الأمر والنهى والاستفهام والتحضيض والتمنى والنفى •

وفى قوله تعالى « أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين »(٢) فالمتمنى هنا وهو الكرة والرجوع الى دار الدنيا لا يمكن أن ينال ، واستعمال لو فى التمنى هنا للاشعار بعزة المتمنى بابرازه فى صورة ما لا يمكن وجوده وقد نصب المضارع المقترن بالفاء بعدها أيضا على اضمار « أن » بعد الفاء مما يدل على أن « لو » استعملت فى التمنى •

ويرى أبو يعقوب السكاكى أن « هلا » و « ألا » بقلب الهاء همزة كأنهما مأخوذتان من « هل » التى للتمنى ولولا ولوما مأخوذتان من « لو » التى للتمنى أيضا ، وكأنهما أى «هل» و « لو » ركبتا مع « لا » و « ما » المزيدتين ، ولذلك لتضمنهما معنى التمنى ، وقد جعل افادة التمنى واسطة لافادة معنى الندم فى الماضى والتحضيض فى المستقبل ، فاذا دخلت على الماضى جعلت المخاطب نادما على ما مضى واذا دخلت على المضارع أفادت ــ حض المخاطب وحثه على فعل أمر فى المستقبل فالتمنى يتولد منه هذين المعنيين ، لأن تمنى ما فات يتولد منه التنديم ، وتمنى ما هو آت يتولد منه التحضيض •

---

(١) الشعراء آيات ١٠٠ ــ ١٠١ ــ ١٠٢ •

(٢) الزمر : ٥٨ •

٣ — وأما « لعل » فمن المعلوم انها وضعت فى الأصل لمعنى الترجى وهو طلب الأمر الممكن المتوقع الحصول ، واذا كان طلب هذا الأمر غير متوقع فهو التمنى .

فالتمنى والترجى يشتركان فى طلب الأمر الممكن ، فان كان هذا — الممكن متوقعا أى قريب الحصول فهو الترجى ، وان كان غير متوقع أى بعيد الحصول فهو التمنى ، وينفرد التمنى بأنه يأتى فى غير الممكن أى المستحيل الوقوع .

وقد تستعمل « لعل » فى التمنى فتعطى حكم ليت من نصب المضارع بعدها بالفاء ، بأن مضمرة بعد الفاء ، وذلك لابراز المتمنى فى صورة الممكن المتوقع حصوله لشدة الرغبة فيه مثل قولك : « لعلى أحج فأزورك » بالنصب أى بنصب أزروك ، فالحج شأنه أن يكون مترجيا ، أى متوقع الحصول ولكن عرض للمتكلم عدم توقع حصوله فصار بهذا الاعتبار متمنيا لا مترجيا ، بقرينة نصب الفعل المقترن بالفاء بعدها ، ولا شك أن لدى المتكلم رغبة شديدة فى حصول هذا الفعل المتمنى ، ولذلك استعمل فيه « لعل » ليوهم نفسه انه متوقع الحصول . ومنه قوله تعالى فيما يحكيه عن فرعون « يا هامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع الى اله موسى »(١) استعمل الرجاء هنا بمعنى التمنى بدلالة قراءة النصب(٢) فى «فأطلع»، ومن الواضح أن فرعون ليس جادا فى البحث عن اله موسى ، ولكنه أراد أن يوهم غيره أنه جاد فى التعرف على اله موسى،ولذلك آثر التعبير

---

(١) غافر ٣٦ ، ٣٧ .

(٢) قراءة النصب هى قراءة عاصم فى رواية حفص والرفع قراءة الباقين انظر القراءات السبع لابن مجاهد ص ٥٧٠ .

(بلعل) التى تضمنت معنى التمنى ، لأن اطلاع فرعون على اله موسى، وبلوغه أسباب السموات غير ممكن ، ولكنه أراد أن يموه عــلى قومه ويظهر لهم انه جاد فى الاطلاع على حقيقة الأمر وأن ذلك ممكن لتماديه فى كفره وامعانه فى عتوه وغروره •

الثـــانى : الأمر :

صــيغ الأمــر :

أ ــ فعل الأمر كما فى قولك : أكرم عمـرا ، وكما فى قوله تعالى « يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا » •

ب ــ المضارع المقترن بلام الأمر فى قولك « ليحضر زيد وليذهب على » وكما فى قوله تعالى « لينفق ذو سعة من سعته »(١) •

جـ ــ اسم فعل الأمر نحو : صه عن كذا ، ورويدا بكرا ، ونزال ودراك ونحو « آمين » بمعنى استجب •

د ــ المصدر النائب عن فعل الأمر نحو : صبراً على البأساء •

ومنه قول الشــاعر :

فصبرا فى مجال الموت صبرا　　　فما نيل الخلود بمستطاع

قولك : رفقا بالضعفاء ، وتركا للهو والباطل •

المعنى الحقيقى للامر :

بين الخطيب أن الأمر فى معناه الحقيقى هو طلب الفعــل على

---

(١) الطلاق : ٧ •

جهة الاستعلاء ، وعنـد الزمخشرى : هو طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه ، والمعنيان متقاربان •

وقد يخرج الأمر الى معان أخرى مجازية يقتضيهما المقام منها :

١ ــ الاباحــة :

كما فى قولك : جالس الحسن أو ابن سيرين ومن أحسن ما جاء فيه قول الشاعر « كثيرة عزة » •

اسيىء بنـا أو أحسنى لا ملومة
لدينـا ولا مقليـة ان تقلت

فالمعنى انها ان أساءت أو أحسنت فهو على عهدهـا فلا يتفاوت الحال بتفاوت فعل المخاطب ، لأن المتكلم راض بوقوع أحد الأمرين ، ومن ثم لا تتفاوت حالة من الحفاظ على عهدها مهما فعلت من الاساءة أو الاحسـان •

٢ ــ التهـديد :

ويستعمل فى مقام عدم الرضا بالمأمور به • ففى قول الله تعالى « اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير »(١) تجد أن الأمر هنا ليس بمعناه الحقيقى ، وانما يفيد معنى التهديد ، لأن المعنى افعلو ما تهواه نفوسكم من الخير أو الشر فسترون جزاء فعلكم أو افعلوا ما شئتم من الالحاد فى آيـات الله فسترون جزاء أعمـالكم لأنه مطلع عليهـا ومسجلها عليكم لدى الملائكة الذين يكتبون ما تفعلون •

واذا نظرنا فى سياق الآية من أولها نجد تهديدا آخر بغير اسلوب الأمر • اقرأ معى قوله تعالى « ان الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفـون علينا أفمن يلقى فى النار خـير أم من يأتى آمنا يوم القيـامة »(١)

---

(١) فصلت : ٤٠ •

فستجد التهديد المخيف في قوله تعالى « لا يخفون علينا » ، لأنه يلزم من عدم خفائهم على الله انهم مكشوفون لعلمه تعالى يســجل عليهم ما يفعلون من الانحراف في آيات الله والميــل بها عن جهة الصــحة والاستقامة فلا يظنون انهم مفلتون من عقاب الله كما فلتوا بالمغــالطة والانحراف من حساب الناس •

ومن التهديد قولك لعبد شتم مولاه وقد أدبته — اشتم مولاك — أى سترى جزاء اهانتك لسيدك •

٣ — التعجيز : وذلك في مقام من يدعى القــدرة على شيء هو لا يقدر عليه ، كقولك لمن يدعى القدرة على فعل أمر تعتقد انه ليس في وسعه « افعله » ومنه قوله تعالى : « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شــهداءكم من دون الله أن كنتم صادقين »(١) الشاهد في قوله تعالى « فأتوا بسورة من مثله » الأمر هنا للتعجيز ، لأنهم لا يمكنهم الاتيان بسورة من مثله : يقول جار الله الزمخشرى :

« وما مثله حتى يأتوا بسورة من ذلك المثل »(٢) أى أنهم تحدوا بأن يأتوا بسورة من مثله فما ذلك المثل حتى يأتوا بسورة منه •

وفي قوله تعالى : « وادعوا شهداءكم من دون الله » الأمر ليس على حقيقته ، وانما يفيد معان أخر تفهم من الســياق وفقا للمــراد من الشهداء ، فان كان المراد الأصنام كان الأمر في قوله « ادعــو » للتهكم ، وان كان المراد بهم الرؤساء كان الأمر للاستدراج وارخــاء العنان ، وان أريد به الناس العدول كان لاظهــار التبكيت ، وان أريد

---

(١) البقرة ٢٣ •
(٢) الكشاف ٢٤٢/١ •

به الناصر والمستظهر به من دون الله كان الأمر للتحدى والتعجيز .

فهذه أربعة معان للامر غير معناه الحقيقى هى : التهكم ، والاستدراج ، والتبكيت ، والتعجيز .

٤ — التسخير يأتى فى مقام انقياد المأمور للامر من غير قدرة له فيه كما فى قوله تعالى : « كونوا قردة خاسئين »(١) وهو نقل الله الشىء من حالة الى حالة أخرى فيها مهانة ومذلة .

٥ — الاهانة وتأتى اذا كان الغرض قلة المبالاة بشأن المأمور ومن ثم لا يقصد حصوله مثل قوله تعالى «كونوا حجارة أو حديدا»(٢) والفرق بين التسخير والاهانة أن فى التسخير يحصل الفعل أعنى صيرورتهم قردة وقت ايجاد الصيغة ، وفى الاهانة لا يحصل ، لأن الغرض قلة المبالاة بهم وعدم الاعتداد بشأنهم ، ولما كان المسخر والمهان لا يتأتى منهما الطلب اذ ليس فى استطاعتهما تنفيذ المأمور به وهو تبديل حالتهما الانسانية الى حالة أخرى وهى كونهم « قردة » فى الأول ، وكونهم حجارة أو حديدا فى الثانى كان الطلب فيهما على غير حقيقته لافادة معنى التسخير فى الأول والاهانة فى الثانى ومن الاهانة قوله تعالى « ذق أنك أنت العزيز الكريم »(٣) اذ ليس المراد من الأمر هنا طلب حدوث الذوق لأنه حاصل فعلا وقت الخطاب ، وانما المراد به هنا الاهانة والمذلة ، وفى قوله تعالى « انك أنت العزيز الكريم » تهكم به .

٦ — التمنى : وذلك فى مقام طلب شىء محبوب لا قدرة للطالب عليه ، كقول امرىء القيس .

---

(١) البقرة : ٦٥ .

(٢) الاسراء : ٥٠ .

(٣) الدخان : ٤٩ .

ألا أيها الليل الطـويل ألا انجلى
بصبح وما الاصباح منك بأمثـل

المراد بالانجلاء الانكشاف ، وبالاصباح : ظهور ضوء الصباح ، فليس الغـرض هنا هو طلب الانجـلاء من الليل ، لأنه لا يتأتى منـه الخطاب والطلب ، وانما المقصود هو تمنى ذلك تخلصا عما عرض له فى الليل من الهموم والآلام التى تزاحمت لديه ، مما جعل الليل طـويلا وكأنه لا آخر له ، فلا طماعية له فى انجلائه ، ولهذا حمل الأمر هنـا على التمنى دون الترجى •

٧ — التسوية بين الشيئين : وذلك فى مقام توهم رجحان أحـد الأمرين على الآخر ومنه قوله تعالى « فاصبروا أو لا تصـبروا »(٢) كأن المخاطب توهم أن أحد الطرفين من الصبر أو عدمه نافع له ومرجح عنده ، فأراد المتكلم أن يزيل هـذا الوهم ويسـوى بينهما أى بين الصبر والجزع فلا جدوى من الصبر ، كما انه لا جدوى من الجزع ، لأن العذاب لاحق بهم لا محالة على كلا الحالين ، فلا يدفعه صبر كما لا يدفعه جزع ، وفى هذا المعنى يقـول الله تعـالى « فيما يحكيه عن الضعفاء مع المستكبرين الذين أضلوهم حين يقف الجميع بين يدى الله تعالى ويدور الحوار بينهما ولكن بأسلوب خبرى » سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيض »(١) ومثله قوله تعـالى « انفقوا طوعـا أو كرها لن يتقبـل منكم »(٢) الخطاب والأمـر هنا للمنافقين الذين يبذلون أموالهم عوضا عن الغزو ويحسبون انها تنفعهم عـلى تقـدير صدق دعوة الرسول ﷺ ، وهذا من شكهم فى أمر الدين فتوهموا أن

(١) الطور
(٢) ابراهيم : ٢١ •
(٣) التوبة : ٥٣ •

الانفاق طوعا مقبول ، لأنهم يعملون أعمالا تنفع المسلمين يجدونها عند الحشر على فرض ظهـور صـدق الرسـول ، ويبقون عـلى دينهم فلا يتعرضون للمهالك فى الغزو ولا للمشاق ، فسـوى بينهما أى بين الانفاق طوعا أو كرها فى عدم القبول فلا جدوى ترجى منهما •

وقد ذهب الزمخشرى الى أن الأمر فى الآية بمعنى الخبر فيقول : « فان قلت : كيف أمرهم بالانفاق ثم قال لن يتقبل منكم أنفقتم طوعا أو كرها »(١) ، ويقول الزجاج : « معنى الاية معنى الشرط والجـزاء أى أنْ انفقتم طائعين أو مكرهين لن يتقبل منكم »(٢) • والنكتـة فى نحو ذلك توخى اظهار نفى تفاوت الحال ــ بتفاوت فعل المخاطب ومنه قوله تعالى « اسـتغفر لهم أولا تسـتغفر لهم »(٣) فقد يتـوهم أن الاستغفار ينفع المنـافقين لعلهم يرجعـون عن نفاقهم فسـوى بين الاستغفار وعدمه فى الا جدوى التى ترجى منه ، فنفى تفاوت الاختلاف بين حال الاستغفار وتركه أى لا فائدة فى الحالين ، ففيه مبالغة فى عدم جدوى الاستغفار بتساويه مع عدمه •

٨ ــ الدعاء : وذلك فى مقام طلب الفعل على سبيل التضرع مثل قوله تعالى « رب اغفر لى ولوالدى »(٤) ومنه قوله تعالى « ربنـا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من النـاس تهوى اليهم وارزقهم من الثمـرات لعلهم يشكرون »(٥) فالمقام اذن مقام توسل وتضرع وابتهال الى الله

---

(١) الكشاف ٢/١٩٥ •
(٢) معانى القرآن واعرابه للزجاج ٢/
(٣) التوبة : ٨٠ •
(٤) نوح ٢٨ •
(٥) ابراهيم : ٣٧ •

العلى القدير ، وقد صدر هذا الدعاء من ابراهيم عليه السلام الى الله بأن يحفظ زوجه وولده الذى وهب له على الكبر ، وبأن يعمر هذا المكان الطاهر بتعلق القلوب اليه وهويها اليه من كل فج ، وبأن يرزق أهله من الثمرات،ومن الواضح أن الأمر فى حقيقته طلب على وجه الاستعلاء فهو من الأعلى للأدنى ، والدعـاء طلب الأدنى من الأعـلى على وجه التضرع والخضوع •

٩ ــ الالتماس : وهو الطلب مع المساواة على سبيل التلطف ، وذلك كقولك لمن يساويك فى الرتبة : افعل كذا ، بدون استعلاء وعلى هذا يمكننا أن نفرق بين الأمر والدعاء والالتماس فالأمر هو ــ الطلب على وجه الاستعلاء وهو من الأعلى للأدنى ، والدعاء هو الطلب على وجه التضرع والخضـوع وهو من الأدنى للأعلى ، والالتمـاس هو الطلب مع التساوى فى الرتبة بدون تضرع أو استعلاء •

١٠ ــ التهييج والالهـاب :

قد يفيد الأمر الاثـارة والتهييج والالهـاب للحث على الأمـر والمبالغة فيه ، بينهما صـاحب الطراز بقوله : هما عبارتان عن الحث على الفعل لمن لا يخلو عن الاتيان به وذلك حين يتوجه الى المـأمور الواقع منه الفعل والذى لا يتصور أن يكون منه خلافه كما فى قولـه تعالى « فاستقم كما أمرت »(١) فالأمر هنا للرسول ﷺ وهو المعصوم والمستقيم على المنهج دون انحراف ولا يتصور منه خلاف ذلك ، ولذلك روى انه عليه السلام عندما سمع هذه الآية قال : «شيبتنى هود••» وقوله تعالى « واتبع ما يوحى اليك من ربك »(٢) وقد يفهم التهييج

---

(١) هود ١١٢ •
(٢) يونس ١٠٩ ، الأحزاب ٢ •

والالهـــاب من مادة الكلمـــة كما فى قوله تعالى « يأيهـــا النبى حرض المؤمنين على القتال »(١) يقول الزمخشرى : التحريض : المبـــالغة فى الحث على الأمر من الحرض وهو أن ينهكه المرض(٢) ٠

١١ ـــ افادة التهكم والتوبيخ كما فى قوله تعالى « ارجعُوا الى ما اترفتم فيـــه »(٣) ، والمعنى : عـــودوا الى متاعكم الهنىء من العيش الراغد والحال الناعمة ، والسكن المريح ، ولا يمكن لهم الرجوع بحال من الأحـــوال ٠

الثـــالث النهى

هو طلب ترك الفعل على وجه الاستعلاء وصيغته واحـــدة وهى الفعل المضـــارع المسبوق بلا النـــاهية الجازمة كما فى قوله تعـــالى « ولا تمشى فى الأرض مرحـــا »(٤) هذا هو المعنى الحقيقى لصـــيغة النهـــى ٠

وقد يخرج النهى عن معناه الحقيقى الى معان أخرى تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال وفقا لما يقتضيه المقام من هذه المعانى :

١ ـــ التهديد : كقولك لعبد لا يمتثل أمرك : لا تمتثل أمـــرى ، فمن الواضح أن ليس المـــراد طلب كفه عن الامتثـــال ، لأن الســـيد لا يطلب من عبده ترك امتثال أمره ، اذ المطلوب الامتثال لا تركـــه ،

---

(١) الأنفال ٦٥ ٠
(٢) الكشاف جـ ١٢ ص ١٦٧ ٠
(٣) الأنبياء : ١٣ ٠
(٤) الاسراء : ٣٧ ٠

وانما المراد التهـديد بما يترتب على عدم الامتثال وهـو انه سيلقى جزاءه اذ لم يتمثل أمره •

٢ ـ الارشاد : كما فى قوله تعالى « يأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم »(٢) فالنهى عن السؤال هنا انمـا هو لارشـاد المؤمنين الى ما ينبغى أن يكونوا عليه من عـدم الاكثار فى المسائل الخاصة بذواتهم والتى لا تتعلق بأمور الدين ، ولا يكونوا ـ كالمنافقين الذين كانوا يكثرون من الأسئلة لرسول الله ﷺ استهزاء، كقول الرجل تضل ناقته : أين ناقتى ؟ ، وقول المسافر : ماذا ألقى فى سفرى ؟ ، وسؤالهم عن أحوال بعض المجهولات ••• الخ •

٣ ـ الدعاء : وذلك فى مقام الخضوع والتضرع الى الله تعالى كقولك « اللهم لا تشمت بى أعـدائى » وكقـول الله تعالى « ربنـا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا »(١) •

٤ ـ الالتماس : وذلك اذا كان النهى صادرا من المساوى بدون استعلاء أو خضوع ـ كقولك لمن يسـاويك رتبة : لا تفعل كذا أيهـا الصـديق •

٥ ـ الدوام على ترك الفعل والثبات عليه ، وذلك كما فى قـوله تعالى « ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظـالمون »(٣) فالمراد من النهى هنا هو طلب الدوام والثبات على ما عليه المخاطب من تـرك الفعل وهو الظلم • وقد تفيد هذه الجملة المشتملة على النهى الوعـد

---

(١) المائدة : ١٠١ •
(٢) البقرة : ٢٨٦ •
(٣) ابراهيم : ٤٢ •

والوعيد أى فيها وعد للمظلوم وتسلية ، لأن الخطاب عام فاذا سـمع المظلوم أن الله عالم بفعل الظالم وأنه ينتصر له منه ويجازيه عليه هان عليه ظلمه ، وفيها وعيد للظالم وتهديد له لأنه اذا تصور ذلك ربمـا ارتدع عن ظلمه •

٦ ــ التيئيس : كقوله تعـالى « لا تعتذروا اليـوم »(١) فالمراد من نهى الكفار عن الاعتذار فى يوم الجزاء والحساب تيئيسهم من عدم جدوى الاعتذار ولحوق العذاب بهم لا محالة •

٧ ــ التهييج والالهاب : كما فى قوله تعالى « مخاطبا الرسـول ﷺ « ولا تكونن من المشركين »(٢) فاذا كان رسـول الله ﷺ وهو المعصـوم منهى نهيـا مؤكدا ــ لاتصال الفعـل بنون التوكيد ــ عن الدخول فى طـائفة المشركين فان فى ذلك مما يوقظ المسـلمين ، ويهيج مشاعرهم ويثير كوامن الاحساس فى نفوسهم فيحرصون على الايمان، ويبتعدون عن الشرك • ومنـه قوله تعـالى « فلا يصدنك عنهـا من لا يؤمن بها ••• »(٣) •

فالمقصود هنا نهى موسى عليه السـلام عن التكذيب بالبعث ، لأن الكافر الذى لا يؤمن بالساعة لو صـده عليه السلام عن تصديقه بالبعث وأثر ذلك فيه كان سببا للتكذيب بالبعث ، فنهاهم عن الصـد الذى هو السبب وأريد المسـبب وهـو نهى موسى عليه السـلام عن التكذيب تهييجا والهابا •

---

(١) التحريم : ٧ •
(٢) القصص ٨٧ •
(٣) طه : ١٦ •

الرابع الاستفهام

معناه الحقيقي : (طلب حصـــول صورة الشيء في الذهن بأدوات مخصـــوصة) فالهمزة والسـين والتـاء تفيد معنى الطلب في كلمـة « الاستفهام » والمطلوب هــو الفهم أي حصـــول صـــورة المراد في الذهــن •

والشيء المطلوب حصول صورته في الذهن ينقسم الى قســمين تصديق وتصور ، فان كانت الصورة المطلوب حصولها في الذهن هي وقوع نسبة بين المسند والمسند اليه بالاثبات أو بالنفي كن ادركهـا تصديقا ، وان كانت الصورة المطلوبة ادراك مفرد من مفردات الجملة سواء أكان مسندا اليه أم شيئا من متعلقات الفعل كان ادراكها تصورا، لأنك تتصور ماهية هذا المفرد •

أدوت الاستفهام :

للاستفهام أدوات يؤدى بها وهي احدى عشرة أداة هي «الهمزة وهل ، وما ، ومن ، وأي وكيف ، وأنى ، ومتى وأين • وأيان • وكم» وهذه الأدوات منها ما يسأل بها عن كل شيء في الجملة من التصـــور أو التصديق وهو الهمزة ، ومن ثم تكثر الاعتبارت واللطائف في صياغة الجملة الداخلة عليها وتحتاج هذه الصياغة الى دقة وحذر في ترتيب مفردات هذه الجملة وتقدير المعادل •

ومنها ما يطلب به التصديق فقط وهو « هل » ومنها ما يطـلب به تصور شيء معين فقط وهي بقية الأدوات •

أولا : الهمــزة :

اذا جاءت الهمزة للتصديق أي يطلب بها حصول النسبة ام يذكر معها معادل ، لأن المطلوب هو ادراك وقـــوع هذه النسبة أو عدمـ —

وقوعها فاذا قلت : أسافر محمد ؟ وأمحمد سافر ؟ كنت متصورا لمحمد والسفر ، ومتصورا النسبة بينهما ، أى نسبة السفر الى محمد ، أى انك عالم بأن بينهما نسبة اما بالايجاب أو بالسلب وتطلب تعيينهـا ، فأنت تسأل عن وقوع هذه النسبة أو عدم وقوعها ، أى هل السـفر المنسوب الى محمد متحقق خـارجا أو غير متحقق ؟ ويكون الجـواب حينئذ « بنعم » أو « بلا » .

واذا جاءت الهمزة للتصور ذكر معها المعادل ، فلن كنت تطلب تصور المسند اليه قلت : أخالد نجـح أم طارق ؟ وأمحمد قـائم أم على ؟ فأنت تعلم أن احدهما قائم ، ولكنك لا تعرفـه على التعيين ، ولذلك فأنت تطلب تعيينـه . وان كنت تطلب تصور المسـند قلت : أفى الدار محمد أم فى الكليـة ، فأنت تعلم انه فى احـداهما ، ولكنك لا تعرفها على التعيين ، ولذا فأنت تطلب تعيينها .

المسئول عنه بالهمزة هو ما يليها :

وهذه ملاحظة دقيقة تحدد المراد من السؤال ، ولولاها لا التبس الأمر على المخاطبين ، لأن كل شىء فى الجملة صالح لأن يسأل عنه ، فاذا حدد المسئول عنه كان هو موضع الشك وهو المطلوب تعيينـه ، وبقية أجزاء الجملة لا شك فيها ، فالمسئول عنه بالهمزة هو ما يليهـا سواء أكان مسندا اليه أم مسندا أم شيئا من متعلقات الفعل ، كالمفعول والظرف ، والجار والمجرور والحـال وغير ذلك ، فمثال المسـند اليه اذا ولى الهمزة قولك : « أأنت قـرأت هذا الكتـاب » فالشك هنا فى الفاعل « المسند اليه » من هو ؟ والتردد وقع فيه ، والمسند وهو القراءة لا شك فيها . وتقول : « أأنت بنيت هذه الدار » ، فالشك فى الفـاعل وهو ضمير المخاطب أما الفعل فلا شك فيه بدليل اشارتك الى الـدار المبنية أى أن البناء حاصل فلا وجه للسؤال عنه ، ولذلك لا يصـح لك

أن تقول : « أبنيت هذه الدار » لأن سؤالك عن البناء يعنى أنك تشك فيه ، وقـولك : « هذه الدار » ينفى ذلك ، ومثال المسـند اذا ولى الهمزة أن تقول : « أفرغت من الكتاب الذى كنت تكتبه » ؟ « أبنيت الدار التى كنت على أن تبنيها » .

يقول الشيخ عبد القاهر :

ولا يخفى فساد أحدهما فى موضع الآخر فلو قلت : « أأنت بنيت الدار التى كنت على أن تبنيها » ؟ ، « أأنت فرغت من الكتـاب الذى كنت تكتبه » ؟ خرجت من كـلام الناس ، وكذلك لو قلت : « أبنيت هذه الدار » ؟ ، « أكتبت هذا الكتاب » ؟ قلت ما ليس بقول ، لفساد أن تقول فى الشىء المشاهد الذى هو نصب عينيك أموجود أم لا(١) ، والسؤال عن الفاعل يلزم منه بالضرورة أن يكون الفعل محددا،حتى يمكن أن يقال فى الجواب : الذى فعله فلان ، ومن ثم لا يجـوز أن تقول : أأنت قلت شعرا قط ؟ أأنت رأيت انسانا ؟ ، لأن الفعل هنا غير محدد ، ولأن قيل شعر على الجملة ورؤية انسـان على الاطلاق لا يمكن أن ينص فيه على فاعل معين ، اذ أنه لا يختص بواحـد دون الآخر لأن رؤية انسان ما قدر مشترك بين الناس جميعا وقول الشعر قدر مشترك بين كثير من الناس واذا أردت أن يكون كلامك — مستقيما تقول : « أقلت شعرا قط » ؟ « أرأيت اليوم انسانا » ؟ لأن الشـك ليس فى الفاعل وانما فى الفعل .

ومـا تجدر الاشـارة اليه انه اذا ولى الفعـل الهمزة وأردت بالاستفهام أن تعلم وجوده فهى لطلب التصديق بالنسـبة ما لم تقم قرينة تدل على خلافه كذكر المعادل ، فاذا قلت : « أضربت زيدا » ؟ كان المراد هو طلب التصديق بالنسبة ، واذا قلت : « أضربت زيـدا

---

(١) دلائل الاعجاز ص ٨٦ .

أم أكرمته » ؟ فهى لطلب تصور المسند أضرب هو أم أكرم ؟ والتصديق حاصل بثبوت احـدهما ، واذا قلـت : « اشـتريت هذا الكتـاب أم استعرته » ؟فهى لطلب تصور المسند ، والتصديق حاصل بثبوت أحد الأمرين من الاشتراء — أو الاستعارة ، وقد تكون القرينة بغير ذكر المعادل بأن تفهم من نفس الجمـلة الواقعـة فى حيز الاستفهام مثـل قولك : « أفرغت من الكتـاب الذى كنت تكتبه » ؟ ، فهو سـؤال عن وجود نفس الفعل . وان كان المعادل هو النقيض كان المطلوب بهـا التصديق مثل قولك : « أنجح خالد أم لا » ؟ .

ومثال المفعول اذا ولى الهمزة قولك : « أخالدا أكرمت » ؟ اذا كان الشك فى المفعول من هو ؟ مع القطع بوقوع اكرام من المخاطب ، والمطلوب تعيين وقوع هذا الاكرام هل وقع على خالد أم على ، ولذلك يمكنك ذكر المعادل بقولك : أخالدا أكرمت أم عليا ، ولا يجـوز لك أن تقول : أخالدا أكرمته أم اهنت ؟ ، لأن تقديم المفعول على الفعل وايلاؤه الهمزة يقتضى أن الشك فى المفعول ، والمطلـوب تعيينه أى تصوره ، وذكر المعادل بقولك أم أهنت ، يقتضى خلاف ذلك وأن الشك فى الفعل مع انه معلوم بسبب عدم ايلائه الهمزة(١) .

وكذا سائر المتعلقات اذا وليت الهمـزة ، فان الشك فيهـا ، والمطلوب تعيينها ، مثل قولك : « أفى الدار صليت » ؟ « أيوم الجمعه سرت » ؟ « وأراكبا جئت » ؟ « أتأديبـا ضربت محمـدا » ؟ وممـا ينبغى أن يكون على ذكر منك هو أن وجوب ايلاء المسئول عنه للهمزة اذا لم تقم قرينة تدل عليه ، فاذا قامت قرينة تدل عليه كذكر المعادل جاز تأخيره عنها كقولك : « أسلمت على محمد أم على خالد » ؟ فقد آخر المسئول — عنه وهو « على محمـد » لأن فى ذكر المعـادل وهو « على خالد » قرينة على أن المسئول عنه هو الجار والمجرور لا الفعل.

ثانيا : هـل ؟

وهى لطلب التصديق فقط كما وضحنا ، وتدخل على الجملتين — الفعلية والاسمية نحو « هل قام زيد » ؟ ، « وهل عمرو قاعد » ، وذلك اذا كان المطلوب التصديق بحصول القيام لزيد ، والقعود لعمرو، ولا يصـح لك أن تقـول : « هـل زيد عندك أم عمرو » ؟ ، لأنك بذكرك المعادل تريد تعيين المسند اليه ، ومعنى هذا انك عالم بالنسبة، وأن عنده احدهما وتطلب تعيينه ، ولا يؤتى بهل فى هذه الحالة أى لطلب التصور لاختصاصها بالتصديق ، وانما يصـح لك أن تقـول : « أزيد عندك أم عمـرو » ؟ ، وليس معنى هـذا أن « أم » لا تقع بعدها ، وانما يجوز أن تقع بعدها « أم » — المنقطعة التى بمعنى الاضراب مثل قول الشاعر :

ألا ليت شـعرى هل تغيرت الرحارحى
الحـرب أم أضـحت بفلج كما هيـا

وأم التى ذكرت أولا هى أم المتصلة ، وأما « أم » هنا فهى — المنقطعة ما بعدها يعد كلاما مستقلا لا معادلة فيه •

ولأنها مختصة بالتصديق امتنع أن يقال : « هـل خالد سـافر أم هشام » ؟ لأن وقوع المفرد بعد أم دليـل على كونها متصـلة ، وأم المتصلة لطلب تعيين أحد الأمرين مع العلم بثبوت أصل الحكم ، وهى لا تكون الا لطلب التصور بعد حصول التصديق بنفس الحكـم . فان قلت : لم لا يكون المطلوب بها الأمرين بأن يكون المطلوب بهـل التصـديق ، وبأم التعيين ، ويقصدان معا باللفظـين المختلفـين اذ طلب التعيين لم يقصـد بهل بل بأم ، وطلب الحكم لم يقصد بأم بل بهل ؟ قلت : المراد أن الجمل الواقعة فى حيزها لا تكون الا لطـلب التصديق ، والجملة التى فيهـا أم واقعـة فى حـيزها ، وهى لطلب

التعيين،فالجمع بينهما يؤدى الى التناقض فلو قلت : «هل خالد سافر»؟ بدون ذكر المعادل فانه لا يمتنع بل يقبح ، لأن تقديم المسند اليه على الخبر قد يكون للاختصاص كما سبق أن وضحنا ، والاختصاص يقتضى وقوع النسبة ، والمراد السؤال عن الفاعل وهى لا يؤتى بها لهذا وانما يؤتى بها لطلب التصديق كما بينا • وظاهر هذ الوجه المنع كما لو ذكر المعادل،ولكنهم عدوه قبيحا لاحتمال أن يكون التقديم لمجرد الاهتمام أو تقوية الحكم كما مر من أن المسند اليه المثبت اذا تقدم على الخبر الفعلى قد يفيد الاختصاص وقد يفيد تقوية الحكم ، أو لاحتمال تقدير فعل محذوف دل عليه المذكور ، وقد رجح الاحتمال الأخير العلامة سعد الدين التفتازانى • ويقبح أيضا : وقوع متعلقات الفعل تالية لها ، لأن هذه المتعلقات تتقدم لتلى « هل » مثل « هل خالدا أكرمت » ؟ « وهل فى المسجد صليت » ؟ وهل تحت الشجرة جلست » ؟ « وهل ليلا سرت » ؟ « وهل راكبا جئت » ، وهل « تأديبا ضربت ولدك » ؟ ••• الخ •

أما وجه قبح هذه الأمثلة : فلأن تقديم هذه المتعلقات يستدعى حصول التصديق بأصل الحكم غالبا من انه معلوم لاشك فيه ، وهل لطلب التصديق فيكون « هل » طلبا لحصول الحاصل وهو محال •

أما وجه عدم امتناع هذه الأمثلة : فلاحتمال نأ يقدر فعل محذوف قبل هذه المتعلقات يفسره الظاهر المذكور فيكون التقدير : هل أكرمت
قبل هذه المتعلقات يفسره الظاهر المذكور فيكون اتلقدير : هل أكرمت
خالدا أكرمت ؟ وهل صليت فى المسجد صليت ؟ وهل جلست تحت الشجرة جلست ؟ وهل سرت ليلا سرت ؟ وهل جئت راكبا جئت ؟ وهل ضربت ولدك تأديبا ضربت ولدك ؟ وعلى هذا يكون الفعل فى هذه الأمثلة محذوفا وجوبا لأنه مفسر بما بعده ولا يجمع بين المفسر والمفسر •

وينبغى أن تتنبه الى أن عـدم اشتغال فعـل المفسر بالضـمير لا يوجب تقدير المفسر ، فقد يكون الفعل عاملا فى المتعلق المقدم لافادة التخصيص ، وهذا هو الغالب ، وهذا أيضا سبب آخر فى وجه القبح، لأن التقديم فى هذه الأمثلة اذا أفاد الاختصاص فانه يقتضى وقـوع النسبة كما مر قريبا ، والمراد السؤال عن هذه المتعلقات ، و « هل » لا يؤتى بها لهذا ، لأن « هل » لطلب التصديق فحسب ، والسـؤال عن هذه المتعلقات يرد بها طلب التصور لا التصديق فتدافعا .

ومن غير الغالب قد يكون التقديم لمجرد الاهتمام غير التخصيص ومن ثم لم يمتنع .

واذا اشتغل الفعل المفسر بالضمير[١] فانه لا يقبح : مثل قولك : « هل خالدا أكرمته » ؟ لجواز تقدير المفسر قبـل « خالد » أى هل أكرمت خالدا أكرمته ؟ ، بل هذا هو الأرجـح ، لأن الأصل تقـديم العامل على المعمول ، فلا يستدعى حصول التصديق بنفس الفعـل ، فيكون « هل » لطلب التصديق فيحسن ، ولأن الفعل المفسر قد اشتغل بضمير المتعلق المقدم فانصرف عنـه ، ومن ثم وجب تقـدير فعـل محذوف من جنس المذكور ليكون عاملا النصب فى المتعلق المقدم .

و « هل » تخصص المضارع بالاستقبال بحكم وضعها كالسـين وسوف أى تمحضه لذلك بعد أن كان محتملا له وللحال ، فلا يجوز لك أن تقول : « هل تضرب زيدا وهو أخوك » ؟ ، فالاخوة هنا قرينة على أن المراد انكار الضرب الواقع فى الحال، لا الاستفهام عن وقوع الضرب فى المستقبل ، ويصح أن تقول : « أتضرب زيدا وهو أخوك » ؟ ، وقد تكون القرينة مقالية كما فى هذا المثال وكما فى قولك : هل يقوم محمد الآن ؟ لأن فى ذلك تناقضا فى بناء الجملة من حيث دلالة الاسـتقبال التى أبرزتها « هل » والتقييد بالحال المدلول عليه بلفظ الآن ، وكأنك

تقول أولا : هل يقوم بعـد الآن ؟ ، ثم تقـول : « الآن » ، وهذا اضطراب ، وقد تكون القرينة حالية كما فى قوله تعالى « أتقولون على الله ما لا تعلمون »(١) ؟ وكما فى قولك : « أتؤذى أباك » ؟ و « أتشتم السلطان » ؟ اذا دلت الحال على ذلك فلا يصح وقوع « هل » موقع الهمزة فى الأمثلة السـابقة .

وكما فى قوله تعالى « انلزمكموها وأنتم لها كارهون » (٢) « و » « أتعبدون ما تنحتون »(٣) .

ولا يتوهم من هذا أنه لا يجوز تقييد الفعل المضارع الداخل عليه « هل » بالحال ، لأن الفعل المستقبل يجوز تقييده بالحال مثل قولك : « سيجيء محمد راكبا » ، « وسأضرب الظالم وهو بين يدى الأمير » فانه يجوز لك أن تقول : « هل يجيء زيد راكبا » ، « وهل أضـرب زيدا وهو بين يدى الأمير » ، ويصح لك أن تقول : « هل تلقى محمدا غدا وأنت عنه راض » . ومن تقييد الفعل المضارع المستقبل بالحـال قول الله تعالى « سيدخلون جهنم داخرين »(٤) ومنه قول الشاعر :

سأغسل عنى العار بالسيف جالبا
على قضاء الله ما كان جالبـا

وذلك لأن المضارع فى المستقبل مقيد بهذه الحال .

---

(١) الأعراف : ٢٨.
(٢) هود : ٢٨ .
(٣) الصافات : ٩٥ .
(٤) غافر : ٦٠ .

« هل » لها مزيد اختصاص بالفعل :

يقول الخطيب : ولهذين أعنى اختصاصها بالتصديق وتخصيصها المضارع بالاستقبال — كان لها مزيد اختصاص بما كونه زمانيا أظهر كالفعل ، أما الثانى فظاهر وهو تخصيصها المضارع بالاستقبال ، لأنه أحد مدلولى الفعل فانه يدل على زمان سواء أكان ماضيا أم حالا أم مستقبلا ، ويدلّ على حدث فى أحد هذه الأزمنة الثلاثة .

وأما الأول وهو أن اختصاصها بالتصديق يقتضى مزيد تعلقها بالفعل فلأن الفعل لا يكون الا صفة ، والتصديق هو الحكم بالثبوت أو الانتفاء والنفى والاثباتانما يتوجهان الى الصفات لا الى الذوات .

فاذا عدل بها عن الفعلية الىالاسمية فانه لا يكون الا لنكتة بلاغية وهى :

ابراز ما سيتجدد فى معرض الثابت الحاصل اهتماما بشأنه :
وذلك أدل على كمال العناية بحصوله من القائه على أصله ، ومن هنا كان قوله تعالى « فهل أنتم شاكرون »(١) أدل على طلب الشكر من قولنا : فهل تشكرون ، وقولنا « فهل أنتم تشكرون » لأن فى العدول عنالفعلية التى هى أخص بهل الى الاسمية معنى يقصد اليه المتكلم وهو افادة الثبوت والدوام وهو من دلالة الجملة الاسمية ولو جاء على الأصل لخلت الجملة من هذا المعنى وأفادت معنى آخر ليس هو المقصود بالذات وهو افادة التجدد والحدوث فى المستقبل ومن ثم يكون بعيدا عنالغرض والمغزى لأن الله تعالى أراد أن يعرض الشكر فى معرض الثابت الدايم مما يدل على كمال العناية بحصوله ، وهذه الآية جاءت

---

(١) الأنبياء : ٨٠ .

فى معرض الامتنان على الناس بتعلم داود عليه السلام صناعة الدروع على هيئة حلقات متداخلة لتقيهم فى الحرب بأن تكون حصنا لهم عندما يشتد البأس،قال تعالى« وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون»(١) ففى الاستفهام هنا توجيه لهم الى ما ينبغى أن يكونوا عليه من العنـــاية بأداء حق الشكر نحو ربهم الذى أنعم عليهم بهذه النعمة التى فيها وقاية لأنفسهم وأهلهم وذويهم،وأن الشكر منهم يجب أن يكون حاصلا وأن يكون ثابتا ودائما لا متجددا اذ أن فى الثبات والدوام مأمنا من الانقطاع ، وفيه أيضا حث وتحضيض على الثبات على الشكر والدوام عليه .

أما فى قولك « فهل تشكرون » فهو باق على أصله ، لأن« هل » داخلة على الفعل حقيقة ، وفى قولك « فهل أنتم تشكرون » داخلة على الفعل تقديرا ، لأن أنتم فاعل فعل محذوف يفسره الظاهر ففيه تأكيـــد بالتكرير ، لأنه على تقدير : فهل تشكرون تشكرون « فحذف الفعل الأول لوجود ما يفسره فانفصل ضـــميره — وأيضا قوله تعـــالى «فهل أنتم شاكرون » أدل على طلب الشكر من « أفأنتم شاكرون » وذلك لأن هل أدعى الفعل من الهمـــزة والزم له منها ، فتركه معهـــا أدل على كمال العنـــاية بحصوله ، من تركـــه مع الهمزة ، لأن الهمزة ليس لها مزيد اختصاص بطلب الفعل كما هو الحال فى « هل » ولهذا لا يحسن «هل» زيد منطـــلق ، الا من البليـــغ ، لأنه أقـــدر على فهم دلالة التراكيب وتنوعها وأعرف بخصائص الكلمـــات وما تدل عليه من خلال التراكيب وهو الذى يستطيع أن يستخدم الكلمات فى الابانة عن غرضـــه بسبب تمرسه فى علوم البلاغة وتربية ملكـــة الذوق لديه مما يمكنه من اتيـــان الكلام وفقا لما يقتضيه المقام أما غير البليغ فانه لا يفرق بين «هل» زيد منطلق ، وبين « هل منطلق زيد » لأن كلا المثالين صحيحان من حيث القواعد النحوية ، ولا يفرق بينهما الا البليغ بقصد الدلالة على الثبات

---

(١) الآية السابقة .

فى الأول وابراز ما سيتجدد فى معــرض الوجود فى الثانى ، لأنه أى البليغ يراعى النكات البلاغية التى يقتضيها المقام •

هل قسمان : بسيطة ومركبة :

فالبسيطة : هى التى يطلب بها وجود الشىء أولا ، كقولك : هل العنقاء موجودة ؟ أو هل هى غــير موجودة ؟ بمعنى هل لهــا تحقق فى الوجود الخارجى أم انها أمر اعتبارى وهمى ؟ وقولك هل خالد موجود أو غير موجود•والمركبة : هى التى يستفهم بها عن جود شىء لشىء ، أو عدم وجوده له ، كقولك : هل خالد شجاع أو غير شجاع • فالمطلوب هنا هو وجود الشجاعة لخالد أو عــدم وجودها • ومنهــا ما يطلب به تصور شىء معين فقط وهو بقية الأدوات وهى :

(أ) « من » ويطلب بها تصور من يعقل ، كقولك : من فى الدار ؟ ويرى السكاكى انها للسؤال عن الجنس من ذوى العلم تقــول : من جبريل ؟ بمعنى أبشر هو أم ملك أم جنى ؟ وتقول أيضا : «من ابليس» ؟ ومن فــلان ؟ ومنــه قوله تعــالى حكــاية عن فرعون « فمن ربكمــا يا موسى »(٢) ؟ أى أملك هو أم بشر أم جنى ؟ منكرا لأن يكون لهما رب سواه لادعائه الربوبية لنفسه ذاهبا فى سـؤاله هذا الى معنى : ألكما رب سواى فأجاب موسى عليه السلام بقوله : « ربنا الذى أعطى كل شىء خلقــه ثم هــدى »(١) كأنه قال : نعــم لنا رب ســواك هو كيت وكيت •

واعترض على السكاكى بأنه يسأل بمن عن العارض المشخص أى الشخص باعتبار عوارضه أى صفاته ، وعلى هذا يكون الجــواب عن

---

(١) طه : ٤٩ •

(١) طه : ٥٠ • •

السؤال بمن جبريل أن يقال ـــ ملك يأتى بالوحى كذا وكذا ممــا يفيد تشخيصه،وأيضا لو كان السؤال بمن عن الجنس لزم أن يكون السائل جاهلا بالجنس ولما صح لمن قال لك : جاءنى انسان « من هو ؟ » مع ظهور صحة ذلك واشتهاره فى كلام البلغاء .

(ب) « ما » يسأل بها عن مدلول الاسم : كقولك : ما العسجد ؟ فيجاب « ذهب » ويسأل بها أيضــا عن حقيقة المســمى وماهيته كأن يقال : ما الانسان ؟ فيجاب : حيوان ناطق .

وتقع « هل » البسيطة فى الترتيب بينهمــا أى بين « ما » التى لشرح الاسم ، والتى لطلب الماهية ، يعنى أن مقتضى الترتيب الطبيعى أن يطلب أولا شرح الاسم ، ثم وجود المفهوم فى نفسه ، ثم حقيقة ما يعرض لها من الأحــوال والصفات ، ومعنى هذا انك اذا سمعت اسما ولم تعرف له مدلولا فانك تطلب أولا شرح الاسم ليتأتى تصوره فى نفسك بوجه ما ، فاذا ما وقفت على مفهومه الاجمالى دعتك الرغبة الى طلب وجوده ، فاذا علمت أنه موجود ، طلبت تفصيل ذلك الموجود ببيان حده ، فاذا وقعت على حده طلبت معرفة أحواله العارضة وصفاته الزائدة على حقيقته ، فاذا لم تعرف معنى الأسد فانك أولا تسأل عن مفهومه الاجمالى بما فتقول : ما الأسد ؟ فيقال لك هو السبع،ثم تسأل ثانيا عن وجوده « بهل » البسيطة قائلا : هل هو موجود أو غير موجود ؟ فاذا علمت انه موجود سألت عن حقيقتــه « بما » التى للحقيقة ، ـــ فتقول ما حقيقته ؟ فيجاب : حيوان مفترس ، ثم تسأل بعد ذلك عن أحواله العارضة وصفاته الزائدة على حقيقته فتقول : هل له لبد وأظفار تساعده على اقتناص فريسته ؟ ... الخ ويرى السكاكى انه يسأل بما عن الجنس ، يقال : ما عندك ؟ أى أى أجناس الأشياء عنــدك ، وجوابه أن تقول : كتاب أو حقيبة مثــلا ، ويدخل فيه الســؤال عن

الحقيقة والماهية كقولك : ما الاسم أى أى أجناس الكلمات هو وجوابه : الكلمة الدالة على معنى فى نفسه غير مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة .

ويسأل بها أيضا عن الوصف تقول : ما حاتم ؟ وجوابه الكريم ، ومنه الحديث الشريف «سيروا فقد سبق المفردون ، قيل : وما المفردون يا رسول الله ؟ فقال الذاكرون الله كثـيرا والذاكرات . فقولهم : وما المفردون سؤال عن وصفهم الذى تميزوا به حتى أصبحوا مفردين .

جـ ـ أى : يسأل بأى عما يميز أحد الشيئين المتشاركين فى أمر يعمهمـا ، أو الأشـياء المشتركة فى أمـر من الأمور نحو قوله تعـالى « أى الفريقين خير مقاما »(١) أى نحن أم أصحاب محمد ﷺ ، فان الكافرين والمؤمنين لقد اشتركا فى الفريقية فسـألوا عما يميز أحدهما عن الآخر أى الكبراء والأغنياء الذين لا يؤمنون بمحمد ﷺ أم الفقراء الذين يؤمنون به ويلتفون حوله « أيهم خير مقـاما وأحسن نديا » ؟ ومنه قوله تعالى « أيكم يأتينى بعرشها »(٢) ؟ وقد يقول لك قائل : عندى ثياب ، فتقول أى الثياب هى ؟ فتطلب منه وصفا يميزها عنـدك عما يشاركها فى الثوبية .

(د) (كم) وهى للسؤال عن العدد المبهم ، نحو كم قرشا معك ؟ وكم فدانا ملكت ؟ وكم ثوبا اشتريت ؟ ، كم سرت تريد كم فرسخا ، أو كم يوما قال الله تعـالى « كم لبثتم فى الأرض عدد سنين »(٣) ؟ وقوله تعالى « سل بنى اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة »(٤) أى كم آية آتيناهم أعشرين أم ثلاثين أم غير ذلك .

---

(١) مريم : ٧٣ .

(٢) النمل : ٣٨ .

(٣) المؤمنون ١١٢ .

(٤) البقرة : ٢١١ .

والغرض من السؤال فى هذه الآية التقريع لأن الاستفهام فى الآية للتقرير أى حمل المخاطب على الاقرار ليلزم منه التقريع والتوبيخ •

(هـ) « كيف » يسأل بها عن الحال تقول : « كيف ذهبت الى الكلية » ؟ فيكون الجواب راكبا أو ماشيا أو نحو ذلك وكيف زيد ؟ أى على أى حال هو ؟ فيجاب صحيح أو سقيم •

(و) « أين » للسؤال عن المكان تقول : أين وضعت النقود ؟ فيجاب فى الحقيبة أو فى جيبى ، وتقول : أين ذهبت اليوم ؟ فيجاب ذهبت الى الكلية أو الحديقة مثلا •

(ز) « انى » وتستعمل تارة بمعنى « كيف » كما فى قوله تعالى : « انى يكون لى ولدا »(١) ؟ وقوله تعالى « فأتوا حرثكم انى شئتم »(٢) ؟ وتارة أخرى بمعنى « من أين » كما فى قوله تعالى « انى لك هذا »(٣) ؟ بمعنى من أين لك هذا الرزق الآتى كل يوم ؟ بدليل قولها بعد « هو من عند الله » •

(ح) « متى ، أيان » وهما للسؤال عن الزمان ، اذا قيل : متى جئت ؟ أو أيان جئت ؟ قيل : يوم الجمعه ، أو يوم الخميس أو شهر كذا أو سنة كذا •

المعانى المجازية للاستفهام

وأدوات الاستفهام التى سبق توضيحها قد تأتى لغير المعنى الحقيقى للاستفهام ، فتفيد معانى مجازية مناسبة للمقام بمعونة السياق وقرائن الأحوال • وهذه المعانى هى :

---

(١) آل عمران : ٤٧ •
(٢) البقرة : ٢٢٣ •
(٣) آل عمران : ٣٧ •

١ ـــ الاستبطاء : نحو كم دعوتك ؟ ومنه قوله تعالى « حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله »(١) فالمسلمون فى غزوة أحد قد أزعجوا ازعاجا شديدا ، ومستهم البأساء والضراء ، وزلزلوا حتى ان الرسول ﷺ ـــ وهو من هو فى الصبر على الشدائد ـــ والذين آمنوا معه من صفوة قومه استطالوا مدة العذاب ، واستبطأوا النصر .

٢ ـــ التعجب نحـــو قوله تعالى « مالى لا أرى الهدهد »(٢) ؟ فالاستفهام فى هذه الآيـــة عن عدم رؤية ســـليمان ـــ عليه السلام ـــ للهدهد لأنـــه نظر الى مكـــانه فلم يبصره فتعجب مستفهما من عـــدم رؤيتـــه اياه .

ومنه قوله تعالى فيما يحكيه عن الملائكة : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدمـــاء ، ونحن نســـبح بحمدك »(٣) فالاســـتفهام هنا للتعجب ، لأن الملائكة تعجبوا من أن يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية ، فلابد أن ذلك لحكمة يعلمها الله يريدون أن يقفوا عليهـــا ، ولذلك رد الله عليهم بقوله « أنى أعلم ما لا تعلمون »(٤) ثم شرع فى بيـــان هذه الحكمـــة التى تخفى علـــيهم بقوله تعـــالى « وعلـــم آدم الأسماء(٥) .... الخ الآيات .

وفى قوله تعالى « وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيهـــا حكم الله » ؟ ففى الاستفهام معنى التعجب من تحكيمهم يقول الزمخشرى

---

(١) البقرة ٢١٤ .

(٢) النمل : ٢٠ .

(٣) البقرة : ٣٠ .

(٤) البقرة : ٣٠ .

(٥) البقرة : ٣١ .

«وكيف يحكمونك»(١) تعجب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع أن الحكم منصوص فى كتابهم الذى يدعون الايمان به .

٣ ــ التنبيه على ضلال ــ نحو قوله تعالى « فأين تذهبون »(٢) ؟ فالاستفهام هنا عن الطريق الذى يسلكونه ، والمخاطبون هنا هم الكفار قد سلكوا من غير شك طريقا واضح الضلالة ، فالاستفهام هنا يلفت ذهنهم وينبههم على مدى الغفلة التى وقعوا فيها بسلوكهم هذا الطريق الضــــال .

٤ ــ الوعــيد ــ كقولك لمن يسىء الأدب : ألم أؤدب فــلانا ؟ وذلك اذا علم المخاطب أنك أدبته فيتنبه الى جزاء اساءة الأدب فيكف عن الاساءة لما يستلزمه ذلك من التخويف والوعيد ، ومنه قوله تعالى « ألم نهلك الأولين »(٣) .

٥ ــ المبالغة فى طلب الفعل والحض عليه ــ كما فى قوله تعــالى « فهل أنتم منتهون» يقول الزمخشرى « من أبلغ ما ينهى به كأنه قيل : قد تلى عليكم ما فى الآيات من أنواع الصوارف والموانع ، فهل أنتم مع هذه الصوارف منتهون ؟ أم أنتم على ما كنتم عليه لم توعظــوا ، ولم تزجروا(٤) ؟

٦ ــ الاستبعاد : كقوله تعالى « أنى لهم الذكرى وقد جــاءهم رسول مبين ، ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون »(٥) فاذا ما نظرنا فى

---

(١) المائدة : ٤٣ .
(٢) التكوير : ٢٦ .
(٣) المرسلات : ١٦ .
(٤) المـائدة : ٩١ .
(٥) الدخان ١٣ ــ ١٤ .

السياق الذى وردت فيه هذه الاية تجد انها وردت فى مشهد من مشاهد يوم القيامة ، وهو أن الكفار فى هذا اليوم حينما يرون العذاب يغشاهم ويحيط بهم يستغيثون قائلين : ربنا اكشف عنا العــذاب انا مؤمنون » لم يتذكروا الايمان الا فى هذه اللحظة ، مع أن التذكر قد مضى وقته ولا يجدى الآن بدفع ــ العذاب عنهم ، ولذلك رد الله عليهم باستبعاد بل باستحالة ــ الاستجابة لهم فى ذلك الوقت « أنى لهم الذكرى » ومنه قوله تعالى «قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا»(١) يقول الزمخشرى « استبعاد من حيث العــادة التى أجراها الله »(٢) لأن المــرأة عادة ينقطع طمثهــا فى سن معينـــة فلا تحمل ، فالحيض والولادة فى هذه السن مستبعد من حيث العادة لا من حيث قدرة الله فلا شىء مستبعد فى جانب القدرة الالهية ، واستفيد مع الاســتبعاد معنى التعجب من هذا الأمر الخارق للعادة •

٧ ــ التسوية كما فى قوله تعالى « سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » البقرة : ٦ فالهمزة وأم قد جردتا لمعنى الاستواء كما يقول الزمخشرى « أى أن الانذار وعدمه سواء •

٨ ــ التقــرير :

وهو حمل المخاطب عــلى الاقرار بما يعرفه والجاؤه اليه بايلاء المقرر به الهمزة لغرض من الأغراض ، كأن يكون السامع منكرا لوقوع ذلك الفعــل من المخــاطب فــيريد أن يســمعه منه من غير قصــد والزامه الحجة ، أو يكون الغرض التحقيق والتأكيد والتثبيت •••

---

(١) هود : ٧٢ •

(٢) الكشاف ٢/٢٨١ •

وغير ذلك — ويشترط فى الهمـزة كما قلنا أن يليها المقـرر به كما فى قولك : أأنت قلت هذا الشعر ؟ أى انك أردت أن تقرره بأنه الفـاعل ، ومن التقـرير بالفـاعل قـوله تعـالى « أأنت فعلـت هذا بآلهتنـا يا ابراهيم »(١) ؟ فانهم أرادوا حمـله على أن يقر لهم بأنه الفـاعل فيكون حجة عليه أمام الأشهاد ليرتبوا عليه الجزاء الذى أعدوه له ، ولم يريدوا تقريره بالفعل لأن الفعل واقع مشـار اليه ، فليس مراد الكفار حمله على الاقرار بأن كسر الأصنام قد كان ، ولكن مـرادهم حمله على الاقرار بأن الكسر قد كان منه لا من أحد غيره ، بدليـل قول ابراهيم عليه السلام فى الجواب « بل فعله كبيرهم هذا »(٢) ولو كان المراد التقرير بالفعل لقال فى الجواب : فعلت أو لم أفعل ، وقد تضمن — جواب ابراهيم عليه السـلام الاقرار والاعتراف بأنه هو الكاسر على وجه التعريض ، فقصد ابراهيم — صلوات الله عليه — لم يكن الى أن ينسب الفعل الصـادر عنه الى الصنم ، وانما قصـد تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضى ، وتحقيق هذا : انهم لما نسبوا الفعل — اليـه ، ونسبه هو الى الكبـير دار الفعل بينهمـا بحسب ذلك ، وكأن ابراهيم عليه السلام — اعترف وأقر بأن غير الصنم الكبير ليس بكاسر ، والصنم الكبير لا يتصور منه فعل الكسر فيكـون كأنه اعترف بأنه هو الكاسر لكن لا على وجه التصريح بل التعريض .

وفى هذا الجواب أيضا افحام لهم وتبكيت واستخفاف بعقولهم لأنه نسب الفعل الصـادر منه الى الصنم الكبير ، وهذا الصنم الذى لا يتصور منه فعل الكسر ألم يعبـدوه ؟ ألم يعظموه فى نفوسـهم ؟

---

(١) الأنبياء : ٦٢ .
(٢) الأنبياء : ٦٣ .

ويخصوه بمزيد من التعظيم والعبادة ، فأما أن يعترفوا بذلك فيستهزئوا بعقولهم ، واما ألا يعترفوا فيحترموا عقولهم ، وفى كلتا الحــالتين يمكن اقامة الحجة عليهم ، ولذلك يقول الزمخشرى « فما أحاروا جوابا الا ما هو حجة عليهم »(١) ولذلك نجد أن الزامهم الحجة بهذا الجواب البليغ الذى فيه تهكم بعقولهم واستخفاف بها قد هز مشاعرهم وحرك تفكيرهم وردهم الى شىء من التدبر والتــأمل « فرجعوا الى أنفســهم فقالوا انكم أنتم الظالمون »(٢) تفتحت بصيرتهم على الحق لحظة من اللحظات ، فاستشعروا ما فى موقفهم من سخف وما فى عبادتهم لهذه التماثيل من ظلم فادح ، ولكنها لم تكن الا ومضة واحدة أعقبها الظلام بالعود الى الظلم الذى هم سائرون فيه ، ويصور القرآن هذا العــود بقوله « ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون »(٣) أى انقلبوا على رؤوسهم بلا عقل ولا تفكير قائلين : لقد علمت أن هــؤلاء لا ينطقون ، وأية حجة لابراهيم أقوى من أن هؤلاء لا ينطقون ؟

وقد اعترض الخطيب على الشيخ عبد القــاهر والسكاكى فى أن الهمزة فى الآية : للتقرير مبينا انها على أصلها من الاستفهام الحقيقى فيقول « وفيه نظر لجواز أن تكون الهمزة فيه على أصلها اذ ليس فى السياق ما يدل على انهم كانوا عالمين بأنه عليه السلام هو الذى كسر أصنامهم »(٤) • ورد فى هذا القول لوجود القرائن السابقة التى تدل على انهم كانوا يعلمون بأنه هو الكاسر لا غيره ، وأرادوا تقريره بذلك، وهذه القرائن هى قوله تعالى « فيما يحكيه عن ابراهيم عليه السلام »

---

(١) الكشاف جـ ٢ ص ٥٧٧ •

(٢) الأنبياء : ٦٤ •

(٣) الأنبياء : ٦٥ •

(٤) بغية الايضاح جـ ٢ ص ٤٥ ، ٤٦ •

تا الله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين »(١) وقوله « قـالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم »(٢) ثم ان القوم كانوا كفارا، ولم يكن فيهم من يقدم على كسر أصنامهم .

ومن التقرير بالفعل قولك أفهمت الدرس اذا كنت تريد تقـريره بالفعل « الفهم » من غير أن تردده بينه وبين غـيره ، وقولك أأخذت الكتاب ؟ اذا أردت أن تقرره بأن الفعل قد كان منه . واذا أردت أن تقرره بالمفعول تقدمه على الفعل ليلى الهمزة فتقول : الكتاب أخذت ؟ وهكذا تفعل فى سائر المتعلقات ويلاحظ أن للتقرير معنيين الأول يجيء بمعنى التحقيق والتثبيت مثل قوله تعالى « ألم نشرح لك صدرك »(٣) أى قد شرحناه لك بلا ريب ، وهذا لا يستدعى جوابا .

الثانى : يجيء بمعنى طلب الاقرار مثل قوله تعالى : « ألست بربكم »(٤) وهو يستدعى جـوابا ، والأول انشاء لفظـا خبر معنى ، والثانى انشاء لفظا ومعنى ، والتقـرير فى الآيتين السـابقتين ليس بالنفى بل بمدخول النفى ، فيكون تقريرا بالمثبت أى بمعنى شرحناه لك ، فى الآية الأولى ، وبلى أنت ربنا فى الآية الثانية ، وقد يكـون التقرير بالنفى مع أن مدخول الهمزة مثبت كما فى قوله تعالى « أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله»(٥) ؟ فالمراد التقرير بما يعرفه وهو أن عيسى عليه السلام لم يقل لهم هذا .

---

(١) الأنبياء : ٥٧ .
(٢) الأنبياء : ٦٠ .
(٣) الشرح (١) .
(٤) الأعراف : ١٧٢ .
(٥) المائدة : ١١٦ .

والحاصل : أن المقرر به — يلى الهمزة اذا كان التقرير بمفرد من مفردات الجملة من فعل أو فاعل أو مفعول أو نحوه ، واذا كان التقرير بالحكم فلا يكون بما دخلت عليه الهمزة بل بما يعرفه المخاطب من مضمون الكلام ايجابا أو سلبا كما فى الأمثلة السابقة .

واذا كان التقرير بهل فإن المقصود بها هو النسبة لأنها مختصة بطلبها فقط ، كما فى قوله تعالى « هل ثوب الكفار ما كانوا يعلمون »(١) وأسماء الاستفهام الأخرى غير الهمزة وهل تجىء للتقرير بما يسأل بها عنه نحو قوله تعالى « كم آتيناهم من آية بينة »(٢) ؟ ومـاذا فعلت بصديقك ؟ ... الخ .

٩ — الانكـــار :

قد يراد من الاستفهام الانكار ، لأن انكار الشىء يستلزم الجهل به ، والجهل به يستلزم الاستفهام عنه .

وصـور الانكـار هى :

١ — انكار توبيخى وهو نوعـان :

(أ) النوع الأول : بمعنى « ما كان ينبغى » ان كان الفعل ماضيا أى أن الموبخ عليه قد وقع فى الماضى نحو : أعصيت ربك على معنى : ما كان ينبغى لك أن تعصاه،وذلك لمن صدر منه عصيان ، ومنه قولك لمن يظلم الناس : أظلمت الناس بمعنى ما كان ينبغى لك أن تفعل ذلك .

(ب) النوع الثانى بمعنى « ما ينبغى لك » ان كان الفعل مضارعا مثل قولك لمن يهم بالخروج فى وقت نزول الأمطار : أتخرج فى هـذا

---

(١) المطففين : ٣٦ .
(٢) البقرة : ٢١١ .

الوقت ؟ على معنى لا ينبغى أن يحدث ذلك، وقولك لمن يهم بظلم الناس ، أتظلم الناس بمعنى ما ينبغى لك أن تظلمهم .

والغرض من ذلك كله : تنبيه المخاطب حتى يرجع الى نفسه فيخجل أو يرتدع عن فعل هم به .

٢ ــ الانكار التكذيبى : وهو بمعنى النفى وهو نوعان :

(أ) النوع الأول : ما كان الفعل ماضيا ، أى المكذب فيه واقعا فى الماضى ويكون معناه « لم يكن » مثاله قوله تعالى « أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا »(١) فالاستفهام هنا للانكار التكذيبى لما يقولونه من أن الملائكة بنات الله ، وأنه قد خصهم بالبنين وخص نفسه بالبنات ، ومعناه « لم يكن » ومثله قوله تعالى «اصطفى البنات على البنين »(٢) ؟ أى لم يكن هذا .

(ب) النوع الثانى : ما كان الفعل المكذب فيه فى المستقبل ويكون معناه « لا يكون» مثل قوله تعالى « أنلزمكموها وأنتم لها كارهون»(٣) أى أنكرهم على قبول الحجة ونلزمكم الاذعان لها ، وأنتم كارهون فاذا كانت الحجة قد خفيت عليكم خفاء عماية لأنكم غير متهيئين لادراكها فلا يكون لنا أن نقسركم على الاهتداء بها وأنتم لها كارهون ، وانما على البلاغ لا الالزام ، ومنه قول امرىء القيس :

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى ومسنونة زرق كأنياب أغوال

فهذا تكذيب منه لانسان تهدده بالقتل وانكار أن يقدر على ذلك ويستطيعه ، بمعنى لا يكون منه هذا الفعل .

---

(١) الاسراء : ٤٠ .

(٢) الصافات : ١٥٣ .

(٣) هود : ٢٨ .

ولا يغيب عن ذهنك أن الانكار كالتقرير يشترط فيه أن يلي المنكر الهمزة ، ففي قوله تعالى أفي الله شك(١) قدم الجار والمجرور « المسند » على المسند اليه « شك » لأن الكلام ليس في الشك وانما في المشكوك فيه ، فالرسل عليهم السلام أنكروا على الكفار أن يكون الله تعالى محلا للشك أي في وجوده ووحدانيته ، وسائر ما يتصف به من صفات الكمال والجلال . وفي قوله تعالى « أغير الله تدعون »(٢) على معنى أن يكون غير الله بمثابة أن يوجه اليه الدعاء ، وقوله تعالى « أغير الله أتخذ وليا »(٤) على معنى : أيكون غير الله بمثابة أن يتخذ وليا ؟ وأيرضى عاقل من نفسه أن يفعل ذلك ؟ ، ومنه قوله تعالى « أبشر منا واحدا نتبعه »(٣) ، فهم لا ينكرون الاتباع نفسه وانما ينكرون كونه بشرا ، فالانكار في كل هذه الأمثلة موجه الى المفعول به المقدم الذى ولى الهمزة ومثال انكار الفاعل قوله تعالى « أهم يقسمون رحمة بك »(٤) على معنى لا يكون منهم خصوصا هذا الفعل ، ومنه قولك : « أأنت ضربت زيدا » ؟ على معنى : ما كان ينبغي أن يكون منك خصوصا هذا الضرب ، وقوله تعالى « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين »(٥) يقول الزمخشرى : وايلاء الاسم حرف الاستفهام للاعلام بأن الاكراه ممكن مقدور عليه ، وانما الشأن في المكره من هو ؟(٦) ، فقد أنكر على النبى ﷺ أن يكون هو

---

(١) ابراهيم : ١٠ .
(٢) الأنعام : ٤٠ .
(٣) القمر : ٢٤ .
(٤) الزخرف : ٣٢ .
(٥) يونس : ٩٩ .
(٦) الكشاف جـ ٢ ص ٢٥٤ .

المخصوص بهذا الاكراه وأن يقدر عليه ، لأن القادر على توجيه البشرية الي الفطرة الخالصة والايمان بالله هو الله وحده لا أنت وقد تجيء همزة الانكار داخلة على فعل النفى كما فى قول الله تعالى « أليس الله بكاف عبده »(١) على معنى الله كاف عبده ، وقول جرير :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

على معنى : أنتم خير من ركب المطايا ، وذلك لأن نفى النفى اثبات،وهكذا كل تركيب دخلت فيه الهمزة على فعل النفى أو فعل منفى كما فى قوله تعالى « ألم نشرح لك صدرك »(٢) بمعنى شرحنا لك صدرك كما مر ، ومنه قوله تعالى « ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها »(٣) ؟ أى كانت واسعة فلم لم تهاجروا فيها ؟ وفيه معنى التوبيخ على عدم الهجرة .

وقد يكون المراد انكار الفعل من أصله مع أن الفعل لا يلى فيها الهمزة بل يليها متعلقاته ، أو فاعله ، وذلك اذا كان الأمر دائرا بين انكار هذه المتعلقات فاذا أنكرت هذه المتعلقات التى هى محل الانكار فقد أنكر الفعل من أصله بالطريق الأبلغ مثاله : قولك للرجل يدعى أمرا وأنت تنكره تقول له : متى كان هذا أفى ليل أم فى نهار ؟ تضع الكلام وضع من سلم بوجود الفعل ثم تطالبه ببيان وقته لكى يتبين كذبه اذا لم يقدر أن يذكر له وقتا فيفتضح أمره ، فأنت بهذا تنكر عليه الفعل من أصله ، لأن زمان الفعل لا يتعدى أن يحدث اما فى ليل أو فى نهار ولا ثالث لهما ، فاذا أنكر حدوثه فى هذين الزمانين فقد أنكر حدوث الفعل من أصله ، ومثاله أيضا قوله تعالى « قل الذكرين

---

(١) الزمر : ٣٦ .
(٢) الشرح : ١ .
(٣) النساء : ٩٧ .

حرم أم الانثتين اما اشتملت عليه أرحام الانثتين »(١) ؟ أخرج اللفظ مخرجه كما لو كان التحريم فى نوع معـــين من هذه الأنـــواع وأريد معرفة عين المحرم مع أن المـــراد انكار التحريم من أصـــله ، لأنه اذا أنكرت ـــ الأشياء التى يتعلق بها التحريم فقد أنكر التحريم من أصله بالطريق الأبلغ ، فالكلام وضع على أن التحريم كأنه قد كان ثم يقال لهم أخبرونا عن هذا التحـــريم الذى زعمتم فيم هو ؟ أفى هذا أم فى ذاك أم فى الثالث ليتبين بطلان قولهم ويظهر مكان الفرية منهم على الله تعـــالى .

وقد تدخل همزة الانكار على الفاعل مع أن المراد انكار الفعـــل من أصله كما فى قوله تعالى « قل الله أذن لكم »(٢)؟ فالاذن راجع الى قوله تعالى « قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منـــه حراما(٣) وحلالا » فالانكار فى الآية موجه الى المسند اليه ، والمراد انكار الاذن لأنه اذا لم يكن قد كان من الله تعالىفان يكون منغيره،لأنه لم يقع اذن ، وحيث لا آذن سواه فقد انتفى الاذن من أصله بالطريق الأبلغ . لأن نفى الفعل فيها بطريق الكناية واللزوم ، فهى بمثابة دعوى مع دليلها .

٩ ـــ التهكم : كما فى قوله تعالى حكاية عن الكفار : « أصـــلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء »(٤) .

١٠ ـــ التحقير مثل قولك : من هذا ؟ أو ما هذا ؟ اذا كنت تريد تحقـــيره ، يعنى أنت تعلم المشـــار اليه ولكنك تســـتفهم عنه لغرض التحقير ، ومنه قول الشاعر :

---

(١) الأنعام : ١٤٣ .
(٢) يونس : ٥٩ .
(٣) نفس الآية السابقة .
(٤) هود : ٨٧ .

فدع الوعيد فما وعيدك ضائرى
أطنين أجنحة الذباب يضير

حقر من شأن وعيد مخاطبه ، وانه لا أثر له كما أن طنين أجنحة الذباب لا يضير ، فجعله كأنه قد ظن أن طنين أجنحة الذباب بمثابة ما يضير حتى ظن أن وعيده يضير •
ومنه قول الشاعر :

من أية الطرق يأتى نحوك الكرم
أين المحاجم يا كافور والجلم

١١ — التهويل : كما فى قراءة ابن عباس رضى الله عنهما ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين ، من فرعون(٢) ؟ بلفظ الاستفهام ، لما وصف الله تعالى العذاب بأنه مهين لشدته وفظاعة شأنه أراد أن يصور كنهه ، فقال : من فرعون ؟ أى أتعرفون من هو فى فرط عتوه وتجبره ؟ ما ظنكم بعذاب يكون هو المعذب ؟ ثم عرف حاله بقوله « انه كان عاليا من المسرفين »(٣) •

١٢ — وقد يكون مع الاستفهام الانكارى معان أخرى يقتضيها المقام كافادة معنى التوجع والاستبعاد كما فى قول الشاعر :

أبعد بنى أمى الذين تتابعوا
أرجى الحياة أم من الموت أجزع

الهمزة للتوجع والاستبعاد والانكار على نفسه أن يرجى، ومعنى تتابعوا : انقرضوا وهلكوا واحدا بعد واحد أى لا أطمع فى الحياة بعد تتابعهم فى الهلاك ولا أجزع من الموت •

---

(٢) الدخان : ٣٠ : ٣١ •
(٣) الدخان : ٣١ •

١٣ — وقد يفيد الاستفهام الاستبطاء فى وقوع الفعل ويكون المراد منه الاستعجال والحث والتحريض على وقوعه كما فى قوله تعالى « وقيل للناس : هل أنتم مجتمعون »(١) ؟ يقول الزمخشرى استبطاء لهم فى الاجتماع والمراد منه استعجالهم كما يقول الرجل لغلامه هل أنت منطلق » ؟ اذا أراد أن يحرك منه ويحثه على الانطلاق كأنما يخيل اليه أن الناس قد انطلقوا وهو واقف ، ومنه قول تأبط شرا :

هل أنت باعث دينار لحاجتنا ... أو عبد رب أخا عون بن مخراق

فالاستفهام هنا معناه الحث والتحريض على وقوع الفعل .

١٤ — وقد تستفاد معان أخرى مع التقرير كافادة التوبيخ كما فى قوله تعالى «ألم نربك فنيا وليدا» «ولبث فينا من عمرك سنين»(٢) المعنى لقد ربيناك وأحسنا اليك حين كنت وليدا عندنا ، لتفعل ما تقر به أعيننا وتقابل الاحسان الذى أسديناه لك بالشكر لما تقرر فى النفوس أن شكر المنعم واجب ، فعكست القضية وقابلتها بالكفران فتخالف ما نحن عليه من ديانة ، وتخرج عن الملك الذى نشأت فى بيته وتدعو الى غيره ، وفيه معنى التعجب والامتنان على موسى — عليه السلام — بالتربية وعدم القتل فى جملة من قتلوا .

١٥ — افادة التوبيخ والتعجب مع الانكار — كما فى قوله تعالى «كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون »(٣) والمعنى أتكفرون بالله والحال أن معكم ما يصرف عن

(١) الشعراء : ٣٩ .
(٢) الشعراء : ١٨ .
(٣) البقرة : ٢٨ .

الكفر ويدعو الى الايمان ، لأنكم عالمون بهذه القضية ، ففى كيف معنى الهمزة ، لأن المراد انكار الكفر ومنه قوله تعالى « أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون »(١) الاستفهام فى الآية لافادة معنى التوبيخ والتعجب من تعكيسهم فيما يجب عليهم اذ كان يجب عليهم أن يتلقوا الرسل بالانقياد لا بالعناد والتكذيب والقتل •

١٦ — التبكيت والالزام — كما فى قوله تعالى « أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه : ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك ، واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون »(٢) •

١٧ — افادة معنى النفى كما فى قوله تعالى « ومن يغفر الذنوب الا الله »(٣) وقوله تعالى « هل جزاء الاحسان الا الاحسان »(٤) والمعنى لا يغفر الذنوب الا الله ، وما جزاء الاحسان الا الاحسان ، وهناك معان أخر مما يناسب المقام ونكتفى بما ذكرنا •

٥ — النداء :

هو طلب الاقبال بحرف نائب مناب (أدعو) نحو « يا » و « أيا » و « هيا » وغيرها نحو قوله تعالى « يا نوح اهبط بسلام »(٥) وقوله تعالى « يا يحيى خذ الكتاب بقوة »(٦) وقد تكون هذه الأداة

---

(١) البقرة ٨٧ •
(٢) البقرة : ١٣٣ •
(٣) آل عمران ١٣٥ •
(٤) الرحمن : ٦٠ •
(٥) هود ٤٨ •
(٦) مريم ١٢ •

مقـــدرة نحو قوله تعـــالى « يوسف أعــرض عن هذا »(١) وذلك لأن المنادى قريب مفاطن للحديث وليس بساه عنه •

أدوات النـــداء :

وللنداء أدوات هى (الهمزة ، وأى ، ويا ، وآ ، وآى ، وهيا ، ووا ،) فالهمزة أى لنداء القـــريب ، وباقى الأدوات لنداء البعـــيد • وقد يستعمل نداء القريب فى البعيد وبالعكس لتنزيل كل منهمـــا منزلة الآخر لاعتبار مناسب •

فمن تنزيل البعيد منزلة القريب قول الشـــاعر :

أسكان نعمان الأراك تيقنوا بأنكم فى ربع قلبى سكان

استعمل هنا الهمزة فى النداء مع أن المنادى بعيد للتنبيه على انه حاضر فى القلب لا يزول عن الخاطر ، بدليل قوله « بأنكم فى ربـــع قلبى ســـكان » •

وقد ينزل القريب منزلة البعيد للاشعار بأنه رفيع القدر ســـامى المنزلة فينزل بعد المنزلة والمكانة منزلة بعد المكان،كقولك : يالله ، وقد يكون ذلك للاشـــعار بتقصير العبد نحـــو ربه وبالاقرار على نفســـه بالتفريط وبالبعد عما يقربه الى رضوانه ، ولذلك يقول الزمخشرى :

فان قلت فما بال الداعى يقول فى جؤاره : يا رب ويا آلله وهو أقرب اليه من حبل الوريد ، وأسمع به أبصر ؟ قلت : هو استقصار منه واستبعاد لها من مظان الزلفى ، وما يقر به الى رضوان الله ومنـــازل

---

(١) يوسف ٢٩ •

المقربين هضما لنفسه ، واقرارا عليها بالتفريط فى جنب الله مع فرط التهالك على استجابة دعوته(١) .

ومنه الحرص على اقباله لأمر عظيم الشأن كما فى قوله تعالى « يا موسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين »(٢) ومن تنزيل القريب منزلة البعيد أيضا كقولك : أسمع يأيها الغافل ، للتنبيه على بلادته وانه بعيد من التنبيه ، ومنه قول الشاعر :

يأيها السادر المزور من صلف   مهلا فانك بالأيام منخدع

وقد ينادى القريب المتفطن بنداء البعيد بتنزيله منزلة الغافل حيث لم يعمل بمقتضى تفطنه لكون المعنى الواقع فى حيز النداء مطلوبا جدا كما فى قوله تعالى « يأيها الناس اعبدوا ربكم »(٣) فان الله تعالى انما نادى الناس بقوله « يا » وان كانوا متفطنين للخطاب ايرادا لهم فى معرض الغافل ، حيث أن العبادة معنية مهمة لهم ، وكان الواجب أن يقيموا على وظائفها بلا أمر وتهديد ، فحيثلم يأتوا بها جعلهم كالفاعل الغافل ، وناداهم بـ « يا » تنبيها على ذلك .

وليس فى القرآن غير هذا الخطاب لأن العبادة فى الآية التوحيد، والتوحيد أول ما يلزم العبد من المعارف ، وكان هذا أول خطاب خاطب الله به الناس ثم ذكر سائر المعارف ، وبنى عليه العبادات فيما بعدها من السور والآيات(٤) .

---

(١) الكشاف ٢٢٦/١ .
(٢) القصص : ٣١ .
(٣) البقرة : ٢١ .
(٤) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ١٣٨/١ .

سبب كثرة النداء بـ « يا أيها » فى كتاب الله :

ما فيه « أل » من اسم الجنس أو ما يجـرى مجراه ينـادى بـ « يا » عن طريق وصلة وهى « أى » وهو اسم مبهم مفتقر الى ما يوضحه ويزيل ابهامه ، ومن هنا يجب أن يأتى بعـده اسم جنس يعرب صفة له ، أو ما يجـرى مجراه كاسم الاشـارة نحو قولك : « يا أيهذا الزاجرى » ووقعت « ها » التى للتنبيه بين الصفة « اسم الجنس » وموصوفها « أى » لفائدتين : احـدهما : معاضدة حـرف النداء ومكاتفته بتأكيد معناه ، ثانيهما : وقوعها عوضـا عما يستحقه أى من الاضافة لأنها من الألفاظ الملازمة للاضافة ، ومن ثم يكـون فى هذا النداء تدرج من الابهام الى التوضيح المشـتمل على ضرب من التأكيد والتشديد ، لأن المنادى كرر مرتين ذكـر أولا مجملا وثانيـا مفصلا ، وفى « يا » نوع من التأكيد والهاء للتنبيه ، فقد اشتمل هذا الاسلوب على التأكيد والتكرير والتنبيه .

ويبين الزمخشرى سبب كثرة النداء فى كتاب الله على هذه الطريقة فيقول : فان قلت : لم كثر فى كتاب الله النـداء على هذه الطريقـة ما لم يكثر فى غيره ؟ قلت : لاستقلاله بأوجه من التأكيد ، وأسباب من المبـالغة لأن كل ما نادى الله له عبـاده من أوامر ونواهيه وعظـاته وزواجره ووعده ووعيده ، واقتصاص أخبـار الأمم الدراجة عليهـا وغير ذلك مما أنطق به كتابه — أمور عظـام وخطوب جسـام ومعان عليهم أن يتيقظوا لها ، ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم اليها ، وهم عنها غافلون فاقتضت الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ(١) .

---

(١) الكشاف جـ ١ ص ٢٢٦ .

المعـانى المجازية للنـداء :

قد تخرج ألفاظ النداء عن معناها الأصلى وهو طلب الاقبال الى معان أخرى مجازية تفهم من السياق وقرائن الأحوال منها .

١ — الاغراء : كما فى قولك لمن أقبل يتظلم — يا مظلوم فانـه بلا شك ليس لطلب الاقبال لأنه حاصل ، وانما المراد اغراؤه على زيادة التظلم وبث الشـكوى .

٢ — الاختصاص : كما فى قولك : « أنا أفعل كذا أيها الرجـل » فقولك « أيها الرجل » فى الأصل لتخصيص المنادى بطلب الاقبال ، ثم جعل مجردا عن طلب الاقبال ، ونقل الى تخصيص مدلوله من بين أمثاله بما نسب اليه وهو الفعل المذكور قبل النداء ، ومراد المتكـلم بالرجل نفسه ، والمتكلم لا يطلب اقبال نفسه ، ومنه قوله — ﷺ — « نحن معاشر الانبياء لا نورث »(١) .
ويأتى الاختصاص لدواع منهـا :

(أ) التفاخر كما فى قولك : أنا أكرم الضـيف أيها الرجل « أى مختصا من بين الرجال باكرام الضيف » .

(ب) اظهار المسكنة كما فى قول المسكين : أنا المسكين أيها الرجل وأنا الفقير الى رحمة ربى ايها العبد .

(جـ) مجرد التأكيد كمـا فى قولك : أنا أيهـا الجندى أدافـع عن وطنى ببسالة .

---

(١) صحيح البخارى .

٣ ــ الاستغاثة : كما فى قولك : « يالله من ألم الفراق » فالمنادى هنا هو الله تعالى وليس المراد حقيقة النداء الذى هو طلب الاقبال، وانما المراد هو طب الاغاثة من ألم الفراق ، فهو طلب خاص •

٤ ــ التعجب : كقولك متعجبا حينما ترى احكام السياسة فى وطنك « يا لها من سياسة حكيمة » ، فـ « منَ » هنا لبيان الضمير فى « لهاَ » وهو السياسة الحكيمة ، واللام للتعجب ، كأنك تقول : يا أيتها السياسة الحكيمة احضرى ليتعجب منك لغاية دقتك واحكامك

ومنه قوله تعالى « يا حسرة على العباد » قال الفراء : معناه : فيالها من حسرة ، والحسرة فى اللغة : أشد الندم ، وهى لا تنادى ، وانما ينادى الأشخاص ، فكأن التقدير : يا حسرة احضرى ••• ومنه قوله تعالى : « يا أسفا على يوسف »(١) •

ــ التحسر والتوجع والتحزن كما فى قول الشاعر :

أيا قبر معن كنت أول حفرة
من الأرض خطت للسماحة مضجعا

ويا قبر معن كيف وأريت جوده
وقد كان منه البر والبحر مترعا

وكل ما تراه من نداء الأطلال والمنازل والمطايا ، انما هو من هذا القبيل •

ومن اظهار التوجع فقط قولك : يا مرضى يا سقمى ••• الخ •

وضع الخبر موضع الانشاء :

يقع الخبر موقع الانشاء لأغراض بلاغية نذكر منها :

(١) البرهان فى علوم القرآن ٣/٣٥٣ •

١ ــ التفاؤل بلفظ الماضى دلالة على انه كأنه وقع لادخال السرور علــى المخــاطب كما فى قولك : وفقك الله للتقــوى ، فانه فى معنى الدعاء : وهو : اللهم وفقك للتقوى .

٢ ــ اظهار الحرص عــلى وقوع الفعل ، فان الطــالب لأمر اذا عظمت رغبته فيه كثر تصوره اياه ، فربما يخيل اليه أن مطلوبه الذى لم يحصل قد حصل من زمن مضى .

فيورده بلفظ الماضى لشدة الرغبة فيه ولاظهــار الحرص عــلى وقوعه فى قولك (رزقنى الله لقاءك) بمعنى اللهم ارزقنى لقاءك .

ومنه بلفظ المضارع قوله تعالى : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين » فليس واردا على جهة الاخبار ، لأنه يلزم منه الكذب وهو محال فى كلامه تعالى : لأن كثيرا من الوالدات لا ترضع الحولين بل تزيد وتنقص ، فلهذا وجب تأويلــه على جهة الانشــاء ، والمعنى فيه : لترضع الوالدات أولادهن حولين على جهــة الندب والارشاد الى المصالح »(١) .

٣ ــ حمل المخاطب على تحصيل المطلوب بأن يكون المخــاطب ممن لا يجب أن يكذب الطالب كقولك لصاحبك الذى لا يجب تكذيبك « تأتينى غدا » مقــام « ائتنى » تحمــله بألطف وجه على الاتيــان لأنه ان لم يأتك غدا صرت كاذبا من حيث الظاهر لكون كلامك فى صور الخبر ، وهو لا يحب تكذيبك فيحرص على الاتيان فى الموعد المحدد .

٤ ــ القصد الى المبالغة فى الطلب حتى كأن المخاطب ســارع فى الامتثال كقولك لمخاطبك : «تذهب اليوم الى الكلية لتؤدى الامتحان» .

---

(١) الطراز للعلوى ٣/٢٩٤ .

الفصل الثالث

(الفصـــل والوصــل)

هو باب صعب المسلك دقيق المأخــذ لا يحيط علما بكنهة الا من أوتى فى فهم كلام العرب طبعا سليما ، ورزق فى ادراك أسراره ذوقا صحيحا ، ولذلك كانوا يعرفون البلاغة به • قيل للفارسى ما البلاغة قال : معرفة الفصل من الوصــل « وذلك لأن البحث فى هذا البـــاب يستلزم دقة فى الفهم وتذوقا سليما لادراك أسرار التراكيب من بيـــان المناسبات بين المعانى ، وبيان مدى ارتباطهـــا والتئامها مع بعضـــها عن طريق الفصل والوصل ، لأن الفصل فى الحقيقة انما يكون لشدة — التلاحم والترابط بين الجمل اذ كل واحدة منها آخذة بحجز — الأخرى فى نظم بديع ونسق متكامل ، ومن ثم فهى ليست فى حاجة الى رابط لفظى موضوع للوصل لأن الوصل بينها أقتضته طبيعة التراكيب من بناء بعضها على بعض ، وتقرير بعضها لبعض ، فهو الوصـــل الخفى الذى يحتاج الى مهارة وحسن تذوق وطول ممارسة لأســاليب العرب فى بيانه • عرفه الخطيب بقوله : الوصل : عطف بعض الجمـــل على بعض والفصل : تركه أى ترك هذا العطف •

وجمهور البلاغيين خصوا مبحث الوصل بين الجمل بالواو لأنها لمطلق الجمع ، ومن ثم لابد من وجود جهة جامعة بين الجملتين تجعل العطف مقبـــولا وبليغا بخــلاف حروف العطف الأخرى فانها تفيـــد بالاضافة الى مطلق الجمع الذى أفــادته الواو معانى آخر تصـــحح العطف وتجعله مقبولا ، فالفاء موضوعة للجمع مع الترتيب بلا مهلة ،

وثم للجمع مع الترتيب بمهلة ، وحتى لعطف الجزء على الكل ، وأو للتخيير ، وهكذا مثال ذلك قوله تعالى : « مما خطيئاتهم اغرقوا فأدخلوا نارا »(١) وقوله تعالى : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ، ثم انكم بعد ذلك لميتون ، ثم انكم يوم القيامة تبعثون »(٢) فهذه الآيات عطفت فيها بعض الجمل بالفاء وبعضها الآخر « بثم » ، وظهرت فائدة العطف بحصول معانى هذين الحرفين ، أما الواو فانها لا تفيد الا مجرد مطلق الجمع أو الاشتراك فقط ، والاشتراك انما يظهر فيما له حكم اعرابى كالمفردات والجمل التى لها محل من الاعراب .

أما ما ليس له حكم اعرابى ففيه خفاء بعدم ظهور المشترك فيه وذلك هو السبب فى صعوبة باب الفصل والوصل .

أعلم أن الفصل والوصل يجريان فى المفردات وفى الجمل التى لها محل من الاعراب ، وفى الجمل التى لا محل لها من الاعراب .

النوع الأول : الفصل والوصل فى المفردات .

من المعلوم أن هناك مفردات تأبى الصناعة النحوية عطف بعضها على بعض كما لو وجد مفردان أحدهما معمول للآخر ، أو كانا معمولين لعامل يطلبهما طلبا واحدا ، أو كان ثانيهما توكيدا للأول ، أو عطف بيان أو بدلا منه ، أو صفة له أو كانا خبرين أريد بهما واحد ، والأمثلة على الترتيب : زيد قائم ، علمت زيدا قائما ، جاء زيد زيد ، أو جاء

---

(١) نوح : ٢٥ .
(٢) المؤمنون : الآيات ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ .

زيد نفسه ، هذا أبو حفص عمر ، أكرمت زيدا رسوله ، جاء محمد العالم،الرمان حلو حامض فالفصل بين هذه المفردات ظاهر تكفل بيانه علماء النحو من وجود العلاقات والترابط القوى بينها مما يمنع العطف .

وأما عطف المفردات من حيث الصناعة النحوية فان النحويين يوجبون العطف بشرطين اثنين :

أحدهما : ألا يكون هناك مانع من جهة الصناعة النحوية .

ثانيهما : أن يقصد المتكلم اشراك الثانى فى اعراب الأول وحكمه .

أما علماء البلاغة فانهم لا يقنعون بما قاله النحاة ، لأن شرطيهما لصحة العطف انما يكون لبيان صحة التراكيب فقط . أما البلاغيون فانهم يبحثون عما وراء الصحة النحوية من حسن العطف وجماله فينظرون الى مدى التآخى بين المفردات وملائمة معناها لمعانى جاراتها فى جرسها،ومبناها ومعناها فالاسلوب قد يروعك ويبهرك ، فاذا أخذت مفرداته كل مفرد على حده فقد لا تجد فيه كبير روعة ، ولا قوة أسر، ولكن عندما انتظمت هذه المفردات فى سلك فلاءمت ما قبلها وارتبطت بما بعدها ، اكتسبت جمالا وجلالا ، ولذلك نجد البلاغيين يشترطون الجهة الجامعة فى عطف المفردات وهى الصلة والتناسب بينها ، ففى قوله تعالى : « يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها »(١) المفردات المتعلقة بالعلم فى الآية متناسبة متآخية لوجود الجهة الجامعة بينها وهى : التقابل بين ما يلج فى الأرض ، وما يخرج منها ، وبين ما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، وبين الأرض والسماء .

---

(١) الحديد : ٤ .

وفى قوله تعالى : « يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيـه » جهـة جامعة بين المفردات وهى التضـايف فان تصور أحد المتضايفين لازم لتصور الآخر ، وفى هذه الآية تدرج وترق من القريب الى الأقرب ، فبدأ بالأخ ثم بالأبوين لانهما أقرب منه ، ثم بالصاحبة والبنين ، لانهم أقرب وأحب كأنه قال : « يفر من أخيه بل من أبويـه بل من صاحبته وبنيه »(١) .

وفى قول محمد بن وهيب يمدح المعتصم بن الرشيد :

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها ... شمس الضحى وأبو اسحاق والقمر

جهة جامعة أيضا وهى شـبه التماثل الذى تخيله الشـاعر بين الثـلاثة فانه أدعى أن الممدوح قد عم الخلائق نفعه ، وشـمل الرعية عدله حتى التحق بالكواكب التى عم سناها فصار ثالث النيرين وشـبه القمرين لذلك أبرز الوهم الثلاثة فى معرض المتماثلات فحسن الجمـع بينها بخلاف العقل فانه يعـرف أنها أنواع متبـاينة ، فكل كلام عطف بعضه على بعض من غير وجود مناسبة ما تجمع بينه يعد كلاما غثـا مرذولا ليس من البلاغة فى شىء ، ولهذا عيب على أبى تمام فى قوله :

لا والذى هو عالم أن النوى ... صبر وأن أبا الحسين كريم

لأنه لا مناسبة بين كرم أبى الحسين ومرارة النوى ، ولا تعـلق لأحدهما بالآخر ، فالجمع بينهما كالجمع بين المعانى المتنافرة ، والنابية عن مكانها .

وأما الفصل والوصل بين الصفات فمن المعلوم — كما تقـدم — أن الصناعة النحوية تأبى عطف الصفة على الموصوف ، فلا يصـح أن

---

(١) سورة عبس الآيات : ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ .
(٢) الكشاف ٤/٢٢٠ .

تقول : جاءنى زيد والكريم على أن « الكريم » صفة لزيد ، والسر فى ذلك : أن الصفة تدل على ذات ومعنى ، وهى اذا جرت على الموصوف لم يكن المراد من الذات التى دلت عليها الا ذات الموصوف نفســه ، فلو عطفت عليه كان من عطف الشىء على نفسه ، وهو لا يصح ، لأن العطف يقتضى المغايرة أما الصفات المتعددة الجــارية على موصوف واحد فانه يسوغ عطف بعضها على بعض ، والكثير الغالب ترك ذلك العطف ، فيصح لك أن تقول جاء محمد العالم والكريم والحازم...الخ فكأنك قلت : جاء انسان واحد اجتمع فيه الكرم والعلم والحــزم ، لأن هذه المعانى التى اشتملت عليها الصفات يمكن أن تجتمع فى ذات واحدة • ومن ذلك فى التنزيل الحكيم قوله تعــالى : « ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله(١) ، وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم » •

نزلت هذه الآية فى شأن مسطح وأبى بكر رضى الله عنهما ، وكان مسطح ابن خالة أبى بكر الصديق — فالواو عاطفة بين الصــفات فى قوله « أولى القربى والمساكين والمهاجرين ، وأتى بها للدلالة على أن هذا الموصوف جامع لها أى انه كان قريبــا ، ومسكينا ، ومهــاجرا فى سبيل الله ، وأمر الله أبا بكر بأن يتصف بصفتى العفو والصــفح ، فى قوله تعالى : « وليعفوا وليصفحوا •• » لأن أبا بكر كان ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط من الخوض فى حــادث الافك آلى أن لا ينفق عليه ••• والكثير الغالب أن تترك العطف فتقــول : جاء محمد العــالم الكريم الحازم وأما الصفات الجارية على الله تعالى فقلما يأتى فيهــا العطف ، لأن هذه الصفات جرت مجرى الأســماء المترادفة كما ورد

(١) سورة النور : ٢٢ •

فى الحديث الشريف : « ان لله تسعة وتسعين اسما » منها اسم واحد علم على الذات العلية وهو لفظ الجلالة « الله » والباقى صفات جرت مجرى الأسماء ، والأسماء المترادفة لا يعطف بعضها على بعض ، ولأن فى الفصل بينها دلالة على الذات الالهية التى لا تتعدد كما فى قوله تعالى « هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون » هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى »(١) •

وأما ما ورد من عطف بعض الصفات الجارية على الله تعالى على بعض وهو قليل فلنكتة بلاغية اقتضت هذا العطف ، وهى أن هذه الصفات اما أن تكون متضادة المعانى فى أصل الوضع أى لا تجمع فى ذات واحدة من جهة واحدة كما فى قوله تعالى : « هو الأول والآخر والظاهر والباطن » فجاءت الواو بين هذه الصفات المتضادة لدفع توهم من يستبعد ذلك فى ذات واحدة ، لأن الجهة التى بها هذه الصفات مختلفة ، والممتنع عقلا ، انما هو اجتماع هذه الصفات فى ذات واحدة من جهة واحدة ، لأن الشىء الواحد لا يكون أولا وآخرا ، ولا يكون ظاهرا أو باطنا من وجه واحد فنبه بالعطف على افادة اجتماع هذه الصفات فى ذات واحدة ، ونبه به أيضا على اعتبار اختلاف الجهة ، ومن ثم حسن العطف •

واما لافادة الجمع بينهما للمغايرة بين المعنيين اذ قد يتوهم اتحادهما كما فى قوله تعالى : « غافر الذنب وقابل التوب »(٢) •

ومن الفصل والوصل بين الصفات أيضا ما نراه فى قوله تعالى : « عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات ،

---

(١) سورة الحشر ٢٣ ، ٢٤ •
(٢) سورة غافر : ٣ •

قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا »(١) فالفصل هنا بين الصفات لبيان صحة اجتماعها فى محل واحد أى موصوف واحد حيث لا تناقض بينها اذ الاسلام والايمان والقنوت والتوبة والعبادة والسياحة يمكن أن تجتمع فى ذات واحدة ، لأنه لا تنافى بينهما ، وأما الوصل بين ثيبات وأبكارا فلأنهما صفتان متضادتان لا تجتمعان فى ذات واحدة ، فجىء بالعطف لرفع التناقض بينهما ، لأن الثيوبة والبكارة يجتمعان فى محلين مختلفين فتوصف امرأة بالثيوبة ، وتوصف أخرى بالبكارة •

ومنه قوله تعالى : « التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر »(٢) فالفصل هنا بين الصفات لعدم التضاد بينها ، ووصل بين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لما يلزم من التضاد بينهما اذ الأمر يراد به ايجاد الفعل ، والنهى يراد به عدمه ، والوجود والعدم متضادان ، فجاءت الواو بينهما لرفع التناقض ، وان أمكن اجتماعهما فى محل واحد بخلاف « ثيبات وأبكارا » •

وقيل : العطف بينهما للدلالة على أن المتعاطفين بمنزلة خصلة واحدة اذ هما بمثابة شىء واحد لا ينفصل أحدهما عن الآخر فهما متلازمان ، ووجود أحدهما بدون الأخر يؤدى الى الاخلال بمبادىء الاسلام الحكيمة • وهذا الوجه عندى أرجح من سابقه فكأن هذه الواو جىء بها لتوكيد الربط بين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فآذنت بعدم انفكاك أحدهما عن الآخر ، ولذلك لا نجد فصلا فى القرآن بين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر •

---

(١) التحريم : ٥ •
(٢) التوبة : ١١٢ •

وقال بعض العلماء : ان الواو هنا وفى قوله تعالى : « وفتحت أبوابها »(١) وفى قوله تعالى : « سبعة وثامنهم »(٢) وقوله ثيبات وأبكارا » هى واو الثمانية « فان السبعة عند العرب أصل فى المبالغة فى العدد . قال تعالى : « ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » فاذا ذكروا سبعة جاءوا بالواو ليدل على أن السبعة تمت وأن مدخولها ثامن لا على التأكيد،ولكن هذه الواو التى تسمى بواو الثمانية لم تثبت فى اللغة ، وقد أنكرها حذاق النحاة »(٣) .

وللسهيلى فى الروض الأنف رأى وجيه فى دلالة واو الثمانية فى قوله تعالى : « ويقولون : سبعة وثامنهم كلبهم » فيقول : « والذى يليق بهذا الموضع أن هذه الواو تدل على تصديق القائلين ، لأنها عاطفة على كلام مضمر ، تقديره : نعم وثامنهم كلبهم ، وذلك أن قائلا لو قال : ان زيدا شاعر فقلت له : وفقيه كنت قد صدقته ، كأنك قلت : نعم هو كذلك وفقيه أيضا،وفى الحديث«سئل رسول الله — ﷺ — أيتوضأ بما أفضلت الخمر فقال : وبما أفضلت السباع يريد : نعم وفيما افضلت السباع ، وفى التنزيل « وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال : ومن كفر » هو من هذا الباب فكذلك ما أخبره عنهم من قولهم « ويقولون سبعة فقال سبحانه : « وثامنهم كلبهم » وليس كذلك سادسهم كلبهم ، ورابعهم كلبهم ، لأنه فى موضع النعت لما قبله ، فهو داخل تحت قوله سبحانه : « رجما بالغيب » ولم يقل ذلك فى آخر القصة »(٤) .

---

(١) الزمر : ٧٣ .

(٢) الكهف : ٢٢ .

(٣) حاشية قطب الدين الرازى على الكشاف١٠١٧ رسالة دكتوراة مخطوطة بكلية اللغة العربية بالقاهرة .

(٤) الروض الأنف ٥٦/٢ .

وقد لاحظ الزمخشرى أن الواو قد تقع بين الصفة والموصـوف لغرض بلاغى وهو تأكيد لصوق الصفة بالموصوف وللدلالة عـلى أن اتصاف الموصوف بها أمر ثـابت ، واذا كان اتصـافه بها ثابتا ، كان الموصوف ثابتا لا محالة . يقول الزمخشرى : فى تفسير قوله تعالى : « وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم »(١) : « ولهـا كتـاب » جملة واقعة صفة لقرية ، والقيـاس ألا تتوسط الواو بينهما كمـا فى قوله تعالى : « وما أهلكنا من قرية الا ولها منذرون » وانما توسـطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف » ومعنى هذا أن القياس كمـا قال الزمخشرى ألا تتوسط الواو بين الصـفة والموصوف لشدة اتصالها به كما فى قوله تعالى : « وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون »(٢) لكن لما افترق الحكم بينهما اختصت هذه بالواو (٣) فان لصوق الصفة فى الآية الأولى أقوى وأشد من لصوقها فى الثانية ، لأن اهلاك قرية من القرى لكون أجلها مقدرا لا ينفك عن قضائه وقدره بخلاف اهلاكها لأجل انذار المنذر لها فانه قد ينفك عنه »(٤) .

يفهم من هذا أن المقام فى آية « الحجر » يختلف عنه فى آيـة « الشعراء » ، لأن الاهلاك فى آيـة الحجر متعلق بالقضاء والقـدر ومبنى عليه ، ومن المعلوم أن ما قدره الله تعالى كائن بمقتضى العقل والشرع ، لأن قضـاء الله تعـالى لا يتخلف اذ هو مثبت فى اللـوح المحفوظ معلوم زمانه ومكانه وكيفيته ، ومن هنا وجب التأكيد بدخول

---

(١) الحجـر : ٤ .

(٢) الكشاف ٣٨٧/٢ .

(٣) الشعراء : ٢٠٨ .

(٤) تحفة الأشراف فى كشف غوامض الكشاف للفاضـل اليمنى للمؤلف ص ٣٤٨ .

الواو التى تدل على شدة لصوق الصفة بالموصوف . أما فى آية الشعراء فان المقـــام لا يقتضى تأكيد اللصوق ، لأن الاهلاك للقرى فيها متعلق بانذار الرسل — وهذا لا يلزم ثبوته عقـــلا ، وانما لزومه من جهـــة الشرع والعادة ، ولذا قد ينفك عنه .

وهذا المعنى الذى ذهب اليه الزمخشرى من تأكيد اللصوق بالواو كما بينا لم يرض كثـــيرا من النحـــاة ، ولذلك ثاروا عليه ولم يرتضوا مذهبه فى اعراب الآية ، فقد تعقبه أبو حيان فى البحر المحيط قائلا : انا لا نعلم أحدا قاله من النحاة ، وقد صرح الأخفش والفارسى بمنع ذلك ، وقال ابن مالك : ان جعل ما بعد الا صفة لما قبلها مذهب لم يعرف لبصرى ولا لكوفى ، فلا يلتفت اليه(١) ، وأبطل القول بأن الواو توسطت لتأكيد اللصوق ، وسار السكاكى على نهجهم مبينا أن الجملة « ولها كتاب معلوم » حال عن « قرية » لكونها نكرة فى سياق النفى فتعم ، ولذلك يجوز دخول الواو عليها وتكون واو الحال ، لأن دخول الواو بين الصفة والموصوف غير مستقيم ، لاتحـــاد الصفة والموصوف ذاتا وحكما ، والواو تدل على المغـــايرة »(٢) .

وقد تقع الواو بين الصفات للاشارة الى أن الموصوف بلغ الكمال فى كل صفة منهـــا يقول الزمخشرى فى قـــوله تعالى : « الصـــابرين والصادقين والقانتين والمنفقـــين والمستغفرين بالأســـحار » : والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم فى كل واحدة منها » .

النوع الثانى : الفصـــل والوصل فى الجمـــل التى لها محـــل من الاعراب هى التى سدت مسد المفرد فاذا قلت : جاءنى رجل خلقـــه حسن كانت جملة « خلقه حسن » الواقعـــة فى محل رفع صـــفة لرجل

---

(١) البحر المحيط
(٢) المفتاح .

سادة مسد المفرد وهو « حسن الخلق » ، فكأنك قلت : جاءنى رجل حسن الخلق • ويمكنك أن تعرف مثل هذا فى سائر الجمل التى لها محل من الاعراب •

فاذا أتت جملة بعد جملة لها محل من الاعراب ، فلا يخلو اما أن يقصد المتكلم اشراك الثانية للأولى فى اعرابها أو لا يقصد ذلك فهاتان حالتان :

الحالة الأولى : أن يقصد المتكلم التشريك بين الجملتين فى الحكم الاعرابى ، فحينئذ يجب الوصل ، ولابد من مراعاة التناسب بينهما لما مر فى المفردات ، فيجب أن يكون المحدث عنه فى الجملة الأولى بسبب من المحدث عنه فى الجملة الثانية فيكونا كالنظيرين أو الشريكين، أو تجرى احداهما مجرى النقيض من الأخرى فتقول ، محمد يقول ويفعل ويأكل ويشرب ، ويضر وينفع ، ويحل ويعقد ، ويأمر وينهى ، وعلى هذا قوله تعالى : « والله يقبض ويبسط » وانه هو أضحك وأبكى وانه هو أمات وأحيا ومن حديث رسول الله — ﷺ — « انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع » •

ففى قولك : محمد يقول ويفعل ويأكل ويشرب جهة جامعة وتناسب بين الجملتين اللتين لها محل من الاعراب وهما : يقول ويفعل ، ويأكل ويشرب ، اذ هما فى محل رفع خبر لمحمد لما بين القول والفعل من التناسب ، وكذا الأكل والشرب لما بينهما من التلازم فهما كالنظيرين والشريكين كما مر •

أما فى قولك محمد يضر وينفع ••• الى آخر الأمثلة فالجامع بينهما هو التضاد ، فان الضد أقرب خطورا بالبال من ضده ، فانه عند ما يذكر الضرر يخطر على الذهن ضده ونقيضه وهو النفع ، وهكذا القبض والبسط ، والضحك والبكاء ، والموت والحياة ••• الى آخره •

فاذا لم توجد الجهة الجامعة بين الجملتين كان خلفا من القول، فاذا قلت : محمد شعره جيد وقامته طويلة ، كان كلاما مفككا ساقطا لأنه لا تعلق ولا مشاركة بين الشعر وطول القامة ، وكذا اذا قلت : شوقى شاعر وزيد كاتب ، لأنه لا مناسبة بين المحدث عنه فى كلتا الجملتين ، ولا تعلق لأحدهما بالآخر ، أما اذا قلت : شوقى شاعر وابن العميد كاتب فانه يصح لوجود التناسب بين كل من المسند اليه والمسند فى الجملتين .

الحالة الثانية : ألا يقصد المتكلم اشراك الجملة الثانية فى حكم اعراب الأولى ، وحينئذ يجب الفصل ، لأن العطف يقتضى التشريك والتشريك غير مراد مثال ذلك قوله تعالى : « واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون . الله يستهزىء بهم »(١) الشاهد فى جملة « الله يستهزىء بهم » حيث لم تعطف على جملة : « انا معكم » لأنها لو عطفت عليها للزم أن تكون مشاركة لها فى كونها فى محل نصب مفعول « قالوا » مما يترتب عليه أن تكون من كلام المنافقين وليست هى من كلامهم . ومنه قوله تعالى : « واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا انما نحن مصلحون ألا أنهم هم المفسدون »(٢) الشاهد فى جملة « ألا أنهم هم المفسدون » حيث لم تعطف على جملة « انما نحن مصلحون » ، لأنها لو عطفت عليها لكانت من مقول المنافقين وليست منه .

ومن موانع العطف أيضا : أن تكون الجملة الثانية جوابا عن سؤال مذكور فى الجملة الأولى أو مقدر . مثال الأول قوله تعالى :

---

(١) البقرة : ١٤ ، ١٥ .
(٢) البقرة : ١١ ، ١٢ .

« وما أدرك ما الطارق النجم الثاقب »(١) ، وقـولـه تعالى : « قتـل الانسان ما أكفره ، من أى شىء خلقه ؟ من نطفـة خلقه فقدره »(٢) ومثال الثانى قول الشـاعر :

تعاللت كى أشجى وما بك علة
تريدين قتلى قـد ظفرت بذلك

الشاهد فى قوله : « تريدين قتلى قد ظفرت بذلك » كأن الشاعر حين قال : « تريدين قتلى » تخيل أن محبوبته سألته : هل ظفـرت بما أردت ؟ فقال : جوابا لهذا السؤال المقدر « قد ظفرت بذلك » •

ومن موانع العطف أيضا : أن تكون مضمون الجملة الثانية عـلة لمضمون الجملة الأولى ، كما فى قوله تعالى : « فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت »(٣) فجملة « لا اله الا هو » جـاءت مفصولة عن جملة « حسبى الله » لأنها كالعلة والدليل عليها ، ومثلهـا جملة « عليه توكلت » •

ومنه قوله تعالى حكاية عن الشيطان : « وقال انى برىء منكم انى أرى ما لا ترون انى أخـاف الله »(٤) فجملة « انى أرى ما لا ترون » فصلت عن جملة « انى برىء منكم » لأنها كالعلة لها،وكذلك : « انى أخاف الله » ، فجميع هذه الجمل التى وردت بغير واو متصـلة من ذات نفسها بما قبلها اتصال العلة بالمعلول ، فهى مستغنية بذلك الاتصال الذاتى عن حرف عطف يربطها بما قبلها •

---

(١) الطارق : ١ ، ٢ •
(٢) عبس : ١٧ ، ١٨ ، ١٩ •
(٣) التوبة : ١٢٩ •
(٤) الأنفال : ٤٨ •

الفصل والوصل بين الجمل التى لا محل لها من الاعراب :

بين الشيخ عبدالقاهر أن الذىيشكل أمره والذى يحتاج فى فصله ووصله الى مزيد من الاعتبارات واللطائف انما هى الجمل التى لا محل لها من الاعــراب ، وبحثه فى هذا الباب يقوم عــلى التحليل والتعليل والتحديد مما ينم عن ذوق بصير بالأساليب والفــروق بينها ، فنجده يتحدث عن فصل الجمل ووصلها مبينا الدقائق والفروق بينها وواضعا الأصول والقوانين من خلال التطبيق على الأمثلة التى ذكرهــا ، ثم أجمل هذه الأصول والقوانين بقوله أن الجمل على ثلاثة أضرب :

١ ــ جملة حالها مع التى قبلها حال الصفة مع الموصوف والتأكيد مع المؤكد فلا يكون فيها العطف البتة لشبه العطف فيها ــ لو عطفت ــ بعطف الشىء على نفسه .

٢ ــ وجملة حالها مع التى قبلها حال الاســم ، يكون غير الذى قبله الا انه يشاركه فى حكم ويدخل معه فى معنى مثــل أن يكون كلا الاسمين فاعلا أو مفعولا أو مضافا اليه فيكون حقها العطف .

٣ ــ وجملة ليست فى شىء من الحالين بل سبيلها مع التى قبلها ــ سبيل الاسم مع الاســم لا يكون منــه فى شىء فلا يكــون اياه لا مشاركا له فى معنى بل هــو شىء ان ذكر لم يذكر الا بأمر ينفرد به ويكون ذكر الذى قبله وترك الذكر سواء فى حالة لعدم التعلق بينه وبينه رأسا وحق **هذا ترك العطف البتة** .

قرر أن ترك العطف يكون :

أما للاتصال الى الغاية أو الانفصال الى الغاية.

ــ والعطف لما هو واسطة بين الأمرين ، وكان له حال بين حالين.
وقد أخذ البلاغيون قواعدهم مما قرره عبد القاهر ــ وجعلوه أصــلا تتفرع منه التقسيمات المتعددة وتوضيحها كما يلى :

أولا : مواضع الفصل :

يجب الفصل فى خمسة مواضـــع :

أن يكون بين الجملتين كمال الاتصال وهو ما عبر عنه عبدالقاهر بقوله « الاتصال الى الغاية » وهو أن تتصل الجمـــلة الثانية بالأولى اتصالا داخليا ، أى بأن تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيد ، أو منزلة البدل منها أو منزلة البيان لها .

١ ـــ الأمر الأول : وهو أن تنزل الجملة الثانية منزلة التـــأكيد من الأولى أى منزلة التأكيد فى المفردات ، والجمـــلة الأولى قد تكون من قبيل التأكيد اللفظى ، أى أن معناها متحد مع معنى الأولى فيكون مضمونها هو مضمون الأولى ، كا فى قوله تعالى « هدى للمتقين »(١) فانها منزلة التأكيد اللفظى من قولـــه تعالى « ذلك الكتـــاب » اذ أن معناهما متحد ، لأن كون الكتاب هدى للمتقين معناه انه بالغ درجـــة عظيمة فى الهداية بحيث لا يدرك كنهها ، وهـــذه المبالغة فى الهدايـــة استفيدت من تنكير « هـــدى » لما فيه من الابهام والتعظـــيم بحيث لا يمكنك ادراك مدى الهداية ، ومن ايقاع المصدر « هدى » خبرا عن الضمير المستتر العائد الى الكتاب ، حيث عدل عن اسم الفاعل « هاد » الى المصدر « هدى » لافادة المبالغة فى الهـــداية فبلغ درجة الكمـــال فيها حتى كأنه هداية محضة ، وهذا هو معنى « ذلك الكتـــاب » لأن معناه : الكتاب الكامل أى الذى بلغ الدرجـــة القصوى فى الكمـــال استفيد ذلك من تعريف الطرفين المسند اليه والمسند بواسطة الاشارة للدلالة على تمييزه أكمل تمييز وتعظيمـــه وبعد درجتـــه تنزيلا لبعـــد المسافة منزلة بعد المكانة والدرجة العالية ، وتعريف المسند بأل مما يفيد

(١) البقرة : ٢ .

الانحصار حقيقة نحو « الله الواجب » أو مبالغة نحو « حاتم الجواد »
أى لا جواد الا حـاتم كأن جود غيره بالنسـبة الى جوده منزل منزلة
العدم ، وعلى هذا فمعنى ذلك الكتـاب انه الكتاب الكـامل ، وكأن
ما عداه من الكتب فى مقابلته ناقص وانه الذى يستأهل أن يسمى كتابا
والمراد بكماله فى الهداية لأن الكتب السماوية تتفاوت بحسبها .

يتضح مما سبق أن الجملتين « ذلك الكتاب » و « هدى للمتقين »
قد تلاقيا حـول معنى واحـد وهو الكمال فى الهـداية ، فصار وازن
الجملة الثانية من الأولى وزان «زيد» الثانى فى قولك جاءنى زيد زيد،
فالمراد بزيد الثانى هو زيد الأول ، وانما ذكر تأكيدا للاول ، فكمـا
لا يمكنك أن تضـع الواو بين التأكيد والمؤكد فى قولك : جـاءنى زيد
زيد لأن التوكيد هو عين المؤكد والواو لا تقع بين الشىء ونفسه،فكذلك
لا تقع بين الجمل منزلة التأكيد من سابقتها — ومنه قول الشاعر :

وما الدهر الا من رواه قصـائدى
اذا قلت شعرا أصبح الدهر منشـدا

فالشطر الثانى يتحـد فى المعنى مع الشـطر الأول فى البيت لأن
كون الدهر مقصورا على كونه من رواة قصائده المفاد من الجملة الأولى
هو نفس المعنى المسـتفاد من الجمـلة الثانية وهى اذا قلت شـعرا
أصبح الدهر منشدا .

وقد تكون الجملة الثانية من قبيل التأكيد المعنوى بأن يختـلف
مفهوم الجملتين ولكن يلزم منتقرر معنى احداهما تقرر معنى الأخرى،
فهناك تلازم بين المعنيين ، كما فى قوله تعالى « لا ريب فيه » بالنسبة
الى « ذلك الكتاب » لأن المراد بقوله تعالى « ذلك الكتاب » كما قلنا
هو الكتاب الذى بلغ الدرجة القصوى فى الكمال أى فى كمال الهدايـة
فقد يتوهم السامع قبل التأمل أن هذا الكمال على طريق التجـوز ،

وانه لم يصدر عن روية وبصيرة ، وانما رمى به جزافا ، فاحتاج المقام الى التأكيد بقوله تعالى « لا ريب فيه » أى منزلة التأكيد المعنوى من متبوعه فى دفع توهم التجوز أو توهم الجزاف كما تقول « جاءنى الأمير نفسه أو عينه لدفع توهم أن يكون جاء رسوله ، أو جاء كتابه مثلا فكما لا يمكنك أن تضع الواو بين التأكيد والمؤكد فى المفردات ـــ فكذلك فى الجمل المنزلة هذه المنزلة لا يمكنك أن تضع الواو بينها لأن المعانى قد اتصلت من ذات نفسها فليست بحاجة الى الواو ومعنى التلازم بين الجملتين انه يلزم من كونه الكتاب الكامل فى الهداية عدم تطرق الشك اليه بحال من الأحوال • ولأن الكتاب الذى بلغ هذه الدرجة فى الكمال لا يكون كذلك الا اذا كان حقا لا يحوم حوله الشك •

ومن التأكيد المعنوى أيضا قوله تعالى « واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقراً » لأن الجملة الثانية وان اختلف مفهومها عن مفهوم الأولى لأن معنى الأولى انه لم يسمعها اما مصادفة أو قصدا الى عدم سماعها مع سلامة أذنيه ومعنى الثانية انه لم يسمعها لفساد سمعه الا أن المعنيين يلتقيان حول معنى عدم التأثر بسماع الايات فهذا هو المقصود من التشبيهين فى الجملتين وهذا المعنى هو اللازم من مفهوم الجملتين ولكن التشبيه الثانى أبلغ وآكد فى بيان المراد ، لأن الذى لا يصح منه السمع لفساد آلته ، يكون أبعد من فائدة ما يتلى عليه من الآيات من الذى يصح منه السمع الا انه لا يسمع اما اتفاقا واما قصدا ألا يسمع • هكذا قرر الشيخ عبد القاهر(٢) •

---

(١) لقمان : ٧ •

(٢) دلائل الاعجاز ١٥٩ •

ومنه أيضا قوله تعالى «ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم»(٢)، فجملة « ان هذا الا ملك كريم » منزلة منزلة التأكيد المعنوى لجملة « ما هذا بشرا » ، لأنه وان اختلف مفهوم الجملتين الا أن بينهما تلازما فى المعنى ، لأنه يلزم من نفى كونه بشرا اثبات كونه ملكا ، واثبات كونه ملكا على جهة التخصيص بواسطة النفى والاستثناء يلزم منه نفى أن يكون بشرا • فمنطوق الجملة الثانية مؤكد لمفهوم الأولى، ومفهوم الثانية مؤكد لمنطوق الأولى لأن القصد اثبات كونه ملكا على جهة التأكيد •

الأمر الثانى : وهوأن تكون الجملة الثانية منزلة منزلة البدل من الأولىسواء أكانت منزلة منها منزلة بدل البعض أم منزلة منها منزلة بدل الاشتمال ، فأما المنزلة منها منزلة بدل البعض فلكون الأولى غير وافية بتمام المراد لكونها مجملة ، بخلاف الثانية فانها وافية بتمامه لأنها فصلت بعض ما أجملته الجملة الأولى ، والمقام يقتضى اعتناء بشأن المراد لدلالته على التفصيل ، كما فى قوله تعالى « واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين ، وجنات وعيون »(٣) ففى هذه الآيات تذكير لقوم هود بنعم الله تعالى ، والمقام يقتضى تفصيل بعض هذه النعم من غير احالة فى تفصيلها على علم المخاطبين المعاندين اذ ربما نسبوا تلك النعم الى قدرتهم جهلا منهم ، وهذه النعم هى قوله تعالى « أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون » فالامداد بما ذكر بعض من الامداد بما — يعلمون ، وهو أو فى بتأدية المراد لدلالته على نعم الله بالتفصيل ولا يقاظهم من سنة غفلتهم بتعديد ما يعلمون من هذه النعم التى أنعم الله عليهم بها لكى ، يؤدوا شكرها ، فلا

---

(١) يوسف : ٣١ •
(٢) الشعراء : ١٣٢ ، ١٣٣ •

يغترون بقواهم المادية التى يملكونها ، فان الذى أعطاهم هذه النعم قادر على أن يسلبها منهم .

وأما المنزلةمنها منزلة بدل الاشـــتمال من متبوعه فكقوله تعـــالى « اتبعوا المرسلين . اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتـــدون »(١) فان المراد به حمل المخاطبين على اتباع الرسل ، وقوله تعالى « اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون » منزلة منزلة بدل الاشـــتمال من قوله تعالى « اتبعوا المرسلين » وهى أوفى بتأدية المراد ـــ أى حمـــل المخاطبين على اتباع الرسل من الأولى لأن معناها كما يقول الخطيب :

« لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم ، وتربحون صحة دينكم ، فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة »(٢) وفيها أيضا دلالة على صدق الرسل لأن الذى لا يطلب أجرا من وراء دعـــوته ، ولا يبتغى مغنمـــا لا شك انه لصادق فى دعواه فيكون ذلك أدعى للمخاطبين بأن يستجيبوا لدعوتـــه . فوزان الجملة الثـــانية من الأولى « حســـنها » فى قولك « أعجبتنى الدار حسنها . ومن بدل الاشتمال أيضا قول الشاعر :

أقول له ارحل لا تقيمن عندنا والا فكن فى السر والجهر مسلما

فالمراد من البيت : كمال اظهار الكراهة لاقامته بسبب اختـــلاف سره عن علانيته ، فهو يضمر فىنفسه خلاف ما يظهر منها ، وجملـــة « لا تقيمن » بمنزلة بدل الاشـــتمال من « ارحل » وهى أوفى بتـــأدية المراد منها الأمرين :

الأول : أن دلالة « لا تقيمن عندنا » على كمال اظهار الكراهـــة دلالة ـــ مطابقية ، لأن قولك : لانسان لا تقم عندى » بحسب العرف

---

(١) يس : ٢٠ ، ٢١ .

(٢) بغية الايضاح ٧٤/٢ .

حقيقة فى اظهار كراهة اقامته وحضوره ، بخلاف دلالة « أرحــل » عليها فانها دلالة التزامية ، لأنه يلزم من الأمر بالرحيل عدم الاقامة، ولا شك أن الدلالة المطابقية أقوى فى المعنى من الدلالة الالتزامية .

الثانى : اشتمالها على نون التوكيد :

وفى استشهاد البلاغيين بهذا البيت نظر ، لأن جملتى « أرحل » و « لا تقيمن » محكيتان بالقول السابق ، فهما فى محل نصب مقــول القول ، أى لها محل من الاعراب ، فيكون حكمها حكم المفرد على نحو ما بينا من أن الجملة لا تكون لها موضع من الاعراب الا اذا كانت واقعة موقع الفــرد .

فما موقف البلاغيون الذين يخصون الحديث عن الفصل والوصل بالجمل التى لا محل لها من الاعراب من هذا البيت ؟ قالوا :

ان الاستشهاد بهذا البيت على البدلية مسلم به باعتبار دلالتــه على المحكى لا باعتبــار نفس الحكاية ، أى ما وقــع فى كلام القــائل بصرف النظر عن القول فان الجملتين بهذا الاعتبار لا محل لهمــا من الاعــراب .

وأرى انه لا حاجة بنا الى هذا التأويل المتعسف ، لأن حــديث الفصل والوصل يمكن أن يشمل الجمل التى لها محل من الاعــراب اذا كان يفهم من ورائها سر بلاغى يقتضيه المقام سوى قصد التشريك فى الحكم الاعرابى .

والثالث : أن تكون الجملة الثانية بيانا للأولى ، وذلك بأن تنزل منها منزلة عطف البيان من متبوعه فى افــادة الايضاح لكون الجمــلة الأولى مشتملة على نوع خفاء ، والمقام يقتضى ازالته ، كقوله تعالى « فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك

لا يبالى »(١) فجملة « فوسوس اليه الشيطان » فيهـا نوع خفـاء وجملة « قال يا آدم ... » بيان لها وتوضيح ، على وزان قـولهم فى المفردات « أقسم بالله أبو حفص عمر ، فان « عمر » بيان وتوضيح لأبـى حفص ، كمـا أن « قـال يـا آدم ... » بيـان وتوضـيح « لوسوسة الشيطان له » ، ـ والبيان والمبين كالشىء الواحـد لمـا بينهما من اتصـال داخلى ، فلا حـاجة اذن الى الواو ومن ثم وجب الفصـل بينهمـا .

وفى قوله تعـالى « ونادى أصـحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالو ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون »(٢) ، ففى نداء أصـحاب الأعراف نـوع خفاء يقتضى المقـام ازالته ، وقـوله « قالوا ما أغنى عنكم » بيان وتوضيح له ، لأن النفس تستشرف الى معرفة ماذا قيل للمنادى ، ومنه أيضا قوله تعالى « الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى ... الآية »(٣) فالجملة الأولى « الله نور السموات والأرض » تحتاج الى ايضاح وبيان ، والجملة الثانية « مثل نوره كمشكاة » الى آخر ما يتصل بها بيان وتوضيح للأولى ، فقد اشتملت جملة البيـان على مقدار فرط الاضاءة ، وقوة الانارة المفهومين من التشبيه المفصل فى الآية للدلالة على قوة النور المنبث فى السموات والأرض .

وقد تكون الجملة الثـانية بتمامها بيانا لجـزء الأولى أى بيانا لمفرد من مفرداتها كما فى قوله تعالى : « وان تولوا فانى أخاف عليكم عذاب يوم كبـير الى الله مرجعكم »(٤) فان قوله تعـالى « الى الله

(١) سورة طه : ١٢٠ .
(٢) الأعراف : ٤٨ .
(٣) النور : ٣٥ .
(٤) هود : ٣ ، ٤ .

مرجعكم » بيان وتوضيح لعذاب اليوم الكبير أى أن مرجعهم فى هـذا اليوم الى الله القادر على كل شىء فيكون قادرا على أشد ما أراد من عذابهم »(١) لا يعجزه ، فالأمور ترجع كلها فى هذا اليـوم الى الله وحده ، وهو القادر العظيم السلطان الواحد القهار ، فأعظم بعـذاب معذبه من هذا شأنه ، لأن العذاب وصف بالكبر ، فهم سيحاسـبون على كفرهم وعنادهم وسينالون جزاءهم من القادر على كل شىء ومن بينها البعث للحساب والجزاء .

٢ — أن يكون بين الجملتين كمال الانقطاع بلا ايهام وله صورتان

الصورة الأولى : أن تختلف الجملتان خبرا وانشاء لفظا ومعنى، أى تكون احدى الجملتين لفظا ومعنى ، والأخرى انشاء لفظـا ومعنى مثل قوله تعالى « بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد »(١) فقد فصل بين الجملة الأولى « بديع السموات والأرض » اذ أن بديـع السموات خبر مبتدأ محذوف تقديره « هو » وهى جملة خبرية لفظـا ومعنى والجملة الثانية « أنى يكون له ولد » وهى انشائية لفظا ومعنى، لأنها استفهامية ، ومنه قول الشاعر :

لا تحسب المجد تمرا أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

فجملة النهى « لا تحسب المجد » انشائية لفظا ومعنى ، وجملة « لن تبلغ المجد » خبرية لفظا ومعنى .

ومنه قول الشـاعر أيضا :

وقال رائدهـم : ارسو نزاولهـا
فكل حتف امـرىء يجرى بمقدار

(١) المطول : ٢٥٧ بتصرف .
(١) الأنعام ١٠١ .

الشاهد فى قوله : « ارســوا نزاولها » لأن « ارسوا » جمــلة انشائية لفظا ومعنى ، « ونزاولها » بمعنى نعالجها جملة خبرية لفظــا ومعنى ، فوجب الفصل بينهما ومنه قوله تعالى « وقال اركبوا فيهــا بسم الله مجريها ومرساها »(١) فان جملة « اركبوا » انشائية لفظــا ومعنى و « بسم الله مجريها ومرساها » خبرية لفظا ومعنى .

ويلاحظ أن الجمــلتين اللتين فصــل بينهمــا فى البيت « وقال رائدهم ... « وقال اركبوا ... » الآية محــل من الاعراب لأنهمــا معمولتان لقال ، أى فى محل نصب مقول القول ، وقد بينت أن حديث الفصل والوصل يمكن أن يشمل الجمل التى لها محل من الاعــراب ، وان كان بعض العلماء يرى أن الجملتــين منظور فيهما الى ما قبــل تسليط القول عليهما لأنهما بهذا الاعتبار لا محل لهما من الاعــراب ، ولا يخفى ما فيه من التعسف .

وقد تكون احدى الجملتــين خبرا لفظا ومعنى والأخرى انشــاء معنى فقط وان كان لفظها خبرا كما فى قولك : « مات فلان رحمه الله» فان الجملة الأولى وهى « مات فلان » خبرية لفظا ومعنى ، والجملــة الثانية وهى « رحمه الله » خبرية لفظا ، ولكنها انشائية معنى ، لأن المراد منها : الدعاء أى « ليرحمه الله » أو اللهم ارحمه .

الصورة الثانية : ألا يكون بين الجملتين جامع يصح العطف بأن تكون كل منهما مستقلة بنفسها ، لأن العطف لابد له من مناسبة معينــة بين طرفى جملتيه وما يتعلق بهمــا ، ولا مناســبة فى قــولك : زيــد طويل وعمرو نائم ، وقولك : العلم نور ، وجه على قبيح « ومنه ما جاء فى الحكم » كفى بالمشيب داء ، صلاح الانسان فى حفظ اللسان .

وانما وجب ترك العطف فى كمال الانقطاع ، لأن بين الجمــلتين مباينة تامة ، والعطف يقتضى التناسب بينهما .

---

(١) هود : ٤١ .

٣ — من مواضع الفصل أيضا :

شبه كمـال الاتصال :

وهو أن تكون الجمـلة الثانية جـوابا لسؤال اقتضته الجمـلة الأولى ، أى بأن تنزل الأولى مـنزلة السـؤال لكونها مشـتملة عليه ومقتضية له ، فتفصل الثانية عنها كما يفصـل الجواب عن السـؤال لما بينهما من الاتصال ، ويقال حينئذ أن بين الجمـلتين شبه كمـال الاتصـال ، ويسمى الفصل لذلك استئنافا كما تسـمى الجملة الثانية استئنافا أو مستأنفة .

وشبه كمال الاتصال (لاستئناف) على ثلاثة أضرب لأن السؤال المفهوم من الجملة الأولى اما أن يكون حول العلة المطلقة للحكم أى عن سبب عام ، واما أن يكون حول علة معينة أى عن سبب خاص لهذا الحكم ، واما عن غيرهما أى غير السبب العـام والسبب الخـاص ، وانما يكون السؤال عن أمر يتصل بوجه ما من وجـوده دلالة الجمـلة الأولى .

فأما السؤال عن السبب العام للحكم فكقول الشاعر :

قال لى : كيف أنت ؟ قلت عليـل

سـهر دائـم وحـزن طـويل

فصل هنا بين الجملة الأولى وهى « عليل » أى « أنا » « عليل » والجملة الثانية وهى « سهر دائم » ، لأن الجملة الأولى مثيرة لسؤال عن السبب المطلق للعلة ، أى ما بالك عليـلا ؟ أو ما سبب علتـك ؛ لأن العـادة جرت أنه اذا قيـل « فلان عليل » أن يسـأل عن سبب علته كذا أو كـذا ؟ حتى يكون سـؤالا عن السبب الخـاص ، لأن خصوصية شىء من الأسباب عن العلة الموجبة للمرض لا يتصور حصرها حتى يسأل عن شىء منها .

وأما السؤال عن السبب الخاص للحكم فنحو قول الله تعالى « وما أبرىء نفسى ان النفس لأمارة بالسوء »(١) فالنفس هنا تستشرف لمعرفة السبب الخاص بعدم تبرئة النفس واتهامها بالتقصير فتطلبه طلب المتردد فى معرفته بأن تقول هل النفس أمارة بالسوء ؟ فقيل : نعم « ان النفس لأمارة بالسوء » أى أن النفس مجبولة على الأمر بالسوء ، فالمقام اذن مقام التردد فى ثبوت هذا الأمر ، الذى يسأل عنه ، والدليل على ذلك تأكيد الخبر ، وهو الجملة الوقعة جوابا عن هذا السؤال « بأن » واللام واسمية الجملة ، ولذلك يقول الخطيب : « وهذا الضرب يقتضى تأكيد الحكم لما مر فى أحوال الاسناد الخبرى(٢) •

وأما السؤال عن غيرهما أى عن غير السبب العام والسبب الخاص فنحو قوله تعالى « فقالوا سلاما قال سلام »(٣) أى فماذا قال ابراهيم عليه السلام فى جواب سلامهم ؟ فقيل : قال سلام ، ويلاحظ أن تحية ابراهيم عليه السلام أحسن من تحيتهم ، لأن تحيتهم بالجملة الفعلية الدالة على الحدوث أى نسلم سلاما ، فحذف الفعل ونائب اسم المصدر منابه — وتحيته — عليه السلام بالجملة الاسمية الدالة على الدوام والثبوت أى « سلام عليكم » ولو جاءت تحيته مثل تحيتهم لقال « سلاما » بالنصب أى أسلم سلاما ، ولكن التغاير فى الجواب دليل على هذه النكتة ، قال تعالى « وان حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها »(٤) •

---

(١) يوسف : ٥٣ •
(٢) بغية الايضاح ٢/٨٠ •
(٣) الذاريات : ٢٥ •
(٤) النساء : ٨٦ •

والجملة المستأنفة قد تأتى باعادة اسم ما استؤنف عنه الحديث نحو « أحسنت الى محمد محمد حقيق بالاحسان ففصل هنا بين جملتى « أحسنت الى محمد » و « محمد حقيق بالاحسان »، لأن الجملة الأولى مثيرة لسؤال ، وهو « لماذا أحسنت اليه » ؟ وقد أجيب عنه باعادة اسم المستأنف له الحديث .

وقد تأتى الجملة المستأنفة باعادة صفته كقولك : أحسنت الى زيد ، صديقك القديم أهل لذلك ، والاستئناف باعادة الصفة أحسن وأبلغ لانطوائها على بيان الموجب أى السبب الموجب للحكم كالصداقة القديمة فى المثال السابق .

الحذف فى الاستئناف :

قد يحذف صدر الجملة المستأنفة سواء أكان المحذوف فعلا أم أسما فمثال ما حذف فيه الفعل : قوله تعالى « يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال »(١) على قراءة « يسبح » مبنيا للمجهول ، كأنه قيل : من يسبحه ؟ فقيل : رجال ، أى يسبحه رجال .

ومثال ما حذف فيه الاسم قولك « نعم الرجل محمد » على اعتبار جعل « محمد » خبرا لمبتدأ محذوف تقديره هو أى «هو محمد» جعل الجملة المحذوف صدرها استئنافا جوابا عن سؤال أثارته الجملة الأولى وهى « نعم الرجل » كأنه قيل « من الرجل المخصوص بالمدح ؟ فقيل « محمد أى » هو محمد .

وقد يحذف الاستئناف كله ، وهو على نوعين :

أ — اما أن يقام شىء مقام المحذوف يدل عليه كما فى قول الحماسى يهجو بنى أسد .

---

(١) النور : ٣٦ وهى قراءة ابن عامر وشعبة .

زعمتم أن اخوتكم قريش لهم الف، وليس لكم الاف

والمراد بالالف : : الايلاف فى الرحلتين المعروفتين لهم فى التجارة رحلة الشتاء الى « اليمن » ورحلة الصيف الى « الشام » أى أن لقريش ايلاف فى رحلتيهما للتجارة ، وليس لكم شىء من ذلك .

فالجملة الأولى « زعمتم أن اخوتكم قريش » مثيرة لسؤال وهو أصدقنا فى هذا أم كذبنا ؟ فقيل : « كذبتم » فحذفت الجملة المستأنفة كلها ، وأقيم مقامهـا « لهم الف وليس لكم الاف » وهذه الجملة تدل على المحذوف اذ هى تعليل له ، ويرى الخطيب : أنه يجـوز أن يقدر قولهم « لهم ألف وليس لكم الاف » جـوابا لسؤال اقتضاه الجـواب المحذوف ، وكأنه لما قال المتكلم : « كذبتم » قالوا « ولم كذبنا ؟ قال لهم ألف وليس لكم الاف فيكون فى البيت استئنافان .

(ب) وقد يحذف الاستئناف ولا يقام مقامه كما فى قوله تعالى « فنعم الماهدون » على قول من يجعـل المخصوص بالمدح خبرا لمبتدأ محذوف .وعلى هذا يكون تقدير الجملة المحذوفة « هم نحن » ولم يقم شىء مقامها .

٤ ــ من مواضع الفصل :

شبه كمال الانقطاع :

وهو أن تكون الجملة الثانية بمنزلة المنقطعة عن الأولى يعنى أنها صالحة لأن تعطف على الأولى،ولكن عطفها عليها يوهم عطفها على غيرها فيلتبس المعنى مما يؤدى الى فساده ، وحينئذ يجب القطع مثاله قول الشاعر :

وتظن سلمى أننى أبغى بها بدلا أراها فى الضلال تهيم

فجملة « أراها فى الضلال تهيم » يصح عطفها على جملة « تظن سلمى » لوجود عــلاقة بين الجملتين تجوز العطف من حيث ترادف الفعلين « تظن » و « أرى » لأن « أراها » بمعنى « أظنها » ومن حيث ان فاعل الفعل الأول محبوب وفاعل الثانى محب فبينهما مناسبة ظاهرة تصحح العطف ، لكن الذى منعمن العطف هو ايهام اللبس الذى يؤدى الى فساد المعنى ، لأنه لو عطف « أراها فى الضلال تهيم » على « تظن سلمى » لاحتمل توهم العطف على جملة « أبغى ... بها بدلا » فتكون جملة « أراها » من مظنونات سلمى أيضا أى مع جملة « أبغى بها بدلا » لأن العطف يقتضى التشريك فى الحكم ، وذلك غير مقصود ، لأن « أراها فى الضلال تهيم » ليس من مظنوناتها وانما هو اخبار منه بذلك تعقيبا على ظنها الذى لم يكن فى محله حيث ظنت أنه يبغى بها بدلا ، فلأجل هذا امتنع العطف ووجب الفصل .

وشبه هذا بكمال الانقطاع باعتبار اشتماله على مانع من العطف الا أنه لما كان خارجيا يمكن دفعه بنصب قرينة لم يجعل هذا من كمال الانقطاع .

وجعل السكاكى القطع فى هذا البيت للاحتياط .

٥ ــ التوسط بين الكمالين مع قيام المانع من العطف

وقد يمنع من العطف مانع أيضا بأن يكون للجملة الأولى حكم لم يقصد اعطاؤه للثانية فيجب الفصل كما فى قوله تعالى « واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون الله يستهزىء بهم »(١) لم يعطف « الله يســتهزىء بهم » على « قــالوا » لئلا يشــاركه فى الاختصاص فى الظرف ، فيلزم من ذلك اختصاص استهزاء الله بهم

---

(١) البقرة : ١٤ ، ١٥ .

بوقت خلوهم الى شياطينهم مع أن استهزاء الله بهم غير مقيد بوقت من الأوقات ، فاستهزاء الله بهم — وهو أن خذ لهم وخلاهم وما سولت لهم أنفسهم — دائم متصل فى كل وقت سواء خلوا الى شياطينهم أم لم يخلوا ، ولم يعطف أيضا « الله يستهزىء بهم » على « انا معكم » لئلا يلزم من ذلك أن تكون الجملة المعطوفة من مقول المنافقين مع أنها من مقول الله تعـالى ، لأن العطف يلزم منه التشريك فى الحكم وهو ليس بمقصود،اذ يلزم أن يكون «الله يستهزىء بهم»مشاركا لقوله«أنا معكم » فى كونه مفعول قالوا مع أن قوله تعالى « الله يستهزىء بهم » من مقول الله تعالى ، وليس من مقول المنافقين •

ويرى السكاكى أن القطع هنا للوجوب (١) •

فقد تبين لك مما سبق أن الفصل يجب فى خمسة مواضع :

١ — كمال الاتصال وشبهه ، وكمال الانقطاع وشبهه ، والتوسط بين الكمالين مع قيام المانع من العطف •

ثانيا : الوصل :

يجب الوصل فى موضعين :

١ — أن يكون بين الجملتين كمال الانقطاع مع الايهام بأن تكون احداهما خبرية والأخرى انشائية ، ولو فصل بينهما لأوهم الفصـل خلاف المقصود ، ومن ثم يجب الوصل رفعا لهذا الايهام ، كما فى قولك : « لا وأيدك الله » تجيب بذلك على من قال لك : هل أساعدك فى حمل هذا الشىء ؟ « فلا » فى هذا الموضع داخلة على جملة خبرية محذوفة دل عليها الكلام السابق فى السؤال ، اذ المعنى « لا حاجة بى الى المساعدة

---

(١) مفتاح العلوم •

وأيدك الله » فقوله « لا » قائمة مقام الجملة الخبرية المحذوفة وقوله « وأيدك الله » جملة انشائية معنى اذ معناها « اللهم أيدك » دعاء له بالتأييد فبينهما كمال الانقطاع ، ومقتضى هذا يوجب الفصل لكنه ترك ووجب العطف ، لأن ترك العطف هنا يوهم خلاف المقصود ، فانه لو قيل : لا أيدك الله بدون الواو لتوهم أنه دعاء على المخـاطب بعدم التأييد لا دعاء له ، فلدفع هذا التوهم جيء بالواو .

ومنه ما روى أن أبا بكر — رضى الله عنه — مر برجل فى يده ثوب فقال له : أتبيع الثوب ؟ فقال الرجل : لا يرحمك الله فقال له أبو بكر : لا تقل هذا ، وقل : لا ويرحمك الله .

٢ — التوسط بين الكمالين أى بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع وهو أن تتفق الجملتان خبرا وانشاء لفظا أو معنى فقط مع وجود جامع بينهما أى تناسب تام فى المعنى .

فمثال الجملتين الخبريتين لفظا ومعنى قوله تعالى : « ان الأبرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم » فالجامع بينهما : التضاد فى الطرفين المسند والمسند اليه ، فالأبرار تقابل : الفجار ، والنعيم يقابل الجحيم ومنه قوله تعالى « يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل » .

ومثال الانشائيتين لفظا ومعنى قوله تعالى « كلوا واشربوا ولا تسرفوا » فالجامع بين هذه الجمل الثلاث اتحادهما فى المسند اليه ،

---

(١) الانفطار : ١٣ ، ١٤ .
(٢) الحديد : ٦ .
(٣) الأعراف : ٣١ .
(٤) النساء : ٣٦ .
(٥) هود : ٥٤ .

والتناسب بين الأكل والشرب والاسراف ، ومنه قوله تعالى « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا » .

ومثال المتفقتين خبرا معنى فقط قوله تعالى « انى أشـــهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون » ، فالجملة الثانية انشائية لفظا خبرية معنى ، لأن المعنى « انى أشهد الله وأشهدكم أنى برىء مما تشركون » والجملة الأولى « أشهد الله » خبرية لفظا ومعنى .

ومثال المتفقتين انشاء معنى فقط قوله تعالى « واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لاتعبدون الا الله وبـــالوالدين احســـانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا »(١) فعطف «قولوا» على « لا تعبدون » لأنهما وان اختلفتا لفظا لكنهما متفقتان معنى اذ هما انشائيتان معنى لأن « لا تعبدون » اخبار فى معنى الانشاء فهى بمعنى : « لا تعبدوا » .

وذكر سعد الدين التفتازانى معنى لطيفـــا فى سر العدول عن الانشاء الى المخبر فى (لا تعبدون) اذ يرى أنه أبلغ من صريح النهى ، لأنه كأنه سورع الى الامتثال فهو يخبر عنه كما تقول : اذهب الى فلان وتقول له كذا ، أى اذهب اليه وقل له كذا فكأنه ذهب اليه وأخبره بما قيـــل(٢) .

واذا كان الوصل يقتضى أن تقدر جملة انشائية أو خبرية معطوفا عليها حتى تتفق الجملتان فى الانشـــائية أو الخبريـــة فانه يجب مراعاة هذا التقدير حتى يستقيم المعنى ويصح العطف .

---

(١) البقرة : ٨٣ .
(٢) المطول : ٢٦٢ .

فمثال الأول وهو تقدير الجملة الانشائية كما فى قوله تعالى « لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا»(١) فانه لا يصلح عطف « واهجرنى » على « لأرجمنك » لأنه جواب القسم ، واهجرنى لا يصلح أن يكون جوابا له ، ومن ثم وجب تقدير جملة انشائية معطوفا عليها حتى يستقيم المعنى والتقدير : « فاحذرنى واهجرنى » والسياق هو الذى دل على المحذوف ، لأن « لأرجمنك » تفيد التهديد والتقريع .

ومثال الثانى وهو تقدير الجملة الخبرية كما فى قوله تعـالى : « لا تحسبن الذين كفروا معجزين فى الأرض ومأواهم النـار ولبئس المصير »(٢) .

فالظاهر أنه لا يصح عطف الجملة الخبرية وهى « ومأواهم النار » على الجملة الانشائية وهى قوله تعالى : « لا تحسـبن الذين كفروا معجزين فى الأرض » لأنها نهى ، ومن ثم وجب تقدير جملة خبرية تفهم من السياق والتقدير « الذين كفروا لا يفوتون الله ومأواهم النار » ، أو يكون التقدير جملة خبرية أضرب بها عما قبلها ، والتقدير « لا تحسبن الذين كفـروا معجزين فى الأرض » بل هم مقدور عليهم ومحاسبون « ومأواهم النار » أى نقدر على قهرهم فى الدنيا بالاستئصال ونجزيهم فى الآخرة عذاب النار .

الجـامع :

يجب أن تتوافر فى الجملتين التناسب والترابط بينهما بعد اتفاقهما فى الخبرية أو الانشائية لفظا ومعنى ، أو معنى فقط كما بينا حتى يصح

---

(١) مريم : ٤٦ .
(٢) النور : ٥٧ .

العطف ، وهذا التناسب والترابط المعبر عنه بالجامع يجب أن يراعى فى المسند والمسند اليه فى الجملتين وفى المتعلقات أيضا على رأى جمهور البلاغيين • والتناسب قد يكون تنـــاسب موافقة نحو « يقرأ محمد ويكتب » لتقارن القراءة والكتابة فى خيال أصحابهما ، ولا تحاد المسند اليه فى كل منهما ، بخلاف : زيد شاعر وعمرو طويل فانه لا يصح لعدم المناسبة بين المسندين أعنى الشعر وطول القامة •

وقد يكون التنـــاسب من جهة التضـــاد : نحو : « يعطى محمد ويمنع » ومنه قولك : العلم حسن والجهل قبيح ومنه قوله تعـــالى : « فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا » (١) وانما كان التضاد من الجامع بين الجملتين لأن الذهن يتصور أحد الضدين عند تصور الآخر ، فالعلم يخطر على البال عند ذكر الجهل •

وقد قسم البلاغيون الجامع الى ثلاثة أقسام :

١ ــ الجامع العقلى :

وهو أن يكون بين الجملتين اتحاد فى التصور أو تماثل أو تضايف فالمراد بالتصور هو ما يتصوره العقل بأن يشترك المعطوف والمعطـــوف عليه فى ايجاد تصور من تصوراتهما ، مثاله قوله تعـــالى « ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ، ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم ••• الآية » (٢) فهذه الجمل عطفت على بعضها لوجود تصور من تصوراتها لدى العقل ، وهو اشتراكها فى نفى الحرج •

وقد يبدو للذهن عدم التنـــاسب بين قوله تعـــالى : « ليس على

---

(١) التوبة : ٨٢ •

(٢) النور : ٦١ •

الأعمى حرج » وبين « ولا على أنفسكم أن تأكلوا » ، لكون رفع الحرج عن الأعمى سببه غير السبب الذى أحل الأكل من تلك البيوت ، لكن اذا نظرنا الى أن الجملتين يجمعهما معنى نفى الحرج صح العطف لوجود التناسب فى هذا المعنى .

والمراد بالتماثل : هو أن يتفق الشيئـان فى الحقيقة ويختلفـا بالشخص مع اشتراكهما فى وصف له نوع اختصاص بهما مثاله ما ذكرناه فى قولك : زيد شاعر وعمرو كاتب،فان حقيقة كل من زيد وعمرو واحدة وهو اشتراكهما فى الانسانية ، ولكنهما اختلفا بالشخص اذ كل واحد منهما له شخصية تتميز عن الآخر ويشتركان فى وصف يؤدى الى وجود علاقة بينهما ومناسبة كالأخوة أو الصـداقة أو العداوة أو نحو ذلك، وأيضا الشعروالكتابة يشتركان فى أن كلا منهما تأليفكلام ويتميز الشعر عن الكتابة بأن له نمطا خاصا فى التأليف من اشتماله على الأوزان ولكنها يجتمعان فى الذهن فاذا تصور الذهن أحدهما تصور الآخر .

والمراد بالتضايف هو ما يتوقف تعقل كل منهما على تعقل الآخر ، كالعلة والمعلول ، والسبب والمسبب ، والسفل والعلو ، والأقل والأكثر ، ومنه قول الشاعر :

بادر الى الفرصة وانهض لمـا تريد فيها فهى لا تلبث

فالشاهد هنا هو وجود التضايف بين المبادرة والنهوض فان تعقل أحدهما متوقف على تعقل الآخر .

٢ ــ الجامع الوهمى : وهو أن يكون بين تصور الشيئين شـبه تماثل أو تضاد وشبهه والمراد به هو أن العقل يقضى بالجمع بين الشيئين بسبب احتيال الوهم فى تصورهما أى أن هذه الصورة النـاتجة عن الوهم تكون سببا فى اجتماعهما لدى العقل .

والمراد بشبه التماثل : ما اتحدا فى الجنس واختلفا فى النوع مثل البياض والصفرة والخضرة والسواد ، فان الوهم يبرز البياض والصفرة فى معرض المثلين ، وكذا الخضرة والســواد ، يســبق الى الوهم أنهما نوع واحد زيد فى أحدهما عارض بخلاف العقل فانه يعرف أنهما نوعان متباينان داخلان تحت جنس وهو اللون وانما يقضى بالجمع بينهمانتيجة لابراز الوهم لهما فى معرض المثلين واجتهاده فى الجمع بينهما فى المفكرة ومن ثم حسن الجمع بين الثلاثة فى قول الشاعر :

ثــلاثة تشرق الدنيــا ببهجتها شمس الضحى وأبو اسحاق والقمر

فان الوهم يبرزها فى معرض الأمثال ويتوهم أن هذه الثلاثة من نوع واحد ، وانما اختلفت بالعوارض والمشخصات ، بخلاف العقل فانه يعرف أنها أنواع متباينة .

والمراد بالتضاد : هو التقابل بين أمرين وجوديين يتعاقبان على محل واحد بينهما غاية الخلاف ، كالسواد والبياض والايمان والكفر ، والاعطاء والمنع ، والضحك والبكاء ، وما يتصف بها ، كالأسود والأبيض والمؤمن والكافر ، والمعطى والمانع ، والضاحك والباكى .

وقد مرت أمثلة لهذا .

والمراد بشبه التضاد : هو أن لا يكون أحدهما ضـــد الآخر ولا موصوفا بضد ما وصف به الآخر ، ولكن يستلزم كل منهما معنى ينافى ما يستلزمه الآخر ، كالسماء والأرض ، فان السماء يلزم منها أنها فى غاية الارتفاع ويلزم من الأرض أنها فى غاية الانحطاط ، وهذان المعنيان اللازمان متضادان أو متنافيان لكنهما لا تتواردان على المحل لكونهما من الأجسام دون الأعراض .

٣ ــ الجامع الخيالى :

وهو أن تتقارن الأشياء فى الخيال بسبب الالف والعادة مما يترتب عليه اجتماعها لدى العقل : والصور الخيالية تتفاوت تبعا لتفاوت المجتمعات وطبيعتها والفها وعاداتها ، بل تبعا لاختلاف الصناعات والحرف والفنون والآلات ، وغير ذلك ، ومن الجامع الخيالى ما يحكى عن وراق يصف حاله : « عيشى أضيق من محبرة ، وجسمى أدق من مسطرة ، وجاهى أرق من الزجاج ، وخطى أخفى من شق القلم ، وشرابى أشد سوادا من الحبر ، وسوء الحال لى ألزم من الصمغ » .

فهذه الأشياء انعقدت فى خيال الوراق بسبب الفة لها واستخدامها فى الكتابة .

ومنه قوله تعالى « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت ، والى الأرض كيف سطحت » (١) .

وذلك لتقارن هذه الأشياء فى خيالهم لما جرى عليه الفهم وعاداتهم فالابل ينتفعون بأوبارها ولحومها ، ثم يعتمدون عليها فى حلهم وترحالهم طلبا للغيث والكلأ ، والسماء هى مطمح نظرهم فى نزول المطر لسقى ابلهم وأغنامهم ونمو العشب والكلأ الذى ترعاه ، وفى الاهتداء بها الى الطرق عبر الصحراء ، والجبال يتحصنون بها عند شن الغارات التى كانت تحدث بين الحين والآخر بين القبائل ، والأرض يتنقلون فيها من مكان الى آخر .

ومن الجامع الخيالى فى المفردات قوله تعالى : « أمدكم بأنعام وبنين »(٢) .

---

(١) الغاشية الآيات : ١٧ ، ١٨ ، ١٩ .
(٢) الشعراء : ١٣٣ .

يقول الزمخشرى: فان قلت كيف قرن البنين بالأنعام ؟ قلت : هم الذين يعينونهم على حفظها والقيام عليها أى أنهم كانوا أصحاب مواشى وكانوا مهتمين بشأنها محتاجين الى من يعينهم على حفظها ، فمن عليهم بالبنين وجمع بينهم وبين الأنعام كالجمع بين الابل والسماء والجبـال •

محسنات الوصل :

من محسنات الوصل بين الجملتين بعد تحقق الجامع بينهما / توافق الجملتين فى كونهما اسميتين أو فعليتين ، وتوافق الفعليتين فى المضى أو المضارعة وفى الاطلاق والتقييد ولا يحسن العـدول عن ذلك الا لافادة غرض بلاغى يقتضيه المقام •

أ ــ كأن يراد فى احداهما : التجدد والحدوث وفى الأخرى الثبوت والدوام فتأتى احداهما فعلية والأخرى اسمية كما تقول : حضر خالد وهشام غائب اذا أردت أن حضور خالد متجدد وحـادث ، وغيـاب هشام ثابت ومستمر •

ومنه قوله تعالى « سخر الله منهم ولهم عذاب أليم » (١) خولف هنا بين المعطوف والمعطوف عليه حيث كان المعطوف جملة اسـمية ، والمعطوف عليه جملة فعلية للايذان بأن العذاب الأليم وعيد دائم وثابت وأن السخرية متجددة ، كما قال تعالى « أو لا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين ثم يتوبون ولا هم يذكرون » (٢) وعلى هـذا يكون المراد من سخرية الله منهم اختبارهم بكشف سترهم أو بنصر المسلمين عليهم وغير ذلك من ألوان الاختبار ، وكـانت تقع متجددة

---

(١) التوبة : ٧٩ •

(٢) التوبة : ١٢٦ •

متكررة بين الحين والآخر ، أما حلول العذاب بهم فى الآخرة فهو ثابت دائم لا ينقطع عنهم بحال من الأحوال قال تعالى « يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم »(١) •

(ب) وقد يراد فى احداهما المضى وفى الأخرى المضارعة لافادة معنى من المضارع غير ما يفيده الماضى وهو افادة استمرار تجدد الفعل والدوام عليه كما فى قوله تعالى « ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون »(٢) لم تراع الموافقة هنا بين المعطوف والمعطوف عليه فى كونهما ماضيين أو مضارعين فالجملة الأولى « فما استكانوا لربهم » فعلها ماض وهو على ظاهره ، لأنه مرتب على قوله « أخذناهم » والجملة الثانية ، « وما يتضرعون » فعلها مضارع عدل به عن الماضى لتوخى الاستمرار على عدم التضرع ودوام تجدده ومنه قوله تعالى « ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله »(٣) خولف بين الفعلين لافادة أن الصدود منهم مستمر ودائم التجدد ، فقد كان من ديدن الكفار وعاداتهم أن يصدوا الناس عن دين الله ، وعن طريقه المستقيم ويمنعوا المسلمين من الحج والعمرة الى المسجد الحرام كما فعلوا ، عام الحديبية •

(ج) وقد يراد حكاية الحال الماضية واستحضار الحال الفظيعة فى الذهن كما فى قوله تعالى « ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون »(٤) عدل عن الماضى الى المضارع فى الجملة الثانية مع أن القتل كان فى الماضى مثل التكذيب ، لاستحضار تلك الحالة الفظيعة فى النفوس وهى حالة

(١) المائدة : ٣٧ •
(٢) المؤمنون : ٧٦ •
(٣) الحج : ٢٥ •
(٤) البقرة : ٨٧ •

قتلهم رسلهم ، وفيه أيضا مراعاة الفواصل فاكتمل بذلك بلاغة المعنى وحسن النظم وجودة السبك .

(د) وقد يراد الاطلاق فى احدى الجملتين والتقييد فى الأخرى كقوله تعالى « وقالوا لولا أنزل عليه ملك ، ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر »(١) فالجملة الأولى وهى « قالوا لولا أنزل عليه ملك » مطلقة والمعنى : هلا أنزل عليه ملك نشاهده ويخبرنا بصدقه ، والجملة الثانية مقيدة لأنها معطوفة بشرطها وجزائها على جملة « قالوا » بمتعلقها ، والشرط مقيد — للجواب ، اذ المراد أن قضاءه بهلاكهم مقيد بانزال الملك .

(١) الأنعام : ٨ .

الفصل الرابع

الايجاز والاطناب والمساواة

يرى السكاكى(١) أن الايجاز والاطناب من الأمور النسبية التى يكون تعقلها بالقياس الى تعقل شىء آخر ، أى أن الموجز انما يكون موجزا بالنسبة الى كلام أزيد منه ، وكذا المطنب انما يكون مطنبا بالقياس الى كلام أنقص منه وهكذا ... لأنه لا يمكن تحديد مقدار معين من الكلام يقاس عليه الايجاز والاطناب لأن مقادير الكلام تختلف تبعا لاختلاف الثقافات والبيئات والأفراد والمقامات ، فرب كلام موجز بالنسبة الى كلام معين ويكون هو بعينه مطنبا بالنسبة الى كلام آخر ، وكذا المطنب قد يكون مطنبا بالنسبة الى كلام معين ، ويكون هو بعينه موجزا بالنسبة الى كلام آخر ، ولذلك نجد السكاكى يحدد الايجاز والاطناب والمساواة بالنسبة الى أمرين وهما :

١ ـ الكلام العرفى أى الذى تعارفت عليه أوساط الناس .

٢ ـ الكلام الذى يقتضيه ظاهر المقام .

وعلى هذا فتعريف كل من الايجاز والاطناب والمساواة عند السكاكى أن يقال :

الايجاز : أداء المقصود بعبارة أقل من عبارة المتعارف أو أقل من العبارة اللائقة بالمقام بحسب مقتضى الظاهر .

والاطناب : أداء المقصود بأكثر من عبارة المتعارف ، أو بأكثر من العبارة اللائقة بالمقام بحسب مقتضى الظاهر .

---

(١) انظر المفتاح : ١٣٣ .

والمساواة : أداء المقصود بعبارة متساوية لما تعارف عليه أوساط الناس أو مساوية لما يقتضيه ظاهر المقام . فقوله تعالى « رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا » (١) اطنـاب بالنسبة الى عبـارة المتعارف لأن أصل الكلام الذى هو متعارف الأوساط أن يقال فى التعبير عن هذا المعنى « انى شخت » ولكنه ايجـاز بالنسبة الى ما يقتضـيه المقام لأنه مقام المناجاة ، وبث الشكوى مما يضيق به صدره من انقراض الشباب وحلول المشيب به وآخذه منه كل مأخذ مما أوهى بدنه وأضعف قواه ، وهذا المقام يقتضى أن يبسط فيه الكلام غاية البسط، بأن يستفيض فى وصف ما آلت اليه حاله من الكبر والشيخوخة حتى يعبر عمـا فى نفسه مما يعانيه ولكى يطمئن قلبه وتهدأ نفسـه حين يعهد بأعبـائه الثقيلة الى من هو أقوى وأقدر فستشعر حملته به ولا يخيب رجاؤه فيه بتفويض الأمر اليه .

فبهذا الاعتبار يصير الكلام الذى حكاه الله عن زكريا — عليـه السلام — موجزا ، لأن المقام خليق بأبسط مما ذكر كما بينا .

والخطيب ذكر تعريف السكاكى للايجاز والاطناب والمساواة ولكنه لم يعـتد به لأنه لا يمكن تحـديد مقدار متعـارف الأوساط وكيفيته لاختلاف طبقـاتهم ، ولا يمكن أيضـا تحديد مقادير الكلام بالنسـبة للمقامات المتباينة ، والتى لا تدخل تحت الحصر حتى يقاس عليهـا ، ويحكم بأن المذكور أقـل منه أو أكـثر ، ولذلك فان الخطيب عـرف المساواة بقوله : (هى تأدية أصل المعنى بلفظ مساو له) (٢) ، وهى الأصل المقيس عليه اذ هى الحد الوسط بين الايجاز والاطنـاب مثل

---

(١) مريم : ٤ .

(٢) بغية الايضاح ١١٠/٢ .

قوله تعالى « ولا يحيق المكر السيء الا بأهله »(١) أى أن مكرهم السيء لا يصيب أحدا الا أنفسهم .

ولا أرى وجها فى جعل هذه الآية مثلا للمساواة ، آنها اسـلوب قصر بالنفى والاستثناء ، وقد سبق أن قلنا : من أهم أغراض القصر « الايجاز » لأنه فى قوة جملتين احداهما مثبتة والأخـرى منفية ، فبهذا الاعتبار يمكن عدها من الايجاز فضلا عما فيها من حذف المضاف اذ المعنى « ولا يحيق جـزاء المكر السيء الا بأهله » ، وقد عدهـا أبو هلال العسكرى من الايجاز فى كتاب الصناعتين ، وقد تقـع هذه الجملة تذييلا لما قبلهـا من الآية « اسـتكبارا فى الأرض ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء الا بأهله » فتكون لونا من ألوان الاطنـاب كما سـيأتى .

وعلى هذا فان هذه الجملة بالنظر الى ذاتهـا : ايجاز لأنهـا اسلوب قصر ، وبالنظر الى ما قبلها من الآية اطناب بالتذليل .

ومثال المساواة قول النابغة الذبيانى :

فانك كالليل الذى هـو مدركى ... وان خلت أن المنتـأى عنك واسع يخاطب النـابغة فى هذا البيت : النعمـان بن المنذر يقـول : لا مهرب ولا منجى منك مهما أمعنت فى الفرار وأبعدت فى الهـرب ، لأنك كالليل الذى هو مدركى لا محالة ، وذلك لسـعة ملكك وشـمول سلطانك وقوة نفوذك من حيث ان لك مطيعا لأوامرك يرد الهارب اليك فى كل مكان .

فالمراد بالمساواة أن يكون اللفظ بمقدار أصل المراد لا ناقصا عنه ولا زائدا عليه .

---

(١) سورة فاطر : ٤٣ .

وعرف الايجاز بقوله (أن يؤدى المعنى المراد بعبارة أقل منه ، على أن يكون اللفظ وافيا بالمعنى المقصود) ، فان لم يكن اللفظ وافيا بالمعنى المراد كان ذلك اخلالا بالمعنى وخرج عن كونه ايجازا كما فى قول الحارث بن حلزة :

والعيش خير فى ظلال النـــو ك ممن عاش كدا

فأصل المراد : أن العيش الناعم فى ظلال الحمق والجهالة خير من العيش الشاق فى ظلال العقل ، فدلالة الألفـــاظ فى البيت غير وافيـــة بالمعنى المراد ، اذ لا دلالة فى البيت على النعومة والعقل .

ويرى بعض البلاغيين أنه لا اخلال فى البيت بالمعنى ، لأنه قد اشتهر وتعورف أن العيش المعتد به أعنى العيش الناعم انما هو عيش الجملة الحمقى دون العقلاء المتأملين فى عواقب الأمور ، فجعل مطلق العيش فى ظلال النوك كناية عن العيش الناعم ، والعيش الشاق كناية عن عيش العقلاء المتحيرين فى أمورهم ، وأشار بألطف وجه الى أن العيش فى ظلال الجهل والحماقة لا يكون الا ناعما ، وأن العيش الشاق لا يكون الا عيش العـــاقل حتى انه لو ذكر « الناعم » والعقـــل لكان كالتكرار . وأرى أن المعنى الكنائى المفهوم من البيت فيه بعد وغموض يتعسر على الفهم ادراكه ، ويبقى الاخلال حاصلا فى البيت كما هو رأى الخطيب .

والايجـــاز ضربان :

١ ــ ايجاز قصر . ٢ ــ ايجاز حذف .

١ ــ فأما ايجاز القصر :

فهو دلالة اللفظ القليل على المعانى الكثيرة من غير حذف فى التركيب الدال على هذه المعانى .

وهذا النوع من الايجاز هو من جوامع الكلم ودقائق الحكم ، وله فى البلاغة موقع عظيم ، وأثر جليل ، لا يرتقى اليه الا من كانت له قدم راسخة فى فن الحكمة والبيان : وقد اشتمل كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله — ﷺ — على الكثير منـــه ، حتى ان بعض الآيـــات الجـــامعة للمعانى الكثيرة لفتت أنظار المسلمين ، وغيرهم ، وكانت سببا فى اسلام بعض دهاقين الروم منها قوله تعالى « ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفـــائزون » هذه الآية فيها ايجاز بدون حذف لأنها جمعت أسباب الفوز فى الدارين ، فقد روى أن عمر — رضى الله عنه — بينما هو قـــائم فى مســـجد النبى — ﷺ — واذا رجـــل من دهاقين الروم قائم على رأسه وهو يقول « أنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، فقال له عمر : ما شأنك ؟ قال : أسلمت لله ، قال : هل لهذا سبب ؟ قال : نعم ، انى قرأت التـــوراة والزبور والانجيل وكثيرا من كتب الأنبياء ، فسمعت أسيرا يقرأ آية من القرآن جمع فيها كل ما فى الكتب المتقدمة ، فعلمت انه من عند الله فأسلمت ، قال : ما هذه الآية ؟ قال : قوله تعالى : « ومن يطع الله » أى فى الفرائض ، ورسوله أى فى السنن « يخشى الله » أى فيما مضى من عمره ، « وتيقة أى فيما بقى من عمـــره » ، فأولئك هم الفـــائزون والفـــائز من نجا من النـــار وأدخل الجنـــة . فقال عمر : قال النبى — ﷺ — « أوتيت جوامع الكلم »(٢) .

ومن أمثلة ايجاز القصر التى حيرت البلغاء ولوت أعناق جهـــابذة الفصحاء قوله تعالى « ولكم فى القصاص حياة »(٣) وذلك أن العرب لما بلغوا الذروة فى الفصاحة والبلاغة ، وانعقدت الزعامة للغة قريش

(١) سورة النور : ٥٣ .
(٢) الجامع لاحكام القرآن الجزء الثانى عشر ص ٢٩٥ .
(٣) البقرة :١٧٩ .

اشتد التنافس فى أيهم يستطيع أن يأتى بجملة واحدة تحوى من المعانى الجمة ما لم يسبق به ، فقال بعضهم فى المعنى الباعث على تقليل القتل ظلما أو نفيه بالكلية هذه العبارة « كثرة القتل تقلل القتل » ، وقال آخر « قتل البعض أحياء الجميع » وقال ثالث : « القتل أنفى للقتل » فأعجب الجميع بايجاز هذه العبارة الأخيرة وبلاغتها ، وظنوا انه ليس فى الوسع والطاقة الوصول الى أبلغ من هذه العبارة فى ايجازها •

فلما أذن الله لهذا الدين الخالد أن تشرق شمسه ، وأن ينزل كتاب الله الكريم على رسوله — ﷺ — الذى أعجز الانس والجن جميعا جاء فيه بجملة موجزة تعرضت لهذا المعنى الذى حاولوا أن يوجزوه فى أفصح عبارة وأقصرها وصلت اليها قدرتهم ، وهى قوله تعالى « ولكم فى القصاص حياة ، فلما قارنوها بما يفخرون به من أوجز عبارة فى هذا المعنى وهى قولهم « القتل أنفى للقتل » أدركوا مدى بلاغة الآية ووجازتها فخروا لها ساجدين •

وذلك لأن هذه الجملة اندرج تحتها معان كثيرة بدون أن يكون فيها لفظ محذوف فالمعنى : أن الانسان اذا علم أنه متى قتل قتل كان ذلك داعيا الى أن لا يقدم على القتل ، فارتفع بالقتل الذى هو القصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض فكان فى ارتفاع القتل حياة لهم جميعا ، وتدل لام الجنس الداخلة فى القصاص على حقيقة هذا الحكم ، اذ هو يشتمل على القتل والجرح والضرب وسائر الحرمات وما يجرى مجراها ، لأن الله تعالى « سمى عقوبة من يجرح أحد جرحا عمدا عدوانا سماها قصاصا بأن يجرح ذلك الجارح مثل ما جرح غيره ، كما قال تعالى « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين ، والأنف بالأنف ، والاذن بالاذن ، والسن بالسن

والجروح قصاص »(١) ، وسمى أيضا معاملة المعتدى بمثل جرمه قصاصا قال تعالى « والحرمات قصاص » ، كل هذه المعانى أفادتها لفظة « القصاص » بما اندرج تحت جنسها من سائر أنواع القصاص مما هو مذكور فى كتاب الفقه من التقسيمات والتحليلات وبيان الأحكام ، هذا بالاضافة الى ما ذكره العلماء من فروق كثيرة ومميزات يمتاز بها النظم الكريم فى هذه الجملة عن قول العرب « القتل أنفى للقتل » حتى وصلت عند بعضهم الى عشرين فرقا ، ولكننا نكتفى منها بالآتى :

١ — أن جملة القرآن التى تناظر قول العرب « القتل أنفى للقل » هى « فى القصاص حياة » أما قوله تعالى « ولكم » فلا مدخل له فى المناظرة لكونه زائدا على معنى قولهم ، والجملة القرآنية أقل حروفا من مأثور قولهم ، اذ هى عشرة حروف لأن المعتبر فى الايجاز هو الحروف الملفوظة لا المكتوبة وهى : « الفاء » و « اللام » فى كلمتى « فى » و « القصاص » لأن الياء فى كلمة « فى » والألف فى كلمة « القصاص » لا ينطق بهما ، والثالث « القاف » ، والرابع « الصاد » والخامس « الألف » ، والسادس « الصاد » الثانية ، والسابع « الحاء » ، والثامن « الياء » ، والتاسع « الألف » والعاشر « التاء » المربوطة ، أما قولهم فيشتمل على أربعة عشر حرفا .

٢ — أن فى عبارة القرآن طباقا بديعا وهو الجمع بين لفظين متضادين وهما « القصاص » الذى هو قتل القاتل و « حياة » ، والقتل والحياة متضادتان .

٣ — خلو عبارة القرآن من التكرار بخلاف قولهم فانه يشتمل

---

(١) المائدة : ٤٥ .

على تكرار القتل مع تقارب اللفظين المكررين وهو من العيوب المخلة بفصاحة الكلام .

٤ ـ أن القصاص جعل ظرفا ومكانا للحياة ، ومن الحسن والابداع والغرابة أن يجعل الشيء ظرفا لضده ، والشأن فى المظروف اذا حواه الظرف أنه يصونه من الضياع فكأن القصاص حفظ للحياة من الهلاك ، وفى هذا المعنى يقول العلامة جار الله الزمخشرى : « هو كلام فصيح لما فيه من الغرابة ، وهو أن القصاص قتل وتفويت للحياة وقد جعل مكانا وظرفا للحياة » .

٥ ـ أن عبارة العرب لا تفيد الا الردع عن القتل فقط ، وعبارة القرآن تفيده ، وتزيد عليه الردع عن كل تعد يحدث جراحا ، أو ينتهك حرمة ، وقد تقدم ما يشير الى ذلك فى قوله تعالى « والجروح قصاص » وقوله تعالى « والحرمات قصاص » اذ المراد بلفظ « حياة » التى جعلت مظروفا للقصاص هى الحياة الطيبة التى لا تكون الا بجسم سليم من كل ما ينقصه ، وينغص على صاحبه ، وبهذا تكون الآية أكثر فائدة من عبارتهم لاتساع مدلولها على نحو ما بينا .

٦ ـ أن عبارتهم تفيد معنى فاسدا وهو أن كل قتل ينفى القتل ولا شك أن القتل ظلما لا يكون أنفى للقتل ، بل يكون سببا لزيادته وانتشاره ، اذ ان من عادة العرب فى الجاهلية أن القبيلة القوية تعتدى على القبيلة الضعيفة وتسرف فى قتل رجالها لتضعف من قوتها حتى لا تقدر على أخذ ثأرها، فدل لفظ « القصاص » على ابطال التكايل بالدماء ، وعلى ابطال قتل واحد من قبيلة القاتل اذا لم يظفروا بالقاتل ، وعلى ابطال ما كان سائدا لديهم من اهمال دم الوضيع اذا قتله الشريف ، واهمال حق الضعيف اذا قتله القوى وعلى ابطال ما كانوا يعتبرونه من تفاوت قيمة الدماء بحسب تفاوت السؤدد والشرف اذ كان من قياسهم الفاسد أنهم قد يقتلون غير القاتل اذا

كان القـاتل غير كفء للمقتول ، فاذا قتـل الوضـيع الشريف فانهم لا يرضون بقتله ازاء الشريف ولا تهدأ ثورتهم الا اذا قتلوا شريفـا مثـله ٠

كل هذه المفاسد والمظالم أبطلها وقضى عليها لفظ القصـاص ، ووضع كل شيء فى موضعه الصحيح من العدل الالهى ، فشتان ما بين هذا الظلم الفادح وبين ذلك العدل المحكم ٠

٧ ـ ما يفيـده تنكير « حياة » فى الجمـلة القرآنية من معـان يقتضيها المقام اذ يفيد التعظيم ، أى أن فى القصاص حياة لكم بارتداع الناس عن قتل النفوس ، فلو أهمل حكم القصاص لما ارتدع الناس وأقدموا على القتل مستخفين بالعقـوبات ففى مشروعية القصـاص حياة عظيمة من الجانبين اذ أن من يهم بالقتل اذا علم ن وراءه قصاصا عادلا فانه يخشى أن يناله فيكف عن القتل ويحفظ نفسـه ونفس من كان يريد قتله من الهلاك ، ويفيد التنكير أيضا التكثير لأننا اذا ضممنا الى حياة هاتين النفسين حياة أنفس كثيرة على نحو ما ذكرنا مما كان عليه الجاهلية من قتل عدة أنفس فى نفس واحدة ، فان ذلك يستفاد من لفظ « حياة »ويفيد التنكير أيضا النوعية أى لكم فى القصـاص نوع خاص من الحياة الحاصلة بالارتداع ٠

٨ ـ أن الجملة القرآنية نصت صراحة على المطلوب وهو الحيـاة اذ المراد من القصاص هو حفظ الأنفس ، من الهلاك ، بخلاف قولهم فانه لا يشتمل على التصريح بها ٠

٩ ـ استغناء قوله تعالى « ولكم فى القصاص حياة » عن تقدير محذوف بخلاف قولهم فانه يحتاج اليه اذ المراد : القتل أنفى للقتـل من تركه ٠

١٠ ــ خلو الاية القرآنية عن التناقض بخلاف ما يشتمل عليه قولهم من التناقض بحسب الظاهر ، وهى أن الشىء ينفى نفسه •

كل هذه الفروق والمزايا استفيدت من الجملة بتمامها مما جعل هذا النظم المحكم يقهر أعناق الجبابرة ويخرس ألسنتهم عن المعارضة لبلوغه حد الاعجاز ، ولذا فانه تعالى اتبع هذه الجملة بقوله « يا أولى الألباب » لينبه أصحاب العقول السليمة لكى يستيقظوا من غفلتهم وينشطوا عقولهم فى التأمل فى مشروعية القصاص وحكمة السامية فانه لا يدركها الا أهل النظر الصحيح ، والفطرة المستقيمة •

ومن ايجاز القصر قوله تعالى « ألا له الخلق والأمر »(١) اذ هى تفيد قصر جنس الخلق وجنس الأمر على الكون فى ملك الله ايجادا وملكا وتصريفا ، ولذلك افتتحت الجملة بحرف التنبيه لكى تنبه السامعين لكى يعوا ما ينطوى عليه هذا الكلام الجامع من معان وأحكام •

ومنه قوله تعالى « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » (٢) فهذه الآية جمعت كثيرا من مكارم الأخلاق من العفو ، والصفح ، والتسامح ، وصلة الرحم ، والاغضاء عن اساءتهم ، ومد يد العون لهم ، وفى الاعراض عن الجاهلين معنى الحلم والصفح والأناة والصبر وعدم الجدال معهم •

ايجاز الحذف :

نوه به الشيخ عبد القاهر وأبان عن قيمته فقال :

« هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ ، عجيب الأمر شبيه بالسحر

---

(١) الأعراف : ٥٤ •

(٢) الأعراف : ١٩٩ •

فانك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الافادة أزيد للافادة ، وتجدك أنطق ما تكون اذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بيانا اذا لم تبن » (١) .

والايجاز والحذف :

هو ما كان الغرض منه اكثار المعنى مع حذف شيء من التركيب .

والمحذوف اما جزء جملة أو جملة أو أكثر ، فجزء الجملة يشمل العمدة والفضلة مثل المبتدأ والخبر والفاعل ، والصفة والموصوف والمضاف ، والشرط وجوابه والقسم وجوابه ، والمفعول به والظرف ، والجار والمجرور وغير ذلك من المتعلقات .

حذف المسند اليه :

أورد الشيخ عبد القاهر أمثلة كثيرة لحذف المسند اليه منها ما قاله الأقيشر الأسدى فى ابن عم موسر ، سأله فمنعه ، وقال : كم أعطيك مالى وأنت تنفقه فيما لا يعنيك ، والله لا أعطيك فتركه حتى اجتمع القوم فى ناديهم وهو فيهم فشكاه الى القوم وذمه ، فوثب اليه ابن عمه فلطمه فأنشأ يقول :

سريع الى ابن العم يلطم وجهه ... وليس الى داعى الندى بسريع
حريص على الدنيا مضيع لديه ... وليس لما فى بيته بمضيع

فقوله سريع فى البيت الأول خبر لمبتدأ محذوف تقديره « هو » أى هو سريع ، و « حريص » فى البيت الثانى خبر لمبتدأ محذوف أيضا تقديره « هو » أى « هو حريص » فالشاعر هنا فى هذا المقام يستبد به الألم ، وتسيطر عليه المشاعر الحزينة الثائرة من أثر اعتداء ابن عمه عليه ، وهذا التأثير النفسى المؤلم يقتضى من الشاعر أن لا يذكر اسم

---

(١) دلائل الاعجاز : ١٠٤ .

ابن عمه لصون اللسان عن ذكره ، مع افادة معنى الاختصار والسياق يدل على المحذوف اذ هو ينشد القوم وابن عمه فيهم ، فترك الذكر هنا أفصح من الذكر كما قال الشيخ عبد القاهر .

ومن المسند اليه اسم كان فانه قد ورد حذفه ليبهم أمره على المخاطبين فتذهب النفس فى تقديره كل مذهب كما فى قوله تعالى « فقد كذبتم فسوف يكون لزاما »(١) أى فسوف يكون جزاء التكذيب لزاما أى ملازما لكم ، فلو ذكر لكان نصا فى المذكور ، ولكن حذفه يؤدى الى ثراء المعنى بأن تذهب النفس فى تقديره كل مذهب بأن يرد عليها معان كثيرة محتملة لا يحيط بها الوصف ولذلك يقول الزمخشرى فى تفسير هذه الآية « والوجه أن ترك اسم كان غير منطوق به بعد ما علم انه مما توعد به الأجل الابهام وتناول ما لا يكتنهه الوصف(٢)» فمقام الوعيد يقتضى هذا الحذف .

حذف المسند :

كما فى قوله تعالى « والله ورسوله أحق أن يرضوه » ورد فى هذه الآية وجهان من الاعراب يتضح المحذوف منهما .

الأول : ما ورد عن أبى البقاء العكبرى اذ قال : « الله » مبتدأ و « أحق » خبره ، والرسول ، مبتدأ ثان ، وخبره محذوف دل عليه خبر الأول »(٣) ، والتقدير والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك .

الثانى : ما ورد عن سيبويه اذ قال « الله » مبتدأ ، والرسول

---

(١) الفرقان : ٧٧ .

(٢) الكشاف ١٠٣/٣ .

(٣) املاء ما من به الرحمن لأبى البقاء العكبرى على هامش الفتوحات الالهية ١٦٧/٣ ، والآية فى التوبة ٦٢ .

مبتدأ ثان وأحق أن يرضوه خبر المبتدأ الثانى ، وخبر الأول محــذوف والتقدير والله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه فحــذف خبر الأول لدلالة الثانى عليه ، فعلى كلا الوجهين الخبر محــذوف ، ولكن المحذوف فى الوجه الأول خبر المبتدأ الثانى ، وفى الوجه الثانى : خبر المبتدأ الأول :

وسر الحذف : هو الاحتراز عن التكرار غير المفيد ، وللدلالة على أن ارضاء الرسول من رضا الله تعالى ، فهما أحق بالارضاء بدلالــة افراد الضمير فى « يرضوه » وبدليل ما ورد فى آيــة أخرى فى قولــه تعالى « ومن يطع الرسول فقد أطاع الله »(١) .

ومنه قول الشــاعر :

نحن بما عندنا وأنت بما عنــ ـــدك راض والرأى مختلف

فالمحذوف هنا هو خبر المبتدأ الأول « نحن » لدلالة خبر المبتدأ الثانى عليه ، والتقدير : نحن راضون بما عندنا وأنت راض بما عندك من الرأى .

وسر الحذف هنا هو ارادة الاختصار والاحتراز عن العبث بعــدم التكرار مع ضيق المقام أى مقام الشعر لالتزامه بالوزن العــروضى ، وعدم استعداد المخاطب لقبول الكلام .

ومما يحتمل أن يكون من حذف المبتدأ أو من حذف الخبر ما ورد فى قوله تعالى « واقســموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قــل لا تقسموا طاعة معروفة»(٢) الشاهد فى قوله تعالى « طاعة معروفة» فهى تحتمل أن تكون خبرا لمبتدأ محذوف ، أو مبتدأ محذوف الخبر .

---

(١) النساء : ٨٠ .
(٢) النور : ٥٣ .

ويستفاد من هذا الحذف ثلاثة وجوه من المعانى ، وجهان على تقدير حذف المبتدأ ، ووجه على تقدير حذف الخبر وهى :

الأول : هو أن قوله تعالى « طاعة معروفة » يمكن أن يراد به ما عليه حال المنافقين فى كل أمر يوجه اليهم من رسول الله ـ ﷺ ـ وهو الطاعة باللسان دون مواطأة القلب ، ودون مباشرة الفعل على الوجه الصحيح يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم ، وتقدير المبتدأ المحذوف هنا أن يقال : طاعتكم طاعة معروفة أى بالكذب والنفاق ، فهى معلومة لدينا لا تحتاج الى حلف و توكيد كما تقول لمن تعلم عليه الكذب وهو مشهور به : لا تحلف لى على صدقك ، فكذبك معروف لدى وثابت لا يحتاج الى دليل .

الثانى : انه قد يراد من قوله « طاعة معروفة » انها معلومة ظاهرة ليس فيها شك ولا ارتياب يوافق ظاهرها باطنها كطاعة الخلص من المؤمنين ، وتقدير المبتدأ أيضا على هذا الوجه أن يقال أمركم والذى يطلب منكم طاعة معروفة بالصدق والاخلاص ، لا هذه الأيمان التى تقسمون بها كذبا ونفاقا .

الثالث : على تقدير حذف الخبر أن يقال : طاعة معروفة أمثل وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة .

فأنت ترى أن هذه الوجوه والمعانى اللطيفة متفرعة على بيان المراد من وصف الطاعة بكلمة « معروفة » وتستفاد من الآية على تقدير المحذوف ويمكن أن تكون مرادة كلها ، ولا تناقض بينها ، وهذه ميزة انفرد بها كلام الله تعالى لأنه جمال أوجه ، ففى الحذف كما ترى ـ تكثير للفائدة بامكان حمل الكلام على كل من هذه المعانى بخلاف ما لو ذكر فانه يكون نصا فى احدها .

ونظير هذه الآية قوله تعالى « فصبر جميل »(١) أى فأمرى صبر جميل ، أو صبرى صبر جميل على تقدير حذف المبتدأ • وصبر جميل أمثل أولى بى من غيره على تقدير حذف الخبر •

حـــذف الفعل :

يحذف الفعل لدواع متعددة ذكرت فى « حذف المسند » مما درسته سابقا ، نكتفى بواحد منها وهو :

ان الفعل قد يحذف اذا وقع فى جواب سؤال محقق أو مقدر ، فالأول : فى قوله تعـــالى « وقيل للذين اتقوا مـــاذا أنزل ربكم قالوا خيرا »(٢) فقد حذف الفعل فى الجواب لأن « خيرا » مفعول به لفعل محذوف وتقديره « أنزل خيرا » والذى سوغ الحذف هنا التصـــريح بالفعل فى الســـؤال المذكور فأغنى ذكره فى الجواب ودل عليه • وسر الحذف هنا هو الايجاز مع الوفاء بالمعنى •

والثانى : وهو وقوعه فى جواب سؤال مقدر كما فى :

قـــول الشاعر :

ليبك يزيد ضارع لخصومه ومختبط مما تطيح الطوائح

الشاهد هنا فى « ضارع » فـــانه فاعل لفعل محذوف تقـــديره : يبكيه ضارع ، وهو على تقدير ســـؤال ، فكأنه قيل من يبكيه ؟ فقيل ضارع أى يبكيه ضارع ومختبط •

حـــذف المضاف :

يحذف المضاف واقامة المضاف اليه مقـــامه لوجود ما يدل عليه كما فى قوله تعالى « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب

---

(١) يوسف : ١٨ •
(٢) النحل : ٣٠ •

ولكن البر من اتقى »(١) فقوله تعالى « ولكن البر من اتقى » عـــلى حذف مضاف تقديره : ولكن البر بر من اتقى فحذف المضـــاف وهو « بر » لوجود ما يدل عليه من لفظ البر فى الكلام السابق .

ومنه قوله تعالى « حتى اذا فتحت يأجـــوج ومأجوج »(٢) أى سعد يأجوج ومأجوج .

حـــذف المضاف اليه :

وهو أقل استعمالا من حذف المضاف كما فى قوله تعـــالى « لله الأمر من قبل ومن بعد »(٣) أى من قبل ذلك ومن بعده ، اشارة الى ما ذكر فى قوله تعـــالى « غلبت الروم فى أدنى الأرض » أى من قبل الغلب ومن بعده .

ومنه قوله تعالى «وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر»(٤) أى بعشر ليـــال .

حـــذف الموصوف :

حذف الموصوف وابقاء صفته كثير بخلاف حذف الصفة وابقـــاء الموصوف فانه قليل .

ومن أبلغ ما ورد فى حذف الموصوف قوله تعالى « ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم »(٥) لما فى حذفه من الابهام الذى يشتمل على فخامة تفقد مع ايضاحه ، يقول الزمخشرى : « للتى هى أقوم » أى

---

(١) البقرة : ١٧٧ .
(٢) الأنبياء : ٩٦ .
(٣) الروم : ٤ .
(٤) الأعراف : ١٤٢ .
(٥) الاسراء : ٩ .

للحالة التى هى أقوم الحالات وأسدها ، أو للملة التى هى أقوم الملل أو للطريقة التى هى أقوم الطرق(١) .. وغير ذلك مما لا يمكنك حصر تقديره ، ولذلك يقول العلامة الزمخشرى رحمه الله « وأينما قدرت لم تجد مع الاثبات ذوق البلاغة الذى تجده مع الحذف ، لما فى ابهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع ايضاحه « لأنك اذا لم تذكر هذه المقدرات التى قدرها الزمخشرى بقى اللفظ مبهما صالحا لأن يتناول كلا منها وما شاكلها وغير ذلك مما لا يدخل تحت الحصر .

ولتوضيح ذلك أقول : ان القرآن الكريم جاء لهداية البشرية واقامة ما أعوج منها بسبب الانحراف عن طريق الحق ، فهو شامل لهداية أقوام وأجيال متعاقبة فى كل زمان ومكان الى أن تقوم الساعة ، وشامل لاصلاح أمورهم فى دينهم ودنياهم ، وشامل لتقويم علاقاتهم بعضهم مع بعض فى معاملاتهم ، وأحوالهم الاجتماعية ، والاقتصادية على الوجه الأمثل ، وغير ذلك مما يضيق عن ذكره هذا المقام . فالأمور التى جاء القرآن لاقامتها على الوجه الأكمل كثيرة جدا بحيث يصعب حصرها ، فلو ذكر الموصوف لقيد بما ذكر ، ولكن فى حذفه واطلاق صفته المشتملة على اسم الموصول مع صلته — دلالة قوية على أن القرآن قيم على كل شىء ، فكأن الله تعالى يقول : هاتوا كل ما ينطبق عليه انه أقوم مما يدخل تحت حصركم ، ومما لا يدخل فالقرآن يهدى اليه .

ومن حذف الموصوف أيضا قوله تعالى « وحملناه على ذات ألواح ودسر »(٢) أى على سفينة ذات ألواح ، فذكر الألواح والدسر دلالة على أن المحمول عليها هى السفينة ، ولو ذكر الموصوف لكان فى الكلام

---

(١) الكشاف : ٤٣٩/٢ .

(٢) القمر : ١٣ .

تطويل بدون داع ، ولو ذكر وحذفت الصفة فقيل : وحملناه على سفينة « لاختلت الفاصـلة ولفات الغرض من ذكـر الوصف وهو التقليـل من شـأنها » .

حـذف الصفة :

وهو قليل كما ذكرنا ومثـاله قوله تعالى « وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصـبا »(١) حذفت صفة السفينة هنـا وتقديرها : سليمة ، أو صـحيحة أو غير معيبة لدلالة قوله تعـالى « فأردت أن أعيبهـا » فانه يدل عـلى أن الملك كان يأخذ السفن السـليمة ويترك المعيبة ـــ اغتصابا من أهلها . ومما يعضد هذا الحذف قراءة ابن عباس وابن جبـير « صـحيحة » أى يأخذ كل سفينة صـحيحة غصبا وقرأ ابن عباس وعثمان « صالحة أى يأخذ كل سفينة صالحة غصبا » .

وقد تحذف الصفة اذا وجد فى السياق ما يدل عليها من تعظـيم أو تفخيم ونحوه ، كقولك فى مقام مدح محمد : قابلت محمدا بالأمس وكان ولله رجلا أى رجلا فاضلا و كريما .

ومنه فى الحديث الشريف « لا صلاة لجار المسجد الا فى المسجد» أى لا صلاة كاملة أو تامة ، ونحو ذلك .

حـذف الشرط :

كما فى قوله تعالى : « ان أرضى واسـعة فاياى فاعبدون »(٢) فالفاء هنا داخلة لمعنى الشرط أى أنهـا داخلة على جـواب الشرط ، وشرطه محذوف والتقدير : ان لم تقدروا على عبادتى بأرض فاعبدونى فى غيرها ، وفى تقديم المفعول « اياى » على عامله فى جملة الجـواب

---

(١) الكهف : ٧٩ .
(٢) العنكبوت : ٥٦ .

افادة معنى الاختصاص بالاخلاص له تعـالى فى العبادة ، وعلى هذا يمكن تقـدير الشرط هكذا : فان لم تخلصـوا لى العبـادة فى أرض فأخلصوها فى غيرها ومنه قوله تعالى « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا »(١) الفاء الأولى فى قوله : فبذلك « هى فاء الفصيحة ، وهى التى تفصح عن شرط مقدر ، والفاء الثانية فى « فليفرحوا » واقعـة فى جواب الشرط للربط بين الشرط والجواب ، لأنه طلبى ، والتقدير : ان فرحوا بشىء فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به أحق منها »(٢) وهما « فضل الله ورحمته » ، وفى تقديم الجار والمجرور على الفعل افادة معنى الاختصاص أى اختصاص الفرح بفضله ورحمته ، وهو قصر مبالغ فيه لأن سـبل الفرح كثيرة فى الدنيا بالأمـوال والأولاد وغيرهما من متع الحياة الا انه يجب ألا يعتـد بالفرح بهذه الأشـياء التى يجمعونها فى الدنيا ، وأن يكون فضل الله ورحمته هو خير ممـا يجمعون • وفى التعبير باسم الاشارة للبعيد فى قوله تعالى « فبذلك » تنبيه على عظم فضل الله ورحمتـه وبعد مكانتهما لشمولهما جميـع المخلوقات قال تعالى « ورحمتى وسعت كل شىء » •

وقد يحذف الشرط للمفاجأة بالجزاء والالتفات بالخطاب للدلالة على قوة التعبـير كما فى قوله تعالى « فقد كذبوكم بما تقـولون »(٣) فالفاء هنا داخلة لمعنى الشرط أيضا ، وتقدير جملة الشرط أن يقال : أن قلتم انهم — أى الأصنام أو الملائكة أو المسيح أو عزيز — آلهتنا ومعبودنا فقد كذبوكم أيها الكفار ، فترك الشرط وفوجئوا بالجـزاء • وهذا الانتقال المفاجىء له أثر كبير فى قوة الاحتجاج والزام المعاندين

---

(١) يونس : ٥٨ •

(٢) الكشاف ٢٤٢/٢ •

(٣) الفرقان : ١٩ •

الجاحدين وافحامهم بعد الحوار الدائر بين الكفار ومن يعبدونهم من دون الله من الملائكة والمسيح والعزير ، أو بينهم وبين الأصنام ، بأن يخلق الله فيها النطق ، وقد جاءت قوة التعبير بالخطاب من الالتفات من الغيبة الى الخطاب ، «وقد» التى تفيد تحقق الفعل بعدها والتعبير بالماضى عن المضارع للدلالة على تحقق حصول التكذيب وكأنه وقع بالفعل لأن ما أخبر الله به كائن لا محالة •

حذف جواب الشرط :

يحذف جواب الشرط للأغراض الآتية :

١ — افادة مجرد الاختصار لوجود ما يدل على المحذوف مثل قوله تعالى « واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون »(١) أى « أعرضوا » بدليل ما بعده وهو قوله تعالى « وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين » • ومنه قوله تعالى « ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى »(٢) فقد حذف فى الآية الكريمة جواب « لو » ايجازا والتقدير « لكان هذا القرآن » ، لأنه معلوم من السياق •

(ب) افادة أنه شىء لا يحيط به الوصف ، أو لتذهب نفس السامع

كل مذهب ممكن فى تقديره فيترتب على ذلك ثراء فى المعنى مع الايجاز ، بخلاف ما لو ذكر فانه يتعين • مثاله وقوله تعالى « ولو ترى اذ وقفوا على النار »(٣) وقوله تعالى « ولو ترى اذ

---

(١) يس : ٤٥ •

(٢) الرعد : ٣١ •

(٣) الأنعام : ٢٧ •

المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم »(١) وتقدير الجواب فى الآيتين : « لرأيت أمرا فظيعا لا يدرك كنهه ولا يمكن أن يحيط به وصف » .

والحذف فيهما أبلغ فى المعنى من الذكر،ألا ترى انك لو قلت لغلامك العاصى « والله لئن قمت اليك » وسكت عن الجواب ذهب بفكرة الى أنواع كثيرة من المكروه من الضرب والقتل والكسر ... الخ،ومن ثم يعظم الخوف عنده ، لأنه لم يدر أى أنواع المكروه تبغى ، ولكن اذا ذكرت الجواب بأن قلت « والله لئن قمت لأضربنك » لعلم من تحديد الجزاء أنك لم تبغ شيئا غير الضرب ، ولا يخطر بباله نوع من المكروه سواه فثبت أن حذف الجواب أقوى تأثيرا فى حصول الخوف من ذكره .

(ج) وقد يحذف جواب الشرط اكتفاء بعلته كما فى قوله تعالى «فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا»(٢) فجواب الشرط هنا محذوف تقديره « فاصبروا عليهن مع الكراهة » وقوله تعالى « فعسى أن تكرهوا شيئا » : علة للجزاء المحذوف ، والمعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا .

حذف القسم أو جوابه :

فالأول مثل قوله تعالى « فلنسألن الذين أرسل اليهم » (٣) وقوله «لنسفعا بالناصية»(٤) التقدير : «والله لنسألن» : «والله لنسفعا» .

---

(١) السجدة : ١٢ .
(٢) النساء : ١٩ .
(٣) الأعراف : ٦ .
(٤) العلق : ١٥ .

والثانى : وهو حذف الجواب كقوله تعـالى « ص والقرآن ذى الذكر » فالجواب هنا محذوف ويقدر بما يدل عليه سياق الكلام أى « لست بكذاب ولا ساحر ، ولا ما جئت به مختلق » بدليل قوله بعـد ذلك : « وقال الكافرون هذا ساحر كذاب » و « ان هذا الا اختلاق » .

وقوله تعالى « ق والقرآن المجيد » وتقدير الجواب هنا «لتبعثن» بدليل حكاية انكارهم للبعث فى سياق الكلام بقوله « أئذا متنا وكنـا ترابا ذلك رجع بعيد » .

وكقوله تعالى : « والفجر وليـال عشر والشفع والوتر والليـل اذا يسر » تقديم جواب القسم هنا « ليعذبن الكفار » .

حذف المعطـوف :

قد يذكر المعطوف عليه ويحذف المعطوف لوجود ما يدل عليه مثل قوله تعالى « لا يسـتوى منكم من أنفق من قبل الفتـح وقاتل »(١) والتقدير « ومن أنفق من بعده وقاتل » بدليل قوله بعد ذلك « أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا » .

حـذف الجملة :

المراد بالجملة هنا هى ما تسـتقل بالفهم بحيث لا يكون جـزءا من كلام آخر ، بخلاف جملة الشرط وجوابه ، فانها لا تستقل بالفهم، لأن الشرط والقسم مرتبطان بجوابهما .

وحذف الجملة على أنـواع :

(أ) أن تكون مسببة عن سبب مذكور كقوله تعالى « ليحق الحـق

---

(١) الحديد : ١٠ .

ويبطل الباطل »(١) ومعنى احقاق الحق وابطـال الباطل هو اثبـات الاسلام واظهاره ، وابطال الكفر ومحقه : فجملة : « ليحق الحق ويبطل الباطل » سبب حذف مسببة ، لأن اللام فيها للتعليل ، ويجب أن يقدر المحذوف متأخرا حتى يفيد معنى الاختصاص ، أي اختصـاص ارادة الله تعالى فى اختيار ذات الشوكة ، لأجل احقاق الحق وابطال الباطل، ويلزم منه نفى ارادة القوم فى اختيار غير ذات الشوكة ، لأن المقـام يقتضى نفى ارادة القوم واثبات ارادة الله ، وتقدير الجملة المسـببة المحذوفة أن يقال « ليحقق الحق ويبطل الباطل » « فعل ذلك » أى ما فعله الا لهما ، لأن الغرض الأساسى من اختيار ذات الشـوكة وهو احقاق الحق وابطال الباطل بنصر دين الاسلام ودفع الأذى عنـه ، وتثبيت العقيدة فى النفوس وابطال الكفـر ومحقه ، وهذه هى ارادة الله التى يريد اثباتها على وجه التخصيص •

(ب) أن تكون سببا لمسبب مذكور ، أى اكتفى فيها بالمسبب عن السبب كقوله تعالى « فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا »(٢) فجملة « فانفجرت منـه اثنتا عشرة عينا » مسـببة عن جملة محذوفة تقديرها « فضربه بها فانفجرت » ففى حذف جملة السبب هنا دلالة على سرعة امتثال المأمور ، وأن اتبـاعه للامر كان بحيث لا حـاجة الى أن يقـال « فضرب » ، لأن الضرب كأنه قد ثبت واستقر بحيث لا حاجة الى ذكره ، لأن المأمور فى الآية هو موسى عليه السلام وهو ليس ممن يشك فى امتثاله •

وهذا الحذف تجده فى كل ما أمر به موسى عليه السلام ــ بضرب العصا ، كما فى قوله تعالى « فأوحينا الى موسى أن أضرب بعصـاك

---

(١) الأنفال : ٨ •
(٢) البقرة : ٦٠ •

البحر فانفلق »(١) أى فضرب « فانفلق » ، وفى قــوله « أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست »(٢) أى « فضربه بها فانبجست » ومنــه قوله تعالى « فمن منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر »(٣) أى فأفطر فعليه عدة من أيام أخر ، فصيام العدة مسبب عن الافطار، فاكتفى بالمسبب عن السبب •

(ج) ألا تكون الجملة المحذوفة سببا أو مسببا ، كما فى قــوله تعــالى « فنعم الماهدون »(٤) فقد حذفت فيه جملة تقديرها هم نحن كما سبق أن قررنا فى بحث « الاستئناف » شبه كمال الاتصال من انه على حــذف المبتدأ والخبر فى قــول من يجعل المخصوص خــبرا لمبتدأ محذوف •

حــذف أكثر من جمــلة :

كما فى قوله تعالى « أن أرسل معنا بنى اسرائيل قال ألم نربك فينا وليدا » (٥) فاتصال قوله تعــالى « قال ألم نربك » : بما قبله يحتاج الى تقدير أكثر من جملة محذوفة ، وهى خمس جمل تقــدر هكذا (فأتيا فرعون ، واستاذنا البواب فى الدخول ، ثم أذن لهمــا ، فأديا اليه الرسالة ، فعرف موسى) « قال ألم نربك » ••• الآية هذه الجمل كلها محذوفة اختصارا اعتمادا على فطنه السامع أو القارىء، ومنــه قــوله تعالى « أنا أنبئكم بتــأويله فأرســلون يوسف أيهــا

---

(١) الشعراء : ٦٣ •
(٢) الأعراف : ١٦٠ •
(٣) البقرة : ١٨٤ •
(٤) الذاريات : ٤٨ •
(٥) الشعراء : ١٧ ، ١٨ •

الصديق(١) ... الآية » وتقدير الجمل المحذوفة هكذا : فأرسلونى (الى يوسف لأستعبره الرؤيا ، فأرسلوه اليه ، فأتاه فقال) يا يوسف .

وهذا النوع من الاختصار كثير فى التنزيل خصوصا فى القصص القرآنى . وقد يكون السر فى وقوع هذا النوع من الحذف كثيرا فى القصص القرآنى هو أن القرآن الكريم عندما يحكى أحداث القصة ويصور وقائعها ، فانه يستهدف من وراء ذلك العظة والعبرة والهداية للمؤمنين ، ومن ثم فان قصص القرآن قصص صادق يعتمد على حقائق ثابتة ووقائع تاريخية مفصلة بعيدا عن الخيال الجامح الذى قد يوجد فى قصص البشر ، فاننا نرى فيه مزجا بين الحقيقة والخيال .

ومن هنا فانه قد يترك فى أثناء عرض أحداث القصة أحداث جانبية تفهم من السياق اعتمادا على فطنة السامع لينشط ذهنه فى استنباطها من السياق .

قال تعالى « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى ، ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون »(٢) .

ثانيا : الاطناب :

« هو تأدية أصل المراد بلفظ زائد عليه لفائدة » أى بأن يكون أكثر مما وضع لأجزائه مطابقة على أن يكون الزائدة لفائدة ، فان لم يكن لفائدة ، فانه قد يكون تطويلا و حشوا .

---

(١) يوسف : ٤٥ .
(٢) يوسف : ١١١ .

أما التطـويل :

فهو ما كان اللفظ الزائد فيه غير متعين كما فى قول عدى بن زيد من قصيدة طويلة يخاطب فيها النعمان بن المنذر حين كان حابســا له ، يذكره فيهــا بحوادث الدهر وما وقع لجذيمة بن الأبرش والزباء من الخطــوب •

وقددت الأديم لراهشية ••• وألفى قولها كذبا ومينا قــددت : من القد وهو القطع ، والأديم : الجلد ، والراهشان : هما عرقــان فى باطن الزراع يتدفق الدم منهما عند القطع ، وألفى : أى وجــد ، والمعنى أن الزباء غدرت بجذيمة وقطعت راهشيه وســال منهما الدم حتى مات ، وكانت قد وعــدته بالزواج منه ، فتبين له ان ما وعــدته به من التزوج أصبح كذبا •

وفيه تطويل ، لأن الكذب والمين واحــد ، فلا فائدة فى الجمــع بينهما ، ولا يقال : ان فيه تأكيدا بعطف أحد المترادفين عــلى لآخر ، لأن التأكيد انما يكون ذا فائدة اذا اقتضاه المقام ، وليس — المقام هنا مقتضيا له ، لأن المراد منــه الاخبار بمضــمون المقصود ولا يتعــين الزائد منهما •

وأما الحشو : فهو ما كان اللفظ الزائد فى العبارة متعينا لا لفائدة وهو ضربــان :

(أ) حشو مفسد للمعنى مثل لفظ « الندى » فى قول أبى الطيب :

ولا فضل فيها للشــجاعة والندى
وصبر الفتى لولا لقــاء شعوب

الضمير فى « فيها » للدنيا ، والندى : الكرم ، والشعوب بفتــح الشين من أسماء المنية •

والمعنى : انه لا فضل فى الدنيا للشجاعة والصبر والندى لـولا الموت أى أن لقاء الموت يوجد فضلا للشجاعة والصبر والكرم ، وهذا المعنى وهو وجود الفضل عند تيقن الموت انما يكون مستقيما بالنسبة للشجاعة والصبر دون الكرم ، لأن الانسان اذا علم أنه سـيموت ومع ذلك يقتحم المعارك ، ويخوض الأهوال ، فانه بلا شك شـجاع وبطل فيثبت له الفضل باتصافه بالشجاعة التى لا يقدر عليها كل أحد، وأما اذا علم أنه مخلد فى الدنيا فانه لم يخش الهلاك فى الأقدام،فلم تكن لشـجاعته حينئذ فضل ، وكذلك الشـأن فى شـدائد الدنيا لو انتفى الموت لم يكن له فضل لتيقن الصابر بزوال المكروه ، بخلاف ما اذا تيقن الموت فانه يكون له فضل ، لأن الصبر على الشدائد التى لا يتيقن زوالها قد تفضى به الى الموت .

أما العطاء فانه يؤدى الى عكس المعنى الذى أراده الشاعر ، لأن المتبادر أن الفضل فى الندى فى نفى الموت لا فى وجوده ، لأن الـذى يبذل ماله اذا أيقن بالخلود ثبت له الفضل ، لاختصاصه بأمر لا يقدر عليه كل أحد ، لأنه ينفق ماله فى الندى حتى يصير معدما مما يؤدى الى مقاساة الشدائد ، ومعاناة الفقر فى المستقبل الدائم ، وهذا يوجب الحاجة الى المال ، وأما وجود الموت فهو الحامل على الكرم لكل أحد، لأن من أيقن انه سيموت ويترك المال لغيره هان عليـه بذله ، ومن ثم لا فضل فيه ، ومن أجـل هذا كان لفـظ « الندى » حشوا مفسـدا للمعنى ، لأنه زيادة متعينة لا فائدة منها ، اذ لا يستقيم نظم الندى فى سـياق الحديث عن الشجاعة والصبر .

(ب) غير مفسد للمعنى كقول زهير :

وأعلم علم اليوم والأمس قبلـه
ولكننى عن عـلم ما فى غد عمى

فقوله « قبله » حشو ، لأنه متعين اذ الأمس يدل على القبلية ولكنه لا يفسد المعنى ومنه قول الشاعر :

ذكرت أخى فعاودنى صداع الرأس والوصب

فذكر « الرأس » حشو ، لأن الصداع لا يكون الا فى الرأس ولكنه غير مفسد للمعنى .

وقد يحسن الحشو اذا اشتمل على لون بديعى كقول المتنبى :

وخفوق قلبى لو رأيت لهيبه
يا جنتى لرأيت فيه جهنما

انواع الاطناب :

وللاطناب : ألوان متعددة يفهم منها معان وسرار وفقا لما يقتضيه المقام الأول وهى كما يلى :

١ – الايضاح بعد الابهام .

وهو بيان شىء ما من الأشياء بعد ابهامه وذلك ليرى المعنى فى صورتين مختلفتين احداهما مبهمة والأخرى موضحة فيتمكن المعنى فى النفس فضل تمكن لما هو مركوز فى النفوس أن الشىء اذا ذكر مبهما ثم بين كان أوقع فيها من أن يبين أولا . وذلك لأن العلم بالشىء اجمالا يجعل النفس تتشوق الى معرفته تفصيلا ، والشىء اذا نيل بعد التشوق له يقع فى النفس فضل وقوع ، ويتمكن منها أى تمكن ، مثاله قوله تعالى « اذ أوحينا الى أمك ما يوحى أن أقذفيه فى التابوت فأقذفيه فى اليم »(١) فقوله « ما يوحى » مبهم، تفسيره « أن أقذفيه فى

---

(١) سورة طه : ٣٨ ، ٣٩ .

يوجد سواد فى الكتاب من الأصل لأخر الكتاب

التـابوت فاقذفيه فى اليم فليلقه اليم بالسـاحل » ومنه قوله تعالى « وقضينا اليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين »(١) بيان وتفسير للأمر المبهم فى قوله تعالى « وقضينا اليه ذلك الأمر » •

ويدخل فيه باب نعم وبئس على رأى من يجعل المخصوص خبرا لمبتدأ محذوف ، نحو قـولك « نعم رجلاً زيد » ففى قـولك « نعم » ضمير مستتر تقديره « هو » ، وفسر الضـمير المستتر نوع تفسـير بالتمييز « رجلا » ، ولم يحدده تحديدا تاما اذ بقى فيه بعض الابهام، لأنه نكرة ، والجملة الاسمية التى تتضمن المخصوص بالمدح هى التى فسرت الابهام فى الاسم المنصوب وميزتـه تمييزا تاما ، فالضـمير المستتر فسر على مرحلتين ، الأولى عند ذكر التميز ، والثانية : عند ذكر المخصـوص بالمدح ، لأننى اذا قلت « نعـم رجـلا » وسـكت استشرف المخاطب الى معرفة من المقصود بالمدح على وجـه التحـديد بالذات ، فاذا قلت « زيد » أى هو زيد فقد حصل تمام المـراد ، من الضمير ، فكان موقعه فى النفس أمكن من أن يبين من أول الأمر ، فأنت ترى انه قد تدرج بالمقصود بالمدح من المغوض ، الى نوع من البيان ، ثم الى الوضوح والبيان التام •

٢ ــ التوشيع : وهو فى اللغة القطن المندوف الذى يلف ويجمع فى لحاف ونحوه • وفى اصطلاح البلاغيـين أن يؤتى فى عجز الكلام غالبا بمثنى مفسر باسمين ثانيهما معطوف على الأول • أو بجمع مفسر بأسماء معطوف بعضها على بعض •

فالأول : كما جاء فى الحديث الشريف « يهرم ابن آدم ويشب معه خصلتان : الحرص وطـول الأمل » ، فقوله ــ ﷺ ــ « الحـرص وطول الأمل » بيان للمثنى الذى هو « خصلتان » •

---

(١) الحجر : ٦٦ •

والثـــانى : مثل قولك فى محمـــد ثلاث خصـــال رفيعة : الكرم والشجاعة والحلم فهذه الصفات الثلاث المعطوف بعضها على بعض تفسير وبيان للخصال الرفيعة فى محمد ومنه قول الشاعر :

ثـــلاثة تشرق الدنيـــا ببهجتها
شمس الضحى وأبو اسحاق والقمر

٣ ــ عطف الخاص على العام للتنبيه على فضل الخـــاص وعلو منزلتـــه كما فى قـــوله تعـــالى (حافظوا على الصـــلوات والصـــلاة الوسطى »(١) فقد أمر المؤمنون أولا بأن يحافظوا على جميع الصلوات ومن بينها الصلاة الوســـطى ثم أمروا ثانيا بالمحـــافظة على الصـــلاة الوسطى للتنبيه على فضلها وعظم ثوابهـــا حتى كأنها ليست من جنس الصلوات السابقة ، تنزيلا للتغاير فى الوصف منزلة التغاير فى الذات، يعنى لما امتاز الخاص عن ســـائر أفراد العـــام بما له من الأوصـــاف الشريفة جعل كأنه شىء آخر مغاير للعام لا يشمله ولا يعرف منه حكمه.

ومنه قوله تعالى « انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمـــر رأيتهـــم لى ســـاجدين »(٢) فالشـــمس والقمـــر داخلان فى قوله « أحد عشر كوكبا » ولكنهما خصا بالذكر ، وعطفا على الكواكب بيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع حتى كأنهما من جنس مغاير لها • ومنه قوله تعالى « تنزل الملائكة والروح فيها »(٣)، فقد خص الروح « وهو جبريل عليه السلام بالذكر » ، وعطف عـــلى الملائكة بيانا لفضله وعظم منزلته عند الله •

---

(١) البقرة : ٢٣٨ •
(٢) يوسف : ٤ •
(٣) القدر : ٤

٤ ــ عطف العام على الخاص :

قد يعطف العام على الخاص لافادة العموم وللعناية بشأن الخاص ولافادة الترقى والتدرج من الأخص الى الأعم كما فى قوله تعالى « يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون »(١) فلما كانت الصلاة هى عمود الدين وبه قوامه ، خصها الله بالذكر أولا وعبر عنها بالركوع والسجود ، لأنهما أعظم أركانها وأفضلها ، ولما فيهما من مزيد الخضوع لله تعالى ، وهذا التعبير يدخل فى باب المجاز المرسل من اطلاق الجزء على الكل لما للجزء من مزيد العناية والاهتمام ، ثم ثنى بما هو أعم من الصلاة ، وهو الأمر العام بالعبادة ، فعبادة الله تشمل الفرائض كلها بما فيها الصلاة وتشمل كل عمل نافع يتوجه به الفرد المؤمن الى الله ، ثم أتى بما يشتمل على جميع ما يحاج اليه فى الدين والدنيا من فعل الخيرات آخرا بقوله « وافعلوا الخير »، اذ هو أعم مما سبق لأنه يشمل كل فعل يرجى منه الخير للانسان فى دنياه وفى أخراه • ففى هذه الآية تدرج وترق من الأخص الى الأعم •

التكرير : وهو ذكر الشىء مرتين أو أكثر لفائدة : منها :

١ ــ التأكيد وتقرير المعنى فى النفس • كتأكيد الانذار والتهديد فى قوله « كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون »(٢) فـ « كلا » للردع والزجر عن الانهماك فى الدنيا ، وللتنبيه على الخطأ فى الشغل بها عن الآخرة،وقوله « سوف تعلمون » انذار وتخويف أى ستعلمون ما أنتم عليه من الخطأ اذا عاينتم أهوال يوم القيامة ، وتكراره

---

(١) الحج : ٧٧ •

(٢) التكاثر : ٣ ، ٤ •

بالعطف انما هو لتأكيد هذا الانذار وتقريره فى النفس وفى التعبير بـ « ثم » للعطف دلالة على أن الانذار الثانى أبلغ من الأول ، وذلك لأن أصل « ثم » موضوعة لافادة التراخى والبعد الزمانى ، والبعد فى الآية ليس بعدا زمانيا ، وانما هو بعد فى الرتبة أى معنوى ، فنزل البعد فى الرتبة منزلة البعد فى الزمان .

(ب) استمالة المخاطب لقبول ما يلقى اليه من الكلام كتكرار لفظ « يا قوم » فى قوله تعالى حكاية عن رجل مؤمن من آل فرعون « وقال الذى آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ، يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع »(١) فتكرار « يا قوم » لاستمالتهم الى تقبل الارشاد ، لأن فى اضافة القوم الى نفسه خلوص النصح لهم لأنهم قومه ، وهو منهم ، فلا يريد لهم الا ما يريد لنفسه من الخير .

(ج) وقد يكون التكرير لتأكيد المعنى وتثبيته فى الذهن ولما يجىء به اللفظ المكرر من زيادة فائدة لم تكن فى الأول مثاله قوله تعالى « يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربى »(٢) .. الى قوله تعالى « يسألونك كأنك حفى عنها قل انما علمها عند الله » (الأعراف ١٨٧) يقول الزمخشرى : فان قلت لم كرر « يسألونك » و « انما علمها عند الله » ؟ قلت : للتأكيد ، ولما جاء به من زيادة قوله « كأنك حفى عنها » وعلى هذا تكرير العلماء الحذاق فى كتبهم لا يخلو المكرر من فائدة زائدة .

(د) وقد يفيد التكرار التأكيد والاستيعاب كما فى قوله تعالى « لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار ...» الى قوله تعالى

---

(١) غافر : ٣٨ .

(٢) الأعراف : ١٨٧ .

« ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم »(١) « التوبة »
فالله تعالى كرر توبته على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة للتأكيد ، جزاء لصبرهم وثباتهم ولما قاسوه من الشدائد فى تلك الغزوة – وهى غزوة تبوك – ولاستيعاب التوبة للجميع من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوه ولم يترددوا فى الخروج الى الغزو ، والذين حدثوا أنفسهم بالتثاقل والقعود،ولكنهم لم يفعلوا وانتصروا على أنفسهم وخرجوا الى الجهاد فى وقت العسرة وشدة الحر وجدب البلاد ، ومن هنا تظهر درجات المؤمنين ، ولذلك لم يؤاخذهم الله بما حدثوا به أنفسهم لأنه بهم رؤوف رحيم .

(هـ) وقد يكون التكرير باسم الاشارة لقصد استقلاله بالحكم الواقع بعده ، كما فى قوله تعالى « أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال فى أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »(٢) فقد كرر اسم الاشارة فى الآية لقصد استقلال كل من العذابين وشدته ؛ أى العذاب بوضع الأغلال فى أعناقهم فهو عذاب مستقل بنفسه والعذاب بالخلود فى النار .

(و) وقد يكرر « ان » أو « أن » للتوكيد ولطول الفصل كما فى قوله تعالى « ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم »(٣) فقد كررت هنا « ان » مع اسمها وذلك لطول الكلام بين اسم ان وخبرها ومنه قول الشاعر :

---

(١) التوبة : ١١٨ .
(٢) الرعد : ٥ .
(٣) النحل : ١١٩ .

وان امرءا دامت مواثيق عهده   على مثـل هذا انه لكريم

فكررت ان فى البيت لطول الفصل بين اسم « ان » وخبرها بالجملة الواقعة صفة لاسم « ان » .

ومثال تكرار « أن » بفتح الهمزة قوله تعالى « ألم يعلموا أنه من يحـادد الله ورسـوله فأن له نـار جهنم خـالدا فيها ذلك الخزى العظيم » (١) فالتكرار هنا للتوكيد ولطول الفصل بجملة الشرط بين « أن » الأولى و « أن » الثانية ، ومنه قوله تعالى « أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون » (٢) كرر « أنكم » للتوكيد ولطول الفصل بين اسم « أن » وخبرها بالظرف ومنه قول الشاعر :

لقد علم الحى اليمـانون أننى   اذا قلت : أما بعد أنى خطيبها

كررت « أن » أيضا فى البيت للتوكيد ولطول الفصل بين اسـم « ان » وخبرها بالظرف .

ز ـ ومن تكرار الحروف أيضا تكرار أداة التنبيه لافادة الترقى من حالة الى حالة أخرى أشد منها . كما فى قوله تعالى « ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون ومـا يعلنون » (٣) كررت أداة التنبيه هنـا وهى « ألا » بين الظرف وعامله دلالة على الترقى من حالة الى حالة أخرى أعظم منها استجهالا لهم .

وبيـان معنى الترقى فى الآية : هو أن الله تعـالى أراد أن يبين موقفين من مواقف العنـاد والاستكبـار من المشركين حين يدعوهم

---

(١) التوبة : ٦٣ .
(٢) المؤمنون : ٢٥ .
(٣) هود : ٥ .

الرسول ﷺ الى الاسلام الأول : أنهم اذا رأوا رسول الله يعرضون عنه وينحرفون بباطلهم معتقدين بذلك أنهم يتمكنون من اخفاء أمرهم عن الله تعالى فيشتغلون بذمه عليه السلام • والثانى وهو أكثر جهالة وأشد استكبارا ، لأن فيه مواجهة صريحة من العناد والاستكبار ، وهو أنهم يستغشون ثيابهم لئلا يروا رسول الله ﷺ — ولئلا يسمعوا كلامه عندما يرونه مقبلا عليهم ، لأن من عادته — ﷺ — اذا رأى الكفار دعاهم الى الاسلام وأسمعهم كلام الله •

ح — وقد يفيد التكرار : التأكيد والمبالغة بالجمع بين دلالتى الالتزام والمطابقة حثا على الفعل وزيادة الترغيب فيه كما فى قوله تعالى « ولا تنقصوا المكيال والميزان ••• الآية ، ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط » (١) فالنهى عن نقصان المكيال والميزان الأمر بايفائهما وهذه هى دلالة الالتزام ، ولكن هذه الدلالة غير كافية فى الحث على الايفاء والترغيب فيه فجىء به مصرحا لافادة هذا المعنى على وجه التأكيد والمبالغة ، ثم لافادة معنى آخر وهو تقييده بالقسط وهو العدل ، اذ هو مطلوب لذاته من غير زيادة أو نقصان •

وهذا المعنى اقتضاه المقام ، لأن هذا الفعل القبيح قد استشرى فى أهل مدين واستفحل خطره فلا تكفيهم دلالة التضمن أو الالتزام فى الكف عنه ، وانما لابد من التكرار فى المعنى بالجمع بين دلالتى الالتزام والمطابقة •

التذييل : وهو لغة جعل الشىء ذيلا للشىء • واصطلاحا هو تعقيب الجملة بجملة لا محل لها من الاعراب تشتمل على معناها للتوكيد •

---

(١) هود : ٨٥ •

وهو ضربــان :

أ ـ ضرب جار مجرى المثل

ب ـ وغير جار مجرى المثل

فأما الأول وهو الجارى مجرى المثل : فهو أن يقصد بالجملة الثانية حكم كلى منفصل عما قبله جار مجرى الأمثال فى الاستقلال وفشــو الاستعمال وذلك بأن تستقل جملة التذييل فى افادة المراد غير متوقفة فى افادة معناها على ما قبلها . كما فى قوله تعالى « ان المبذرين كــانوا اخوان الشياطين وكان الشيطــان لربه كفورا » (١) فجملة « وكــان الشيطان لربه كفورا » تذييل مؤكد لما قبله ، وهو جار مجرى المثل ، لافادته حكما عاما كليا مستقلا ، وهو افادة كفر الشيطان بربه ، وعداوته له ، فيجب معاداته وعصيانه . وفى ايثار صغة المبالغة « كفروا» دلالة على أنه منبع الكفر وأساسه ، فكل كفر بالله يصدر من البشر انما يكون باغوائه وتزيينه ، فالمبالغة قد تكون فى صفة الكفر باعتبــار شــدته « الكيف » وقد تكون باعتبار أتباعه الذين أغواهم وهم كثير « الكم »

ومنه قوله تعالى « وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقــا » فقوله تعالى « ان الباطل كان زهوقا » (٢) تذييل جار مجرى المثل لأنها مستقلة بافادة المراد ، لا توقف لمعناها على معنى الأولى . وقد اشتملت على معنى الأولى وهو زهوق الباطل واضمحلاله .

وأما الثانى وهو غير الجارى مجرى المثل : بأن لا يستقل بافادة المراد ، بل يتوقف على ما قبله ، مثل قوله تعالى : « قالوا سنراود عنه أباه وانا لفاعلون » فجملة « وانا لفاعلون » (٣) معناها وانا لقادرون

---

(١) الاسراء : ٢٧ .
(٢) الاسراء : ٨١ .
(٣) يوسف : ٦١ .

على ذلك أى على فعل المراودة ، فهى تذييل غير جار مجرى المثل للجملة السابقة ، لأنها توكيد لفعل المراودة ، ولم تستقل بافادة المراد منه ، وانما هى متعلقة بما قبلها ، لأن المراد بالفعل فيها هو القدرة على المراودة المذكورة فى الجملة السابقة ، فوضع قوله « وانا لفاعلون » موضع وانا لقادرون من اطلاق المسبب على السبب على المجاز المرسل لأن السبب فى فعل المراودة هو القدرة عليه ، فالقدرة توجد أولا ويترتب عليها الفعل ثانيا .

ووجه أبلغية التعبير بالمجاز المرسل هنا على الحقيقة : هو توكيد فعل المراودة ومباشرته ، لأن الانسان قد تكون لديه القدرة على الفعل ولكنه لم يباشره ، والمقام يقتضى التأكيد بجملة التذييل ، وذلك لاجادتهم هذا الفعل كما سبق فى مراودة أبيهم ومخادعته فى أخذ يوسف عليه السلام معهم لينفذوا تدبيرهم الخبيث الذى عزموا عليه وأجمعوا أمرهم على تنفيذه .

ومنه قوله تعالى « ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يجازى الا الكفور » (١) فقوله تعالى « وهل يجازى الا الكفور » تذييل غير جارى مجرى المثل للجملة السابقة اذا كان المراد بالجزاء ذلك الجزاء المخصوص الذى ذكر فى الآيات السابقة ، وهو ارسال سيل العرم وتبديل الجنتين ، أما اذا أريد مطلق الجزاء لا جزاء خاص فانه يكون من النوع الأول ، وهو الجارى مجرى المثل لافادته حكما كليا مستقلا .

وقد اجتمع الضربان فى قوله تعالى « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت » (٢) فجملة « كل نفس ذائقة الموت » من الضرب الأول وهو الجارى مجرى المثل لاستقلالها وافادتها حكما عاما ، وجملة « أفئن مت فهم الخالدون » من

---

(١) سبا : ١٧ .

(٢) الأنبياء : ٣٤ .

الضرب الثانى وهو غير الجارى مجرى المثل ، وذلك لارتباطها بما قبلها لأن الفاء ترتب الجملة المذيلة على ما قبلها ، والاستفهام للانكار فاذا كان البشر لا يخلدون فهل يترتب على ذلك أنك يـا محمد ان مت فهم الخالدون واذا كانوا لا يخلدون فما لهم لا يعملون عمل أهل الموتى ؟ وما لهم لا يتدبرون عاقبة أمرهم ؟ .

والتذييل قد يكون مؤكدا لمنطوق الجملة السابقة وقد يكون مؤكدا لمفهومها .

فالمؤكد لمنطوق الجملة السابقة هو أن تشترك ألفاظ الجملتين فى مادة واحدة ولو كانت النسبة فى نفسها مختلفة ، بأن تكون فى احداهما اسمية مؤكدة وفى الأخرى فعلية مثاله قوله تعالى « وقل جـاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » (١) فجملة « ان البـاطل كـان زهوقا » مؤكدة لمنطوق الجملة السابقة ، لأن زهوق الباطل منطوق فى قوله تعالى « وزهق الباطل » والمؤكد لمفهومها كمـا فى قول النـابغة الذبيانى :

ولست بمستبق أخا لاتلمه ... على شعث أى الرجال المهذب ؟

فجملة « ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث » تفيد بمفهومها نفى الكامل من الرجال وجملة « أى الرجال المهذب ؟ » تذييل مؤكد لهذا المفهوم ، لأن الاستفهام فها انكارى بمعنى النفى ، أى ليس فى الرجال مهذب ومنه قوله تعالى « فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين » (٢) فقوله تعالى « وهو أرحم الراحمين » تذييل لقوله « فالله خير حافظا » وهو مؤكد لمفهومها ، لأنه يفهم من الحفظ معنى الرحمة والاستعطاف ، والجملة المذيلة مؤكدة لهذا المفهوم ، اذ هى تفيد عموم رحمته سبحانه

---

(١) الاسراء : ٨١ .
(٢) يوسف : ٦٤ .

وتعالى بالنـــاس أجمعين وأن مـــا يصـــدر منهم من رحمة انمـــا هو مستمد من رحمة الله التى وسعت كل شىء ففى حفظ الله لبنيامين رحمة لأبيه المثقل بهموم فقد ولده — يوسف عليه السلام فلا تتزاحم عليه المصائب •

الايغــال :

معناه فى اللغة : السير السريع والامعان فيه ، من أوغل فى البلاد ونحوها وتوغل فى الأرض : ذهب فأبعد فيها ، وفى الحيدث الشريف « ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق » أى سر فيه برفق وابلغ الغاية القصوى منه بالرفق ، فلا تحمل نفسك ولا تكلفها ما لا تطيقه فتعجز •

ومعناه فى اصطلاح البلاغيين : قيل : « هو ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها » وعلى هذا يكون مختصـــا بالشـــعر ، أى أن الشاعر توغل فى الفكر حتى استخرج قافية تفيد معنى زائدا على أصل معنى الكلام •

وقيل : لا يختص بالشعر بل « هو ختم الكلام سواء كان شعرا أو نثرا بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها » فعلى التعريف الأول تكون النكتة :

أ — زيادة المبالغة فى التشبيه كما فى قول الخنســـاء فى مرثية أخيها صخر :

وان صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نـــار

فقوله : « فى رأسه نار » ايغال ، لأن وصف العلم الذى يهتدى به بوجود نار على رأسه أبلغ فى ظهوره فى الاهتداء مما ليس كذلك ، فتنجر المبالغة الى المشبه الممدوح بالاهتداء به — ولو قالت الخنساء « كأنه علم » فقط لكان وافيا بالمقصود من التشبيه ، ولكنهـــا أرادت الايغال لزيادة المبالغة ، فوصفت العلم بوجود النار على رأسه •

ب ـ تحقيق التشبيه أى بيان التساوى بين الطرفين فى وجه الشبه كما فى قول امرىء القيس :

كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب

شبه الشاعر عيون الوحش بالجزع وهو « الخرز اليمانى الذى فيه سواد وبياض » ولما كانت عيون الوحش المشبه لا ثقوب فيها أراد الشاعر أن يحقق هذا المعنى فى المشبه به لكى يتساوى الطرفان فى وجه الشبه ، فوصف الجزع بكونه لم يثقب ليتساوى الطرفان فى اللون والشكل تماما .

وعلى التعريف الثانى : يزاد على النكتتين السابقتين فى الشعر نكتتان أخريان فى النثر وهما .

١ ـ زيادة الحث والترغيب كما فقوله تعالى : « قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون » (١) فقوله « وهم مهتدون » ايغال ، لأن المعنى يتم بدونه ، لأن الرسل مهتدون قطعا ، ويفهم هذا ضمنا ، ولكن فى التصريح بهدايتهم زيادة فى الحث على اتباع الرسل والترغيب فيه .

٢ ـ المبالغة فى الوصف كما فى قوله تعالى « وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا » (٢) فقوله « منثورا » ايغال فى وصف الهباء لأن المعنى يتم بدونه ، اذ معنى الهباء هو الشىء المنبث الذى تراه فى البيت من ضوء الشمس شبيها بالغبار وهو لا يكون الا منثورا ولكن الله تعالى أراد أن يبالغ فى عدم وجود أى أثر لأعمال الكفار فى الآخرة فزاد الهباء بوصفه بالنثر ، وهو ما ترميه بيدك ليتفرق ، ولذلك

---

(١) يس : ٢٠ ، ٢١ .
(٢) الفرقان : ٢٣ .

يقول العلامة الزمخشرى « لما ميكف أن شبه عملهم بالهباء حتى جعله متناثرا » •

الاعتــراض :

وهو أن يؤتى فى أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الاعراب لنكتة سوى دفع الايهام •

يفهم من هذا أن الاعتراض قد يقع بين أمرين متلازمين كوقوعه بين المبتدأ والخبر ، والموصوف والصفة ، والبدل والمبدل منه ، والمعطوف والمعطوف عليه ، والشرط والجزاء ، والقسم وجوابه ، وقد يقع بين كلامين متصلين معنى كوقوعه بين السـبب والمسـبب ، والعلة والمعلول ••• الخ

من فوائده البلاغية ما يأتى :

١ ــ التنزيه والتعظيم كما فى قوله تعالى « ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم مـا يشتهون » (١) فجملة « سبحــانه » معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه لافادة تنزيهه سبحانه وتعالى وتقديسه ، عما ينسبون اليه من جعل البنات له ــ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ــ ويجعلون لأنفسهم ما يشتهون من البنين •

٢ ــ الدعاء : كما فى قول عوف بن محلم الشيبانى يشكو من كبره وضعفه •

ان الثمــــانين ــ وبلغتهــا   قد أحوجت سمعى الى ترجمان

فالاعتراض هنا بقوله « وبلغتها » بين اسم ان وخبرها للدعاء والواو اعتراضية والجملة لا محل لها من الاعراب •

---

(١) النحل : ٥٧ •

ومنه قول أبى الطيب :

وتحتقر الدنيا احتقار مجرب   يرى كل ما فيها — وحاشاك — فانيا

فقوله « وحاشاك » اعتراض بالدعاء للممدوح لدفع المكروه عنه وقع بين المفعول الأول والثانى .

٣ — تقرير الوحدانية لله تعالى واخلاص العبادة له وحده كما فى قوله تعالى « واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف .. الآية » (١) فقوله « وما يعبدون الا الله » جملة معترضة بين الشرط والجزاء ، لأن قوله « واذ اعتزلتموهم » من خطاب بعضهم لبعض وجاءت جملة « وما يعبدون الا الله » بين كلامهم اخبارا من الله بتقرير الوحدانية ، واخلاص العبادة له وحده ، ولبيان أن هؤلاء الفتية قد اعتزلوا قومهم بالجسد والعقيدة لأنهم كانوا يشركون مع الله آلهة أخرى .

٤ — تنبيه المخاطب على أمر نافع يؤكد الاقبال على ما أمر به كما فى قول لشاعر :

واعلم فعلم المرء ينفعه   أن سوف يأتى كل ما قدرا

فقوله « فعلم المرء ينفعه » جملة معترضة أفادت أن علم الانسان بالشىء ينفعه ، وهذا مما يزيد المخاطب اقبالا على طلب العلم المأمول به ، وهو أن المقدر لا بد منه مهما طال الزمان ، وهذا مما يسهل عليه الصبر والتفويض والتسليم بالأقدار .

٥ — تخصيص أحد المذكورين فى أمر علق بهما كما فى قوله تعالى « ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين

---

(١) الكهف : ١٦ .

أن اشكر لى ولوالديك الى المصير » (١) فقوله « حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين » اعتراض بين المفسر والمفسر للتذكير بحق الأم العظيم مفردا ، وبيان ما تكابده الأم وتعانيه من المشاق والمتاعب فى حمله وفصاله هذه المدة المتطاولة وايجاب التوصية بها خصوصا بعد التوصية بالوالدين ، واذا نظرنا الى الآيات التى وردت فى التوصية بالوالدين وبيان فضلهما وبرهما وعدم طاعتهما فى أمر الشرك وقعت معترضة أثناء قصة لقمان على سبيل الاستطراد تأكيدا لما فى وصية لقمان من النهى عن الشرك فيكون الاعتراض ببيان فضل الأم منفردا وقع فى اعتراض آخر فى أثناء قصة لقمان .

ومما ورد من هذا القبيل وهو وقوع اعتراض فى اعتراض آخر قوله تعالى «فلا أقسم بمواقع النجوم وأنه لقسم لو تعلمون عظيم»(١) فقوله « وانه لقسم لو تعلمون عظيم » اعتراض بين القسم والمقسم عليه وهو قوله « انه لقرآن كريم » وقوله « لو تعلمون » اعتراض آخر وقع أثناء الاعتراض الأول بين الموصوف وصفته لتعظيم شأن القسم وتفخيم أمره ، وتعظيم المقسم عليه ورفعة شأنه .

٦ ــ تأكيد الترغيب فى اكتساب ما لا يكتنهه وصف الواصف من النعيم الخالد كما فى قوله تعالىٰ « والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون » (٣) فقوله تعالى « لا نكلف نفسا الا وسعها » جملة معترضة وقعت بين المبتدأ والخبر للترغيب فى العمل الصالح الذى هو سبب لدخول الجنة لأن المؤمن اذا علم أن ذلك فى حدود الوسع والطاقة لا فوقها ازداد نشاطه ورغبته فى تحصيل هذا العمل .

---

(١) لقمان : ١٤ .
(٢) الواقعة ٧٥ ، ٧٦ .
(٣) الأعراف ٤٢ .

التكميل ويسمى الاحتراس :

وهو أن يؤتى فى كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه أى بما يدفع الايهام .

وقد يأتى فى أول الكلام أو فى وسطه ، أو فى آخره فمثال ما يأتى فى أول الكلام قول المتنبى :

غـير اختيـار قبلت برك بى والجوع يرضى الأسود بالجيف

فقوله « غير اختيار » تكميل أتى به ليدفع ما قد يتوهم من أن قبول البر به كان عن رضى وطيب نفس ، ومثال ما يأتى فى وسط الكلام : قول الشاعر:

فسقى ديارك غير مفسدها وصوب الربيع وديمة تهمى

فقوله « غير مفسدها » احتراس دفعا لما قد يتوهم من حدوث الضرر للديـار من أثر المطـر الذى قد يهطل مدة طويلة فيؤدى الى خراب الدار فيكون دعاء على الممدوح لا دعاء له ، لأن مقام المـدح يقتضى أن يكون سقى الديار بمقدار ما يصلحها للاخصاب والرى .

ومثال ما يأتى فى آخر الكلام قوله تعالى « فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين »(١) فقوله « أعزة على الكافرين » تكميل واحتراس لدفع ما قد يتوهم أن وصفهم بالذلة لضعفهم وهوانهم ، وانما المراد بالذلة التواضع ، والتواضع لا يكون الا عن رفعة ، فالوصف بالعزة أى بالقوة والشدة على الكافرين يزيل توهم أن تذللهم للمؤمنين عن ضعف وهوان . ومنه قول الشاعر :

---

(١) المائدة : ٥٤ .

حليم اذا ما الحلمزين أهله   مع الحلم فى عين العدو مهيب

فقوله « حليم » خبر لمبتدأ محذوف أى هو حليم ، وقيد الحلم بالظرف وهو « اذا ما الحلم زين أهله » للتكميل فى مقام المدح ، لأنه لو اقتصر على وصفه بالحلم لأوهم أن حلمه عن عجز فلم يكن صفة مدح ، فالتقييد بالظرف يزيل هذا الوهم .

التتميم :

هو أن يؤتى فى كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة كالمفعول به والظرف والجار والمجرور ... الخ وذلك لفائدة وهى افادة المبالغة فى المدح ، كما فى قوله تعالى « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا » (١) فقوله « على حبه » أى مع حبه ، تتميم لافادة المبالغة فى مدح الأبرار بالكرم والسخاء ، لأن اطعام الطعام مع اشتهائه والحاجة اليه أبلغ فى المدح من مجرد اطعام الطعام .

وهذا المعنى على أن يكون الضمير فى حبه عائدا الى الطعام ، أما اذا كان عائدا على الله تعالى فلا يكون الجار والمجرور تتميما ، وانما يدخل فى أصل المراد وهو المدح بالكرم والسخاء ، لأن المعنى أنهم يطعمون الطعام خالصا لوجه الله ، والانسان لا يمدح شرعا الا على فعل لأجل الله ، لأن الثواب يكون على قدر الاخلاص فى العمل ، وما قيل فى هذه الآية يقال فى قوله تعالى « وآتى المال على حبه » ..

---

(١) الانسان : ٨ .

المصـــادر والمراجع

١ ـ أسباب النزول للواحدى ط أنس بن مالك .

٢ ـ املاء ما من به الرحمن لأبى البقاء العكبرى على هامش الفتوحات الالهية ط عيسى الحلبى .

٣ ـ البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى ط دار الفكر ـ بيروت .

٤ ـ البرهان فى علوم القرآن للزركشى ط دار المعرفة بيروت .

٥ ـ بصائر ذوى التمييز فى لطائف الـكتاب العزيز ـ ط المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

٦ ـ بغية الايضاح للقزوينى تعليق الشيخ عبد المتعال الصعيدى ط الحلبى .

٧ ـ البلاغة القرآنية فى تفسـير الزمخشرى ـ للدكتور محمد أبو موسى ط دار الفكر ـ القاهرة .

٨ ـ تحفة الأشراف فى كشـف غوامض الكشـاف للفاضل اليمنى ـ رسالة دكتوراه للمؤلف ـ مخطوط بكلية اللغة العربية بالقاهرة

٩ ـ تفسير التحرير والتنوير للشيخ الطاهر ابن عاشـور ـ ط الدار التونسية للنشر .

١٠ ـ الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ـ ط دار احياء التراث العربى .

١١ ـ حاشية قطب الدين الرازى على الكشاف للدكتور أيوب عبد العزيز أيوب رسالة دكتوراة بكلية اللغة العربية بالقاهرة .

١٢ ـ دلائل الاعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجانى ط المحمدية .

١٣ ـ دلالات التراكيب للدكتور محمد أبو موسى نشر مكتبة وهبة .

١٤ ـ الروض الأنف للسهيلى ـ ط دار الفكر بيروت .

١٥ ـ صحيح البخارى .

١٦ ـ الصناعتين لأبى هلال السكرى ط دار الكتب العلمية ببيروت .

١٧ ـ الطراز للعلوى .

١٨ ـ فى ظلال القرآن لسيد قطب ط دار الشروق .

١٩ ـ كتاب القراءات السبعة لابن مجاهد ط دار المعارف .

٢٠ ـ الكشاف للزمخشرى ط الحلبى .

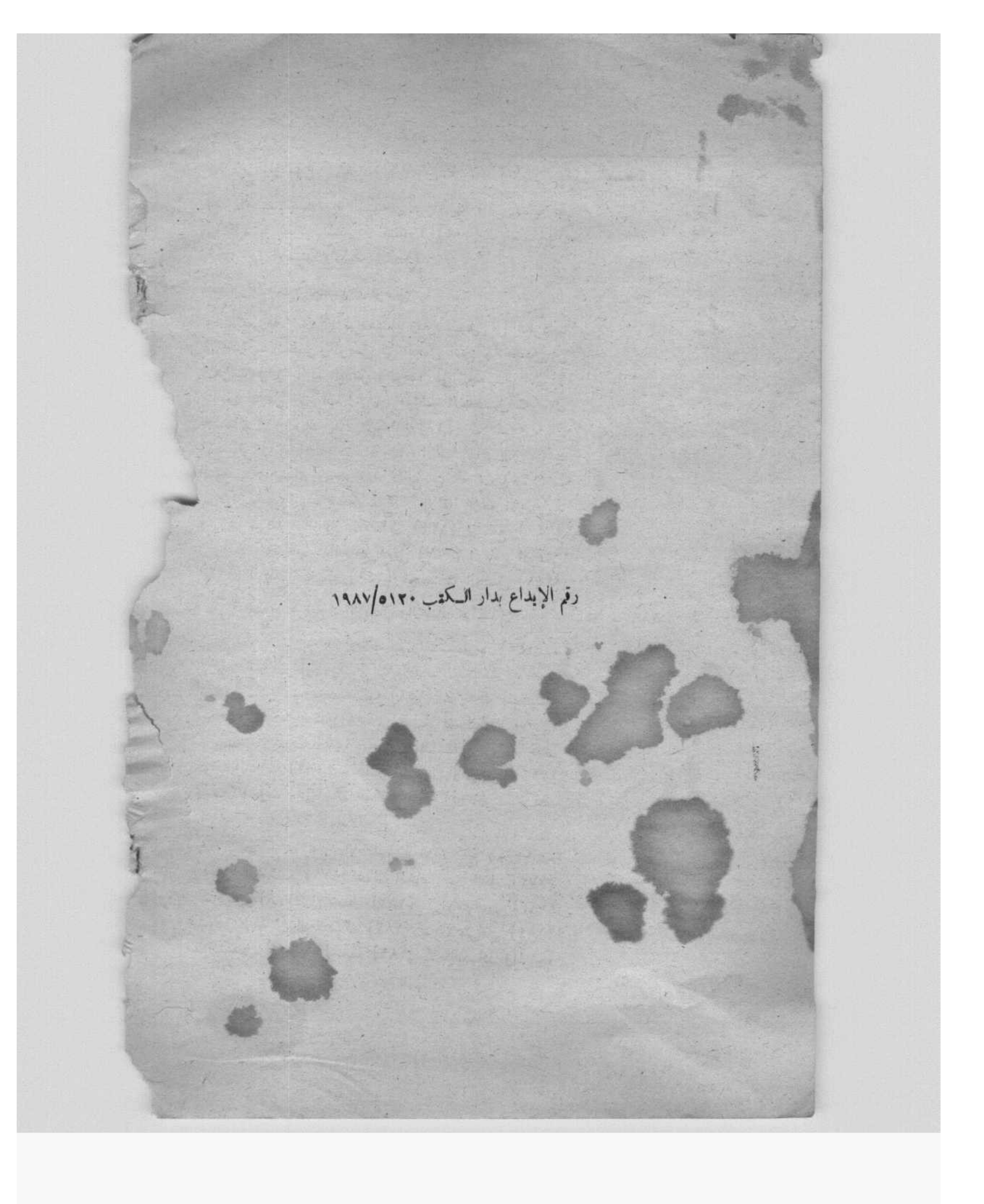
٢١ ـ المطول لسعد الدين التفتازانى ط صبيح .

٢٢ ـ معانى القرآن للفراء ط الهيئة القومية للكتاب .

٢٣ ـ مفتاح العلوم للسكاكى ط الحلبى (مصطفى) .

فهرس الموضوعات

الموضوع — الصفحة



رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٧/٥١٢٠